NRLS

دراسات استراتيجية

مركز روج آفا للدراسات الإستراتيجية

مجلة فصلية تصدر من مركز روج آفا للدراسات الاستراتيجية / العدد / 3 / شتاء 2020

مقاومة العصر في إقليم عفرين
مقاومة عفرين من المنظور الجيوبولتيكي

الصراع الأمريكي الروسي في سوريا
إنعكاساته على القضية الكردية في روج آفا

داعش ، دولة هشة و إقتصاد رخو

الدولة التركية و داعش
دعم و علاقات

الأمن الوطني في شمال و شرق سوريا

رئيس التحرير: طـه خليل
مدير التحرير:ليلى سوار

المحررون:

د.أحمد سينو - نذير صالح - منذر محمد

التصميم: آزاد محمد - احمد ملا

تتم كافة المراسلات باسم رئاسة التحرير على البريد الالكتروني التالي:

nrls@nrlsrojava.com

لزيارة الموقع الالكتروني:

www.nrlsrojava.com

منشورات مركز روج آفا للدراسات الاستراتيجية NRLS

حقوق الطبع والنشر محفوظة

العدد 3 خريف 2020

المحتوى

مقاومة العصر في إقليم عفرين : إقليم عفرين من المنظور الجيوبوليتيكي 6

إعداد: مركز روج آفا للدراسات الاستراتيجية

الأمن الوطني في شمال وشرق سوريا 28

اعداد: مركز روج آفا للدراسات الاستراتيجية

داعش دولة هشة واقتصاد رخو.. بداية بلا نهاية 59

د. مهيب صالحة

الصراع الأمريكي الروسي في سوريا وتأثيراته على روج آفا 81

اعداد: مركز روج آفا للدراسات الاستراتيجية

الدولة التركية و "الدولة الإسلامية في العراق والشام".....93

اعداد: مركز روج آفا للدراسات الاستراتيجية

كلمة العدد

بداية نعتذر لقرائنا الأعزاء عن التأخير في إصدار عددنا الثالث من دراسات استراتيجية نظرا للظروف الاستثنائية التي مررنا بها كما مر بها العالم، ونعني بها ظروف انتشار جائحة كورونا وتعطيلها لحركة العمل وبرامجه في مختلف انحاء العالم.

في عددنا الثالث حاولنا قدر الإمكان ان نتناول ملفات ومواضيع تمس الوجود الاستراتيجي لشعبنا نتيجة للاخطار المحدقة به، سواء كانت أخطار عسكرية يتم تنفيذها من قبل دولة الاحتلال التركي ومرتزقتها ممن يسمون بـ " الجيش الوطني السوري " والذين قاموا باحتلال كل من عفرين وكرى سبي (تل ابيض) وسرى كانيي، أمام مرأى ومسمع كل العالم، ففي عفرين واجه شعبنا الآلة العسكرية التركية وتقنياتها وطائراتها، لشهرين بمقاومة قل نظيرها في تاريخ الأمم والشعوب، في الوقت الذي كانت الدوائر التركية تعتقد انها ستحتل عفرين في أقل من عشرة أيام، ولهذا ان دراسة هذه المقاومة وفهم آلياتها انما تعتبر بعدا استراتيجيا يمكن البناء عليه، وكذلك الاستفادة من الأخطاء التي حصلت في التكتيك او الاستراتيجية الدفاعية في إقليم عفرين.

وكذلك ثمة أخطار أمنية تستهدف الاستقرار في مناطق روج افاي كردستان وشمال وشرق سوريا عامة، فموضوع مثل مفهوم الأمن الوطني قلما تم تناوله، من قبل المؤسسات ومراكز البحث المتعددة في كردستان، حيث ان هذا المفهوم يعد العمود الفقري في بقاء الشعوب والحفاظ على مؤسساتها لا سيما تلك التي تتعرض لكل أشكال الهجوم والتغييرات الديموغرافية بهدف الإبادة التامة ونزع السكان من أرضهم وتاريخهم وطمس ثقافتهم، وهذا ما تخطط له العديد من الدوائر الاستعمارية لاسيما دوائر الاستخبارات في دولة الاحتلال التركي، من هنا حاولنا التطرق لهذا الجانب في عددنا هذا.

وبالطبع كان لابد من إلقاء نظرة متفحصة لنشوء وزوال " دولة داعش " وكذلك علاقات تركيا معها ومدها بكل ما تستطيع من الأموال والأسلحة والمقاتلين، لتكمل جهات التهديد (من الشمال والشرق تركيا ومرتزقتها ومن الجنوب داعش) ولهذا سقوط داعش العسكري كان بمثابة تهديم جدار من الطوق الذي كانت ترتأيه تركيا حول روج افا وشمال شرق سوريا.

سنحاول في كل عدد من " دراسات استراتيجية " ان نتناول مواضيع تهم مسألة الوجود لشعبنا، ومن منظور استراتيجي ومعرفي، وبالتالي ندعو كافة المهتمين من الكتاب والمحللين الاستراتيجيين ان يمدونا بأفكارهم وكتاباتهم التي ستكون محل ترحيب لدينا.

رئيس التحرير

.

مقاومة العصر في إقليم عفرين :

إقليم عفرين من المنظور الجيوبوليتيكي

إعداد: مركز روج آفا للدراسات الاستراتيجية

القسم الأول

في أعوام 1258م اجتاحت الجحافل المغولية المنطقة بقيادة "هولاكو"، في الفترة التي كانت المنطقة تتعرض لحملات عسكرية من قبل الصليبيين القادمين من أوروبا، والذين كانوا قد أسسوا أول إمارة لهم في انطاكية بين عامي 1096-1099م؛ وتعرضت بغداد التي كانت رمزاً للحضارة في ذلك العصر وبقية المدن الأخرى للدمار على يد المغول، وذلك بعد أن تمكن المغول من القضاء على مقاومة عشائر اللور الكردية القاطنة في جبال زاغروس حيث كانت تشكل حاجزاً عسكرياً مهماً أمام تقدمهم؛ ارتكبت تلك الجحافل أعمالاً كارثية رهيبة بحق الحضارة والبشرية بحسب المؤرخين، وتشير المصادر إلى أنَّ للخلاف المذهبي بين المسلمين (السنّة والشيعة)، وتواطؤ أوخيانة "ابن العلقمي" وزير المستعصم بالله آخر خليفة عباسي مع المغول، وانكسار خط الدفاع الكردي المتمثل بعشائر جبال زاغروس الكردية؛ كانت من أبرز العوامل التي مكّنت المغول من التوسع في المنطقة؛ واستمرار تداعيات أعمالهم قروناً عديدة حتى وقتنا الراهن، فـ*"الحروب التي شنّها المغول والأتراك لم تجلب إلا الشرّ"* كما يرى عالم النفس سيغموند فرويد[1]؛ ويتكرر المشهد مجدداً بحسب مقاييس العصر وبصورة مصغرة في سوريا، التي تحولت بعد عام 2011م إلى بؤرة صراع شديدة بين قوى دولية وإقليمية ومحلية مختلفة، وتعرضت أجزاء منها لاحتلال مغولي/تركي جديد، وأصبحت البلاد ساحة لتصفية الحسابات وإعادة رسم خارطة النفوذ بين تلك القوى، عبر تجدد الأحلاف الساعية إلى تنفيذ مشاريع ومخططات قديمة وجديدة.

يروي كل جزء من الجغرافيا السورية أحداثاً مؤلمة أصابت المواطن السوري وسببت له حالة من الضياع والكثير من المعاناة، ورغم ذلك بقيت مناطق في سوريا طاهرة من نجاسة الحرب وبشاعة مؤججيها، ونجت من فظاعة الصراع الدموي، واستطاعت أن تحمي نفسها وتأوي آلاف السوريين النازحين، وأن تقيم كياناً سياسياً ديمقراطياً في مناطق روج آفا- شمال سوريا، كياناً متميزاً عن الكيانات الأصولية والشمولية والظلامية والشوفينية التي لطخت الجغرافيا السورية

[1] سيغموند فرويد، أفكار لأزمنة الحرب والموت، ترجمة سمير كرم، دار الطليعة للطباعة والنشر (بيروت)؛ الطبعة الثانية 1981. هذه الأفكار جاءت في خطابات بعنوان "لماذا الحرب؟" في عام 1932م وكان هذا عنوان خطابات مفتوحة متبادلة بين البروفيسور ألبرت آينشتاين وفرويد، وهذه الخطابات حلقة في سلسلة تبادلات مماثلة نظمها "المعهد الدولي للتعاون الفكري" تحت رعاية "عصبة الأمم"، وقد نشر خطاب فرويد باللغات الألمانية والفرنسية والانجليزية في وقت واحد في باريس عام 1933م – بحسب المترجم.

بالسواد؛ وهناك بعض المناطق لاتزال محتلة من قبل القوات التركية ومرتزقتها، والتي أحتلت أيضاً أجزاء واسعة من إقليم عفرين بعد تعرضها لحملة شرسة في مطلع عام 2018م سنأتي إلى ذكرها لاحقاً، وهناك الكثير من الدعوات التي تصدر من تلك المناطق المحتلة لقوات سوريا الديمقراطية المعروفة اختصاراً بـ"قسد/ QSD/SDF" من أجل تحريرها من المحتلين؛ كان إقليم عفرين يعد من أكثر المناطق السورية هدوءاً وأماناً في غربي سوريا، وتحول إلى مقصدٍ لآلاف السوريين النازحين من أتون الحرب، علماً أنَّ لعفرين مكانة مرموقة في الذاكرة السورية والوجدان الكردي، فعندما يكون الحديث عن الزيتون يذكر أشجار عفرين، وعندما يذكر الأبطال والوطنية يذكر أبناء عفرين، وعندما يستذكر التاريخ الكردي القديم يذكر المواقع الأثرية والجبال في إقليم عفرين، حيث كانت تعد من أهم مناطق الحضارة الهورية أسلاف الشعب الكردي؛ هذه البقعة الناجية من الأزمة السورية لم ترق لنظام أردوغان المتشبع ببطش المغول ولأتباعه من الجماعات الأصولية والظلامية والشوفينية كالإخوان المسلمين[2] وجبهة النصرة الإرهابية والمرتزقة القادمين من أواسط آسيا كالحزب الإسلامي التركستاني الإرهابي، والبعض من ذوي النفوس المريضة ومن المجرمين والرجعيين الذين أفرزتهم الأزمة السورية، أصحاب الأخلاق المنحطة ودعاة الكراهية ومخربوالحضارة؛ ولأسباب غير مقنعة اجتمعوا جميعاً ضد الديمقراطية وفكرة أخوة الشعوب الساعية إلى خلاص الإنسان المتمثل بالمواطن السوري من بؤسه وشقاءه؛ اجتمعوا بقيادة رجب طيب أردوغان، هذه الشخصية المثيرة للجدل والمستحوذة على ذهنية هؤلاء المرتزقة، والتي تعاني من جنون العظمة والبارانويا[3] وكذلك حالة الفصام في الشخصية السياسية والتي تقود تركيا، حيث تعتاش على التناقضات التي شوشت الكثيرين في الشرق الأوسط، كالرغبة في الدخول إلى الاتحاد الأوروبي والبقاء في حلف شمال الأطلسي والذي يشكل الحلم التركي، وبنفس الوقت التعاقد مع روسيا خصم الناتووالتفاهم الاستراتيجي مع الجمهورية الإسلامية الإيرانية، ورعاية المنظمات الراديكالية التي تهدد الأمن الأوروبي، وعدم تطبيق المعايير والمبادئ الديمقراطية وخنق الحريات؛

[2] تأسست جماعة الإخوان المسلمين في سورية في العام 1942م بمبادرة من مصطفى السباعي، وهي تُعد امتداداً لجماعة الإخوان المسلمين في مصر التي أسسها حسن البنا في العام 1928م. ومن أهم معاقلها مدن حماة وحمص ودمشق وحلب وإدلب. شارك الإخوان في العمل السياسي في سورية منذ العام 1946م، وكان لهم نواب في البرلمان، وشاركوا في الحكومة حتى العام 1963م. لكن عندما تولى حزب البعث السلطة سعى إلى إضعاف الجماعة، فصدر قرار بحظرها في العام 1964م. في حينه اغتالت عناصر مسلحة من الإخوان المسلمين مسؤولين حكوميين ونفذت تفجيرات لمبانٍ حكومية ومكاتب لحزب البعث. وقد انشقت مجموعة "الطليعة المقاتلة" عن الجماعة في العام 1979م لتخوض عملاً مسلحًا ضد النظام، فقتلت 83 عسكرياً من الضباط الطلاب، من أبناء الطائفة العلوية حصراً في مدرسة المدفعية العسكرية في حلب. إثر هذه الأحداث، أصدر الرئيس السوري الراحل حافظ الأسد القانون الرقم 49 في العام 1980م الذي حظّر الحركة وعاقب كل من يثبت انتماؤه لها بالإعدام. استمر العنف بين الجانبين حتى شن النظام حملة لسحق الطليعة المقاتلة بعملية عسكرية كبرى استهدفت مدينة حماة في شباط/ فبراير 1982م، وبدأ التنظيم بالتراجع إلا أنَّ وصول حزب العدالة والتنمية إلى السلطة في تركيا وبداية ما يسمى بالربيع الشعوب أنعش التنظيم من جديد الذي بدأ بمباشرة نشاطاته السرية، وبشكل خاص بعد تلقي الدعم المباشر من قطر وتركيا، واستطاعوا الاستيلاء على السلطة في مصر بعد الاحتجاجات الشعبية ضد فساد نظام مبارك، وحاولوا تكرار الأمر في سوريا ومناطق اخرى إلا أنهم فشلوا في ذلك بسبب مشروعهم المذهبي الهدّام للمجتمعات، ورفض الشعوب للدول الشوفينية والمذهبية الشمولية بسبب ما لاقته من مآسي في عهودها.

[3] البارانويا ويطلق عليه أيضاً "جنون الارتياب، جنون الاضطهاد، وجنون العظمة". وهو مرض نفسي مزمن يتسم بالوهم، أي يؤمن المريض إيماناً وثيقاً بتعرضه للاضطهاد والملاحقة، ويفسر سلوك الآخرين تفسيراً ينسجم مع هذا الاعتقاد. الميزات الأساسية ثلاثة: الخوف من حصول شيء سيئ، الظن أن المسؤولية تقع على الآخرين، والاعتقاد أو الإيمان المفرط وغير المبني على أسس واقعية....

والرغبة في إقامة علاقات متينة مع دول الجوار تحت مسمى *"سياسة صفر مشاكل"* وبنفس الوقت فإنه يتدخل بشكل عدواني في شؤون الشعوب المجاورة؛ وهويدّعي الدفاع عن الإسلام وعن المقدسات وبنفس الوقت يتحالف مع الصهيونية التي تغتصب المقدسات الإسلامية وفق المفهوم الإسلامي، وكذلك التسبب بمقتل العشرات من المسلمين في داخل تركيا وسوريا من خلال تدخله السلبي في الأزمة السورية؛ ويدّعي الديمقراطية والقومية التركية ويقوم في الوقت نفسه بزج منتقديه من الأتراك في السجون ويسعى للإنقلاب على ما بناه أتاتورك، وغير ذلك من المفارقات؛ وعلى الرغم من أنه خاض مباحثات سلام مع أبرز المدافعين عن مفهوم أخوة الشعوب قائد الشعب الكردي والمفكر الأممي "عبدالله أوج آلان" بالإضافة إلى علاقاته المتينة مع بعض القوى السياسية في إقليم جنوب كردستان/ Başûrê Kurdistanê، إلا أن هذا الأمر لم يكن كافياً لمعالجة الفوبيا الكردية المسيطرة على الذهنية الفاشية والشوفينية والرجعية التركية؛ إنَّ هذه الازدواجية في الذهنية السياسية التركية قد جلبت بلاءً عظيماً على الشعب التركي بالدرجة الأولى ومن ثم على الشعوب الأخرى، حيث فقد الآلاف من الأتراك وغيرهم لحياتهم بسبب شهوة السلطة الفاشية[4]. ويؤكد على ذلك المفكر الأممي عبدالله أوج آلان[5] بالشكل التالي *"...إذ ثابر AKP على متابعة صعوده بإقامة العلاقات الحميمية مع رأس المال العالمي خارجياً، وبالإبقاء على قضية الدمقرطة عموماً وحل القضية الكردية خصوصا في الأجندة الدائمة داخلياً، حيث لجأ إلى التظاهر بحلها بدلاً من حلها فعلاً، وبالترويج والدعاية لحالة العقم والانسداد التي تعاني منها بؤر القوى المهيمنة المضادة في هذا الشأن (الجيش نسبياً، القضاء، CHP، MHP، والتنظيمات اليسارية التابعة)..."*.

تحت شعار حماية الأمن القومي يشن نظام أردوغان على رأس ثاني أكبر جيش في حلف الناتووأكبر تجمع للمرتزقة والإرهابيين في الشرق الأوسط، حرباً دموية ضد الكرد في روج آفا- شمال سوريا وضد الديمقراطية في إقليم عفرين، عبر أضخم عملية عسكرية يتم شنُّها على مساحة جغرافية صغيرة نسبياً لا تتجاوز نسبة 2% من مساحة الدولة السورية[6]، وضد شعب يقطن أرضه منذ آلاف السنين، وعاش بسلام مع جيرانه، وقاوم المعتدين على أرضه منذ مئات السنين، إنَّها عفرين التي تقاوم الهمجيين الجدد المتمثلين بالنظام التركي والأصوليين المنحرفين واللاهثين وراء السلطة وشهوة القتل والسلب.

---

[4] الفاشية Fascim هي حركة سياسية... مذهبها إقامة نظام ديكتاتوري غير برلماني يقوم على أساس تمجيد الدولة والعداء للديمقراطية والليبرالية والاشتراكية، وشعارها (كل شيء للدولة.. لاشيء ضد الدولة ولا شيء خارج الدولة). كما أن الفاشية لا يهمها سعادة الفرد واحترام حرياته وكرامته، بل لا يهمها سوى رفع شأن البلاد في الميدان الدولي... د. إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي، الموسوعة الاقتصادية والاجتماعية (عربي- انجليزي).

[5] عبد الله أوجالان، مانيفستو الحضارة الديمقراطية؛ المجلد الخامس؛ (القضية الكردية وحل الأمة الديمقراطية- دفاعاً عن الكرد المحصورين بين فكّي الإبادة الثقافية)، ترجمة زاخو شيار؛ الطبعة الثانية، مطبعة آزادي، ص222.

[6] تبلغ مساحة سوريا حوالي 185.180 كيلومتر مربع، بينما تبلغ مساحة منطقة عفرين الإجمالية حسب المصادر الرسمية 2050 كيلومتر مربع وفي مراجع أخرى حوالي 2027.75 كيلومتر مربع.

المراجع: http://www.fao.org/nr/water/aquastat/countries_regions/SYR/SYR-CP_ara.pdf

د. محمد عبدو علي، الوجود الكردي في شمال سوريا: منطقة جبل الأكراد (عفرين)- (دراسة تاريخية)، من منشورات لجنة الثقافة والاعلام- حزب الوحدة الديمقراطي الكردي في سوريا (يكيتي) تشرين الثاني 2016م، ص6.

د. محمد عبدو علي، جبل الكرد (عفرين)- دراسة جغرافية، عفرين 2009- النسخة العربية، ص14.

http://www.tirejafrin.com/pdf/jagrfya%20f1.pdf

مستغلاً ذهنية السذج والبسطاء والمرتزقة والإرهابيين في تمرير أجنداته، وبسبب تخاذل المجتمع الدولي وغياب القوى الوطنية، وخذلان النظام الروسي للثقة التي منحها الكرد وشعوب روج آفا- شمال سوريا له، وحجم المرتزقة المشاركين في العدوان، وفي ظل هيمنة روسيا على قرار النظام السوري بعد إبرام صفقة معه (والتي أطلقت عليها وسائل الاعلام اسم " *صفقة الغوطة مقابل عفرين*") وصفقات أخرى في مؤتمرات آستانا وسوتشي، ظنَّ أردوغان بأن السيطرة على عفرين لن تكون سوى عملية خاطفة ستخدم الدعاية التي تروج عنه بكونه السلطان الجديد والبطل المنقذ كما تروجه الدراما التركية، إلا أنه فوجئ بمقاومة ضارية من سكانها خنقت نشوة غروره وحجمت جبروته، وذكّرته بأن الكرد الذين حموا ودافعوا عن أرضهم وعن شعوب الشرق الأوسط ما زالوا قادرين على الدفاع ضد شروره.

من أجل التعرف أكثر على العدوان الذي يشهده إقليم عفرين، وإيصال حقيقة ما يحدث إلى الرأي العام الديمقراطي والشعبي سنقوم بتسليط الضوء على مقاومة العصر في عفرين ضد همج العصر، مُبرزين أهمية عفرين في جميع المجالات وعلى كافة الأصعدة، وأسباب الحملة الشرسة عليها ونتائجها، مستندين إلى التاريخ والجغرافيا وآراء المطلعين على الوضع من بعض السياسيين والعسكريين بالإضافة إلى الجهود المبذولة من قبل الزملاء من أعضاء مركز روج آفا للدراسات الاستراتيجية/ فرع عفرين، الذين قاموا بجهود كبيرة وكانوا قاب قوسين أوأدنى من خطر التعرض لإصابات قاتلة لتوثيق مقاومة عفرين وإيصال حقيقة ما يجري إلى الرأي العام المحلي والإقليمي والدولي، إلى جانب احصائيات الإدارة الذاتية الديمقراطية في عفرين، واعتماد أبحاث ودراسات وتقارير لبعض الأكاديميين والباحثين الكرد ومن أبناء إقليم عفرين، وتقارير بعض المنظمات الحقوقية، ودراسة الباحث روجيه ليسكوعن "*جبل الكرد وحركة المريديين*" وباحثين آخرين، وبعض مؤلفات المفكر الأممي عبدالله أوج آلان في سجن إيمرالي الانفرادي، إلى جانب المصادر والمراجع المفتوحة للمعلومات، كمراجع لبعض المعلومات، بالإضافة إلى تحليلات القائمين على هذه الدراسة؛ فعفرين بعد العدوان لم تعد عفرين كما كانت قبل العدوان.

تُثمّن هذه الدراسة تعاون الكثير من السياسيين والباحثين والحقوقيين السوريين والكرد، الذين أسهموا في إغناءها بالمعلومات والآراء المختلفة، وتخصيص وقت للإجابة على استفساراتنا وأسئلتنا بكل شفافية وموضوعية وبروح المسؤولية، لذلك نتوجه بالشكر مع حفظ الألقاب لكلٍ من:

هيفي مصطفى، الرئيسة المشتركة للإدارة الذاتية الديمقراطية في إقليم عفرين- هدية يوسف، الرئيسة المشتركة للفدرالية الديمقراطية لشمال سوريا- إلهام أحمد، الرئاسة المشتركة لمجلس سوريا الديمقراطية MSD- سينم محمد، ممثلة الإدارة الذاتية الديمقراطية في الولايات المتحدة الأمريكية- عبدالكريم عمر، رئيس مجلس العلاقات الخارجية في الإدارة الذاتية الديمقراطية في إقليم الجزيرة- الشيخ محمد الغرزاني، رئيس اتحاد العلماء المسلمين في مقاطعة الجزيرة- أفين جمعة الرئيسة المشتركة لمنظمة حقوق الإنسان في الجزيرة KMM- فراس قصاص، رئيس حزب الحداثة الديمقراطية في سوريا- الرئيسان المشتركان للمفوضية العليا للانتخابات روكن ملا إبراهيم وعزالدين فرحان في روج آفا- شمال سوريا؛ مصطفى بالي، الناطق الإعلامي لقوات سوريا الديمقراطية (قسد)- نوري محمود، الناطق الرسمي باسم وحدات حماية الشعب YPG. صالح

مسلم، عضوالعلاقات الخارجية في حركة المجتمع الديمقراطي Tev-Dem- الإعلامي هيوا محمود عثمان. وحاولنا التواصل مع آخرين وخصوصاً القادة الميدانيين المشاركين بشكلٍ مباشر في المقاومة، إلا أنَّ ظروفهم لم تسمح بذلك؛ علماً أنَّ هذا لم يمنع الاستماع إلى شهادة عدد من الذين كانوا حاضرين في مقاومة العصر ضد العدوان التركي على إقليم عفرين.

إقليم عفرين. (جياي كرمينج) من الناحية الجغرافية

يحتل إقليم عفرين جزءاً هاماً من الجغرافيا السورية، فهويمتد بين خطي الطول 36.33 درجة غرباً و37 درجة شرقاً؛ وخطي العرض 36.20 درجة جنوباً و36.50 درجة شمالاً، تقدر مساحتها بحوالي 2027.75 كيلومتر مربع[7]. ضمن مساحة تشغل الزاوية الجنوبية الغربية من كردستان، والزاوية الشمالية الغربية من الجغرافيا السورية في شمال حلب وبمحاذاة لواء اسكندرون المحتل من قبل الدولة التركية؛ يتميز الإقليم بتربة زراعية خصبة، وبمناخ متوسطي جبلي بسبب قربه من البحر الأبيض المتوسط، ففي الصيف يكون الطقس معتدل الحرارة، وفي الشتاء بارداً وأمطارها غزيرة تتراوح معدل هطولها بين 400-600 ملم وأحياناً تتساقط فيها الثلوج. ويعد الإقليم من المناطق الجبلية حيث تكثر فيها الجبال العالية ومتوسطة الارتفاع والتلال والوديان، ومعظم جبالها مأهولة بالسكان وصالحة للرعي، وسفوحها مناسبة لزراعة الأشجار المثمرة، يتراوح معدل ارتفاعها من 700 إلى 1269م. كان الإقليم قبل عام 2011م يتبع إدارياً لمحافظة حلب، وبعد إعلان الإدارة الذاتية الديمقراطية فيها بتاريخ كانون الثاني عام 2014م من قبل سكانها أصبحت تدير أمورها الداخلية بنفسها من خدمات وتجارة ودفاع وأمن ومحاكم، عبر الهيئات التشريعية والتنفيذية والقضائية والعسكرية، وتحولت إلى أكثر المناطق التي تشهد حالة سياسية ديمقراطية مستقرة في غرب سوريا ضمن مناطق روج آفا- شمال سوريا؛ وبعد إعلان مشروع النظام الفدرالي في شمال سوريا من قبل ممثلين عن كافة شعوب الشمال السوري، خضع الإقليم إلى قانون التقسيم الإداري الذي صدر بتاريخ 27\7\2017م من قبل المجلس التأسيسي للفيدرالية الديمقراطية لشمال سوريا، حيث تم تقسيم إقليم عفرين إلى مقاطعتين، هما مقاطعة عفرين ومقاطعة الشهباء، وقسمت مقاطعة عفرين إدارياً إلى ثلاث مناطق، وهي منطقة عفرين ومنطقة جنديرس ومنطقة راجو؛ قسمت كل منها إلى نواحي، بينما قسمت مقاطعة الشهباء إلى منطقة تل رفعت وثلاث نواحي. يشكل إقليم عفرين حوالي 2% من مساحة الجغرافيا السورية ويبلغ عدد سكانها حوالي نصف مليون نسمة، أرتفع العدد إلى أكثر من مليون نسمة بعد الأزمة السورية عام 2011م، نتيجة لجوء آلاف المدنيين إليها، حيث احتضنت عفرين قرابة 300 ألف نازح عربي، سكنوا في عفرين ونواحيها[8].

---

[7] د. محمد عبدو علي، جبل الكرد (عفرين)- دراسة جغرافية، عفرين 2009- النسخة العربية، ص14 ـــــ http://www.tirejafrin.com/pdf/jagrfya%20f1.pdf
وفي مراجع أخرى 2050 كيلومتر مربع. انظر:
د. محمد عبدو علي، الوجود الكردي في شمال سوريا: منطقة جبل الأكراد (عفرين)- (دراسة تاريخية)، من منشورات لجنة الثقافة والاعلام- حزب الوحدة الديمقراطي الكردي في سوريا (يكيتي) تشرين الثاني 2016م، ص6.

[8] تقرير من الإدارة الذاتية لعفرين والشهباء يشرح أوضاع أهالي عفرين ـ
https://hawarnews.com/ar/haber

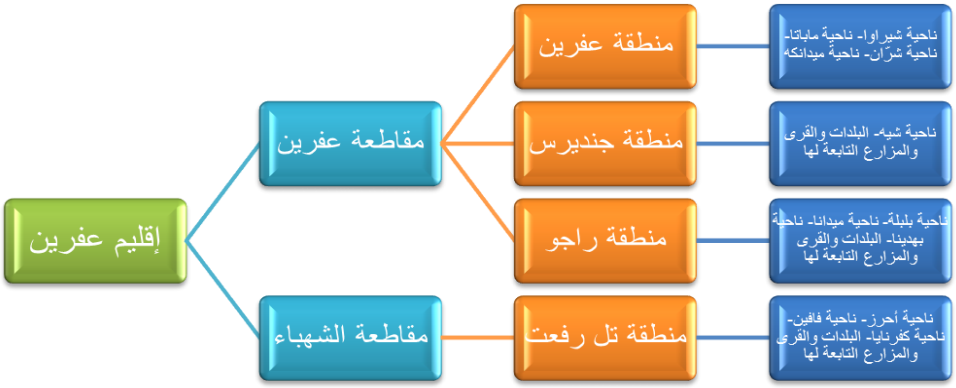

يمتاز إقليم عفرين بالتنوع الاثني والديني، فهناك الكرد الذين يشكلون الغالبية العظمى من السكان 98%، ونسبة ضئيلة من العرب والأرمن[9]، والمسلمون من اتباع المذهبين السنّي والعلوي، وينشط فيها بنسبة ضئيلة حركة تصوفية نقشبندية، بالإضافة إلى الإيزديين والمسيحيين؛ والمجتمع في عفرين له اهتمام كبير بالفن والثقافة حتى أنه يصنع معظم آلاته الموسيقية وألبسته، وتوجد روابط اجتماعية وثقافية قوية مع الكرد في الطرف الآخر من الحدود السياسية الفاصلة بين الدولتين سوريا وتركيا، في مناطق كلس وعنتاب ولواء اسكندرون، وكذلك مع باقي مناطق روج آفا- شمال سوريا. هناك أربعة عشائر رئيسية في إقليم عفرين بالإضافة إلى مجموعة من العشائر الفرعية والصغيرة والعائلات العريقة، العشائر الأربعة هي عشائر جوميان في الجنوب، وعشيرة شكاك في الشرق، وعشيرة أمّكان وشيخان في الغرب، وعشيرة بيّان في الشمال والجنوب[10].

- من الناحية الاقتصادية والتعليمية.

يحتوي إقليم عفرين على معامل وورشات كثيرة، حيث هناك نشاط إنتاجي جيد في مجال صناعة زيت الزيتون (250 معصرة زيتون)[11] والصابون والألبسة القطنية، ويتمتع بيد عاملة

[9] http://gulf2000.columbia.edu/images/maps/Syria_Ethnic_summary_lg.png

[10] Rojê Lêsko- Çiyayê Kurmênc û Tevgera Murûdan. Çiriya Pêşin 1990 Parîs- Rûpela 13- 12

[11] الزيتون في منطقة عفرين – http://www.tirejafrin.com/site/page3z.htm

متمرسة في مختلف الأعمال، وتشكل أشجار الزيتون مصدر الدخل الرئيسي لنسبة كبيرة من أبناء الإقليم، حيث يبلغ عدد أشجار الزيتون حوالي 18 مليون؛ أما كمية إنتاج الزيت فتقدر بـ 270 ألف طن في الأعوام المثمرة، وحوالي 75 ألف طن في السنوات الأخرى؛ ويحتل الإقليم مرتبةً متقدمة في إنتاج الرمان على مستوى سوريا[12]؛ ويعتبر الإقليم من المناطق الغنية بالثروة المائية في روج آفا- شمال سوريا، حيث تحوي على نهر عفرين، ويجري على حدودها الغربية Çemê Reş أي النهر الأسود، بالإضافة الى عشرات الينابيع والجداول مما يدل على وجود مخزون جيد من المياه الجوفية، وكذلك المعدلات المناسبة للهطولات المطرية، إلى جانب بعض الثروات الباطنية كالحديد والكروم والأسبستوس والنحاس والفوسفات وحجر السجيل الزيتي والمواد الأولية للبناء والرخام إلى جانب النفط (حقل بافلون النفطي)[13]. يولي أبناء الإقليم أهمية كبيرة للعلم فهناك نسبة كبيرة من المثقفين والفنانين والأكاديميين والجامعيين ذوي الشهادات العالية إلى جانب دراسة المئات من شبّان وبنات الإقليم في مختلف الجامعات والمعاهد السورية، وقد افتتحت فيها عام 2015م أول جامعة في روج آفا- شمال سوريا باسم "جامعة عفرين".

- من الناحية التاريخية.

كان يطلق على القسم الرئيسي من الإقليم اسم جبل كورمينج Çiyayê Kûrmênç، والكُرمانج أوالكورمينج كما يلفظها أبناء الإقليم هم أحد الأقسام الرئيسية للشعب الكردي (اللور والكلهور والكوران والكُرمانج)، وفي العهد العثماني تم تبديل أسمها إلى "كرد داغ" وهوالمعنى المترجم للاسم الأصلي؛ وبقي هذا الاسم متداولاً في العهد الفرنسي. واستناداً إلى سياسة التعريب التي استهدفت تغييب كل ما هوكردي من قبل القوى الشوفينية، أطلق عليها اسم عفرين نسبة إلى نهر عفرين الذي يمر فيها وتم تهميش الاسم التاريخي؛ قد يكون الشوفينيين غير مدركين بأنَّ اسم عفرين أيضاً كردي ويعني مجرى الماء Avrên، كما واستبدل اسم الجبل (جبل كورمينج) إلى اسم جبل حلب، على الرغم من البعد الكبير للجبل عن مدينة حلب، بالإضافة إلى تبديل اسماء المئات من المناطق والقرى والنواحي الكردية إلى اسماء عربية، إلا أن اسم جبل الكرد بقي راسخاً في ذهنية سكان الإقليم ولا يزالون يتداولونه إلى اليوم؛ علماً أن هناك منطقتان تحملان اسم جبل الكرد، الأولى تقع ضمن مثلث (حلب- عنتاب- انطاكية) وهذا يشكل القسم الرئيسي لإقليم عفرين، أما الثانية تقع في الريف الشمالي الشرقي لمدينة اللاذقية – ضمن مثلث طريق حلب اللاذقية وناحية صلنفة من الجنوب وقساطل من الغرب- وتضم نحوخمسين قرية سكانها ذوي أصول كردية.

بعد نهاية الحرب العالمية الأولى وهزيمة السلطنة العثمانية انقسم الإقليم إلى قسمين، بموجب الاتفاقيات التي وقعت بين بريطانيا وفرنسا؛ ومن ثم الاتفاقيات التي وقعت بين فرنسا والدولة التركية الجديدة بقيادة أتاتورك، حيث تم ضم قسم منها إلى الدولة التركية الجديدة والمحتلة لشمال كردستان/ Bakurê Kurdistanê، وقسم بقي تحت السيطرة الفرنسية.

[12] موقع كانتون عفرين – http://cantonafrin.com/ar/pages/About%20Economy.html

[13] للمزيد انظر: د. محمد عبدو علي، جبل الكرد (عفرين)- دراسة جغرافية، عفرين 2009- النسخة العربية، ص22. http://www.tirejafrin.com/pdf/jagrfya%20f1.pdf

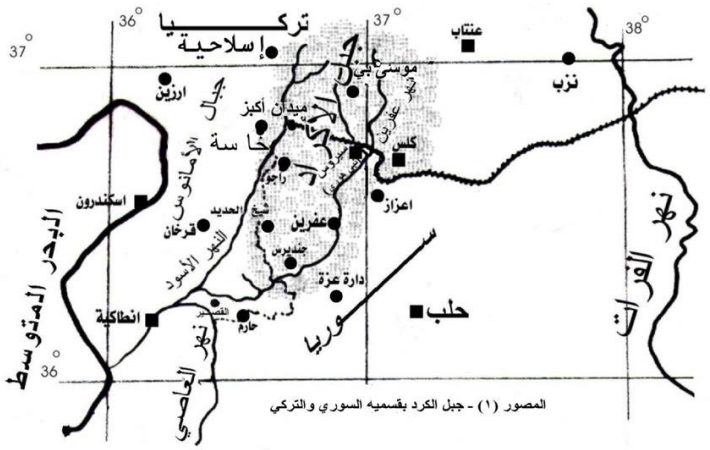

إقليم عفرين[14]

لقد كانت منطقة عفرين مأهولة بالسكان منذ آلاف السنين وكانت مركزاً مهماً في الحضارة الميتانية والهورية أسلاف الشعب الكردي، وتزخر جغرافيتها بالعديد من المواقع الأثرية التي تعود لمختلف العصور، حيث اكتشف في كهف دودريا Duderya في جبل ليلون هيكل عظمي لطفل يعود إلى الإنسان العاقل، وكذلك من أهم المواقع الأثرية موقع عين دارا الذي يعود إلى 3500 سنة قبل الميلاد، وهومسجل لدى منظمة اليونسكوكموقع تاريخي، وقد تم تدمير أجزاء كثيرة منه نتيجة قصفه من قبل الطائرات التركية أثناء العدوان، وكذلك ناحية شيروا وغيرها.

فمنذ الألف السادس قبل الميلاد وإلى بداية الألف الثالث ق.م، استناداً إلى بعض المصادر والدراسات[15] كان كلٌّ من جبل Gewr أي جبل الأمانوس وسيروس (جبل كورمنيج/جبل الأكراد) مسكوناً في بادئ الأمر من قبل مجموعات بشرية وفدت من جبال كردستان (زاغروس وطوروس)[16]، وحدثت هذه الحركة الاستيطانية الأخيرة، قبل وصول أولى الهجرات السامية إلى جنوبي بلاد الرافدين بحوالي ثمانية قرون. وحوالي عام 2300 ق.م تعرضت المنطقة للغزومن قبل الملك الأكادي سارجون الأول، لإخضاع شعبها والسيطرة على أخشاب جبال الأمانوس، ويذكر العلّامة محمد أمين زكي بأنه في عهد الأكاديين كان اسم "سوباري" عبارة عن تعبير جغرافي يدل على بلاد واسعة جداً تمتد من الشمال الغربي في بلاد إيلام الى جبال الأمانوس، ثم أصبح الاسم

[14] د. محمد عبدو علي، الوجود الكردي في شمال سوريا: منطقة جبل الأكراد (عفرين)- (دراسة تاريخية)، من منشورات لجنة الثقافة والاعلام- حزب الوحدة الديمقراطي الكردي في سوريا (يكيتي) تشرين الثاني 2016م.
مروان بركات، عفرين عبر العصور (بحث جيولوجي، تاريخي، جغرافي، أثري موثق)، الطبعة الأولى 2008، دار عبد المنعم للنشر (حلب؛ سوريا).

[15] د. محمد عبدو علي، جبل الكرد (دراسة تاريخية اجتماعية توثيقية) موقع تيريج عفرين. https://www.tirejafrin.com/
مروان بركات، عفرين عبر العصور (بحث جيولوجي، تاريخي، جغرافي، أثري موثق)، الطبعة الأولى 2008، دار عبد المنعم للنشر (حلب؛ سوريا).

[16] نفس المرجع السابق.

يُطلق على عشائر كبيرة في كردستان[17]؛ وحوالي عام 1900 ق.م خضعت للهيمنة المصرية (الفراعنة)، وفي نهاية الربع الأول من الألف الثاني ق.م انضم سكانها من الهوريين أسلاف الشعب الكردي إلى المملكة الهورية الممتدة من مدينة نوزي (كركوك) إلى السواحل الشرقية للبحر الأبيض المتوسط، واكتشف فيها أول نوتة موسيقية مدونة في العالم لأنشودة دينية باللغة الهورية، ثم انضمت إلى المملكة الميتانية حوالي 1595-1447 ق.م؛ ثم خضعت للهيمنة المصرية من جديد في عهد تحوتمس الأول واستطاع الميتانيون دحرهم، وفي عام 1370ق.م خضعت للحكم الحثي؛ ثم تعرضت المنطقة لغزوالقبائل الآرامية حوالي عام 1200ق.م لتسقط بيد الآشوريين عام 738ق.م، في زمن الملك الآشوري "تيغلات بلازر الثالث"؛ وبعد إنهيار الإمبراطورية الآشورية حوالي عام 612 ق.م انضمت المنطقة إلى الإمبراطورية الميدية؛ وحوالي عام 333ق.م[18] خضعت للإسكندر المقدوني بعد هزيمة الملك الفارسي دارا الثالث في معركة إيسوس، وبعد وفاة الإسكندر حوالي سنة 323ق.م[19] كانت هذه المنطقة من نصيب القائد الإغريقي سلوقس الذي اتخذ من مدينة أنطاكية التي كانت تتبع لها المنطقة عاصمة ثانية له؛ وفي سنة 64 للميلاد، دخل الرومان سوريا وأصبحت مقاطعة رومانية وعاصمتها أنطاكية. وفي عام 637 م استولى المسلمون في عهد خلافة عمر بن الخطاب على المنطقة بقيادة أبي عبيدة بن الجراح وعياض بن غنم؛ وفي عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبدالملك حوالي 707م تم تهجير الجراجمة أجداد الموارنة من مدينة مرعش إلى المنطقة حيث كان للكاهن "مار مارون" دور في اعتناق سكان جبل ليلون\جبل سمعان الدين المسيحي؛ وفي العهد العباسي 750-1256م تحولت المنطقة إلى خطوط تماس بين الإمبراطوريتين العباسية والبيزنطية، وكذلك البيزنطية والحمدانية في عام 944م؛ وانتهت الدولة الحمدانية في حلب حوالي عام 1001م، بسيطرة المرداسيين عليها، حيث تأسست الإمارة المرداسية فيها. تنازع كل من المرداسيين والفاطميين على حكم حلب حتى حوالي عام 1079م، إلى أنْ استولى عليها السلاجقة وجعلوها أحد المراكز الرئيسية لحكمهم. أما انطاكية فقد انتزعها أحد سلاطين السلاجقة سليمان بن قتلميش من البيزنطيين سنة 1084م. وفي حوالي سنة 1105م استولى الصليبيون على هذه المنطقة في حملتهم الأولى، لتبدأ مرحلة جديدة بعد قيام الدولة الأيوبية 1174- 1263م[20]. وفي بداية الألفية الثانية بعد الميلاد، وبعد انهيار الدولة الأيوبية على يد المماليك بدأت المنطقة تخضع تدريجياً لهيمنة سلطة الأتراك القادمين من أواسط آسيا، حيث قام أمراء حربها بالتنكيل بشعوب المنطقة لترسيخ سلطتهم وبمختلف الوسائل الممكنة، وكان ولا يزال استغلال الدين من أجل ذلك وسيلة رئيسية في ذلك.

---

[17] محمد أمين زكي، خلاصة تاريخ الكرد وكردستان من أقدم العصور التاريخية حتى الآن؛ ترجمة محمد علي عوني، الجزء الأول، الطبعة الثانية، 1961، ص67.

[18] أ.م.د. قيس حاتم هاني الجنابي، الإسكندر المقدوني ومشروعه العالمي في بابل، كلية التربية الأساسية/ جامعة بابل، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، المجلد5/ العدد1، ص213

[19] نفس المرجع السابق، ص224.

[20] د. محمد سهيل طقوش، تاريخ الأيوبيين في مصر وبلاد الشام وإقليم الجزيرة (569-661هـ/ 1174- 1263م)، دار النفائس (بيروت- لبنان)، الطبعة الثانية 2008م، ص7.

- الحياة السياسية في إقليم عفرين.

لا يستطيع الإنسان وبشكلٍ خاص الشرق أوسطي أن يعيش بمعزلٍ عن جماعة، سواء أكانت عائلة أوعشيرة أوطائفة أوحزب أومنظمة أوغير ذلك، ويعتبر إقليم عفرين جزءاً من هذا الواقع، إلا أنَّ غالبية الشعب هناك لا يولون أهمية كبيرة لنشاط الحركات والأحزاب السياسية بقدر اهتمامهم بالعيش الكريم والمساواة والعدالة والشعور بالانتماء إلى الأرض والثقافة والتاريخ؛ ومنذ بداية القرن العشرين ومع تطور المشهد السياسي في المنطقة، ظهرت في الزاوية الشمالية الغربية للجغرافيا السورية بعض الحركات الدينية والقومية، وبعض الشخصيات الفكرية لعل عبد الرحمن الكواكبي كان من أبرز تلك الشخصيات والذي لجأ إلى مصر خوفاً من بطش العثمانيين. وكمفرزات ناتجة عن انهيار السلطنة العثمانية بعد الحرب العالمية الأولى، ودخول القوات الفرنسية إلى الجغرافيا التي عُرفت فيما بعد باسم سوريا، والمعاناة التي عاشها المواطنون نتيجة لذلك، انقسمت الحياة السياسة آنذاك في البداية بين ثلاثة تيارات، التيار المعادي للعثمانيين والذي اعتبر الشريف حسين من الأسرة الهاشمية المرجعية الدينية التي يجب الموالاة لها، حيث كان الشريف حسين قد أعلن الجهاد ضد العثمانيين وتمكن بمساعدة البريطانيين من طردهم إلى حدود جبال طوروس إبان الحرب العالمية الأولى؛ والتيار الموالي للسلطنة العثمانية وقد تمثل غالبيتهم بأتباع الطريقة النقشبندية والإقطاعيين المحسوبين على السلطنة، وقد قاوموا لأسباب دوغمائية ورجعية وأحياناً سياسية القوات الفرنسية والإنكليزية والتيار الفاشي التركي لاحقاً بقيادة مصطفى كمال أتاتورك الذي أنقلب على السلطنة العثمانية؛ أما التيار الثالث فهم بعض البرجوازيون والإقطاعيون وعامة الشعب، والذين كانوا دائماً وتحت حكم أي سلطة كانت يحاولون التقرب من تلك السلطة، إما لكسب ودّها أوإتقاءً لشرّها، أولاعتبارات سياسية؛ أما السعي نحوإقامة حالة سياسية كردية خاصة فقد كانت غير مطروحة بقوة بسبب غلبة الشعور الديني على الشعور القومي الذي تنامى فيما بعد كردة فعل على الايديولوجيات القومية التي سادت في المنطقة.

من المفيد ربط الوضع الجيوبوليتيكي الحالي لإقليم عفرين بتطور الحالة السياسية للإقليم على مدى مئات السنين بالشكل التالي:

1. تطور الحالة السياسية في الإقليم بعد تعرضها لغزوات التتار المغول والصليبيين.

يتميز إقليم عفرين، كونه جزء مهم من مناطق روج آفا- شمال سوريا ضمن منطقة الشرق الأوسط، بخصوصية سياسية تمتد لمئات السنين؛ والواقع السياسي في إقليم عفرين وما يشهده حالياً من أحداث دراماتيكية يمكننا أن نعتبره كامتداد للمرحلة التي بدأت بغزوالمسلمين والصليبيين لشرق البحر المتوسط إلى وقتنا الراهن؛ وكل مرحلة استقرار كانت تظهر لم تكن تستمر لمدة طويلة حتى تبدأ مرحلة جديدة، أحياناً كان يرافقها الكثير من العنف. لقد كانت المنطقة ساحة للصراع بين الإمبراطوريات المختلفة (اليونان والفرس، الفرس والرومان، العرب المسلمون والبيزنطيين..إلخ)؛ وقد شهد إقليم عفرين[21] بعد القرن العاشر الميلادي الكثير من الأحداث السياسية التي عصفت به؛

[21] محمد أمين زكي، خلاصة تاريخ الكرد وكردستان من أقدم العصور التاريخية حتى الآن، ترجمة محمد علي عوني، الجزء الأول، الطبعة الثانية، 1961، ص67.

فكانت من أوائل الساحات التي تعرف عليها الملوك والقادة والفرسان الأوروبيون، الذين توجهوا بجحافلهم إلى بلاد الشام تحت شعار "*تحرير بيت المقدس من المسلمين*"، ففي سنة 1105م أسس الصليبيون إمارة لهم في أنطاكيا والتي شملت مناطق جبل الكرد بعد أن استولوا عليها في حملتهم الأولى، وحدثت معارك كثيرة بينهم وبين السلاجقة للسيطرة على المنطقة، إلى أن استلم عماد الدين الزنكي إمارة حلب سنة 1128م وبدأت معه فترة حكم الزنكيين في حلب وبلاد الشام، وكانت لهم معارك كثيرة مع الصليبيين، وفي سنة 1175م استلم الأيوبيون الحكم في شمالي سوريا بعد أن تمكن صلاح الدين الأيوبي من تحرير إعزاز من الصليبيين، بعد حصارٍ دام شهراً، ودام حكم الأيوبيين إلى أن اجتاحت المنطقة جحافل التتار والمغول بقيادة هولاكو، والذين احتلوا اعزاز وحارم وجبل الكرد (إقليم عفرين) سنة 1258م، إلا انهم انهزموا على يد المماليك البرجية سنة 1260م بمساعدة القبائل الكردية، ليخضع إقليم عفرين لإمارة إحدى عشائرها بقيادة الأمير "مند" ذي الأصول الإيزدية، والذي أنشأ إمارة كلس وتلقى الكثير من الدعم من زعماء الإيزدية الذين كانوا يقطنون في المنطقة، وسعت المماليك البحرية إلى القضاء على هذه الإمارة وتحريض "الشيخ عزالدين" الذي يعود بنسبه إلى أحد شيوخ الإيزدية ضد قاسم بك (حفيد الأمير مند) إلا أنهم فشلوا في الاستيلاء على الإمارة، واستمر الوضع إلى أن احتل العثمانيون البلاد بعد هزيمة المماليك في معركة مرج دابق التي وقعت في 24 آب عام 1516م في الطرف الشرقي من الإقليم، والتي نشبتْ بين المماليك بقيادة قانصوه الغوري والعثمانيين بقيادة سليم الأول، حيث كان للقبائل الكردية دورٌ محوريٌّ في الانتصارات التي حققها العثمانيون على المماليك في تلك المعركة وكذلك انتصاراتهم في معاركهم ضد الصفويين، حيث تعتبر معركة جالديران 1514م من أهم تلك المعارك؛ وبعد شعور السلطان العثماني بقوة الأمير قاسم بك تم تصفيته وأسر أبنه الصغير في السنّ "جان بولات" الذي تم إرساله إلى الآستانة عاصمة السلطنة، وكنتيجة لدهائه وشجاعته عيّنه السلطان على إمارة كلس التي أنشأها جده الأمير "مند"[22]، إلا أنّه في حدود سنة 1611م تم القضاء على الإمارة المندية من قبل السلطنة العثمانية[23]، وأُلحقت إمارة كلس سياسياً وإدارياً بولاية حلب، وتولى إدارة أمورها عددٌ من الأمراء الكرد من عشيرة روباري ورشوان وغيرهم، وطوال تلك الفترة لعب الكرد الإيزديون دوراً مهماً في الأحداث[24]؛ وحوالي عام 1810م خضعت المنطقة لسيطرة إبراهيم باشا ابن محمد علي باشا والي مصر أثناء فترة انقلابه على السلطنة العثمانية، وبعد فترة قصيرة نسبياً تم إعادتها مرة أخرى إلى سيطرة السلطنة العثمانية، التي عينت عليها ولاة مخلصين للسلطان.

لم يتمكن الزعماء الكرد الذين وصلوا إلى مراكز مهمة من تشكيل كيانات ذات طابع كردي على غرار الكيانات الأخرى ذات الطابع العربي والفارسي والتركي، وتعددت التفسيرات

---

[22] وإليه تنسب عائلة جنبلاط (جان بولات) الدرزية في لبنان، حيث كان هناك تواصل قديم منذ حوالي 1630م بين الإمارة الكردية وأمراء لبنان المعنيين الدروز... بعد القضاء على الإمارة المندية "التحق سعيد بك جان بولات سنة 1630م بالمعنيين الدروز أمراء لبنان "... التي كانت لأسرته معها روابط قديمة. حيث يقال أن الأسرة المندية، اعتنقت المذهب الدرزي منذ أيامها الأولى في جهات حلب..." انظر: د. محمد عبدو علي، الوجود الكردي في شمال سوريا: منطقة جبل الأكراد (عفرين)- (دراسة تاريخية)، من منشورات لجنة الثقافة والاعلام - حزب الوحدة الديمقراطي الكردي في سوريا (يكيتي)، تشرين الثاني 2016م، ص24.

[23] نفس المرجع السابق، ص24.

[24] Rojê Lêsko- Çiyayê Kurmênc û Tevgera Murûdan. Çiriya Pêşin 1990 Parîs- Rûpela 13-12

بخصوص ذلك، البعض فسّرها بالتعصب الكردي للدين وتهميش الانتماء القومي، وهناك من فسّرها بقدرة تلك الشعوب الثلاثة على استغلال الكرد في الحروب التي كانت تُنشب بينهم، وكذلك تأليب الإقطاعيين الكرد ضد بعضهم، إلا أنَّ التفسير الأكثر واقعية قدمه المفكر الأممي عبدالله أوج آلان بالشكل التالي[25] *"...يتعلق السبب الجذري الأول في العجز عن تطوير الحركة القومية الكردية المعاصرة، بنمط التكوين التاريخي للشريحة الفوقية الكردية. إذ هناك اعتلال وانحراف في طراز تكوين هذه الشريحة، منذ تقوض وانهيار الكونفدرالية الميدية. تسرد في كتاب "تاريخ هيرودوت" حكاية معنية بالانهيار على الشكل التالي: يقول آخر ملوك الميديين أستياغ لهرباكوس الذي خانه: "أيها السافل، لقد خنتني، وقمت بتدمير مملكتي. فليتك جلست مكاني على العرش. وما دمت لم تفعل، فليتك تركت الملوكية في يد الميديين على الأقل. لماذا سلمتها بسفالة لخادمنا البرسي كيروس؟"*. *إننا نجهل مدى صدق هذه القصة من عدمه. ولكنها تتحدث بأفضل صورة عن تكوين الشريحة الفوقية الكردية المتواطئة. إذ لطالما أهدت عناصر الشريحة الفوقية نفوذ السلطة إلى مؤسسي الهيمنة على شعوبها، كرمى لمصالحها الشخصية أوالعائلية البسيطة. وإلى جانب حالات الاستثناء، فقد أثرت هذه الذهنية والوقفة إلى يومنا الحالي..فالخصائص العائلية والأنانية الشخصية ظلت في عقلية الكردايتية في المرتبة المتقدمة طيلة سياق التاريخ..."*.

2. نشاط الإسلام السياسي في إقليم عفرين بعد عام 1900م.

أثناء المعارك بين السلطنة العثمانية والحلفاء في الحرب العالمية الأولى وقف البعض من الزعامات المحلية والدينية في إقليم عفرين إلى جانب السلطنة العثمانية من منطلق محاربة الكفار، حيث كانت السلطنة قد أعلنت مسبقاً الجهاد ضد الحلفاء، وفي السنوات الأخيرة من الحرب العالمية الأولى دخلت قوات المشاة العربية التابعة للشريف حسين وقوة الفرسان البريطانية حلب[26] والمنطقة في 1918/10/26م، بينما احتلت القوات الفرنسية لواء اسكندرون في 1918/12/7م وفي تشرين الثاني 1919م سلّم الجنرال الإنكليزي "اللنبي" إدارة سوريا وكليكيا إلى المندوب السامي الفرنسي الجنرال "غورو"، وفي عام 1920م احتلت فرنسا سوريا بشكل مباشر بعد معركة ميسلون في 24 تموز من عام 1920م، ودخول القوات الفرنسية إلى دمشق؛ وكان للآغوات والزعماء الدينيين ورؤساء العائلات في الإقليم دورٌ في إدارة شؤون الشعب بغياب السلطة المركزية.

بعد اندحار القوات العثمانية من الجغرافيا السورية واحتلالها من قبل القوات الفرنسية، وبموجب اتفاقية سايكس بيكوالتي عقدت في عام 1916م أصبحت الجغرافيا السورية بما فيها المنطقة الواقعة بين كليكيا وغربي نهر الفرات تحت الانتداب الفرنسي، إلا أنه بعد سلسلة من المعارك بين القوات الفرنسية والقوات التركية المدعومة من بعض العشائر الكردية، عقد الطرفان

[25] عبد الله أوجالان، مانيفستو الحضارة الديمقراطية، المجلد الخامس، (القضية الكردية وحل الأمة الديمقراطية- دفاعاً عن الكرد المحصورين بين فكّي الإبادة الثقافية)؛ ترجمة زاخو شيار، مطبعة آزادي، الطبعة الثانية، ص295.

[26] رشيد حمو، ثورة جبل الاكراد "حركة المريدين"، (دراسة حول مقاومة الجبل وحركة المريدين ضد الاستعمار الفرنسي 1921-1941م)، الطبعة الأولى 2001، ص7.
رشيد حمو كاتب وسياسي كردي من إقليم عفرين وأحد مؤسسي حزب الديمقراطي الكردستاني في سوريا.

معاهدة الصلح تحت مسمى اتفاقية فرانكلين- بويون[27] في 20 تشرين الأول عام 1921م وتسمى أيضاً اتفاقية أنقرة الأولى، وعلى الرغم من ذلك بقي عدوالأمس عدواً، ولم تستطع القيادة الفرنسية استمالة غالبية الزعماء المحليين السوريين، حيث ظهرت حركة مسلحة ذات صبغة دينية في جبل الزاوية، قاومت القوات الفرنسية هناك بزعامة إبراهيم هنانو[28] بين أعوام 1920 إلى 1925م والتي كانت قاعدتها جبل الزاوية وشملت لواء اسكندرون وجبل الكرد (إقليم عفرين)، وتم القضاء عليها كنتيجة لتوقيع اتفاقية الصلح المذكورة بين أتاتورك والفرنسيين؛ وقد وقف قسم من التيار الديني –والذين يشكلون أقلية في الإقليم وأنشأوا لاحقاً حركة المريدين[29]- في جبل الكرد/ إقليم عفرين إلى جانب إبراهيم هنانو، وقاموا بمحاربة القوات الفرنسية؛ وبعد انحسار ثورة إبراهيم هنانوصعّدت حركة المريدين من نشاطها في جبل الكرد بزعامة الشيخ إبراهيم، والتي أعلنت الجهاد ضد الفرنسيين وكان الرد العسكري الفرنسي عنيفاً.

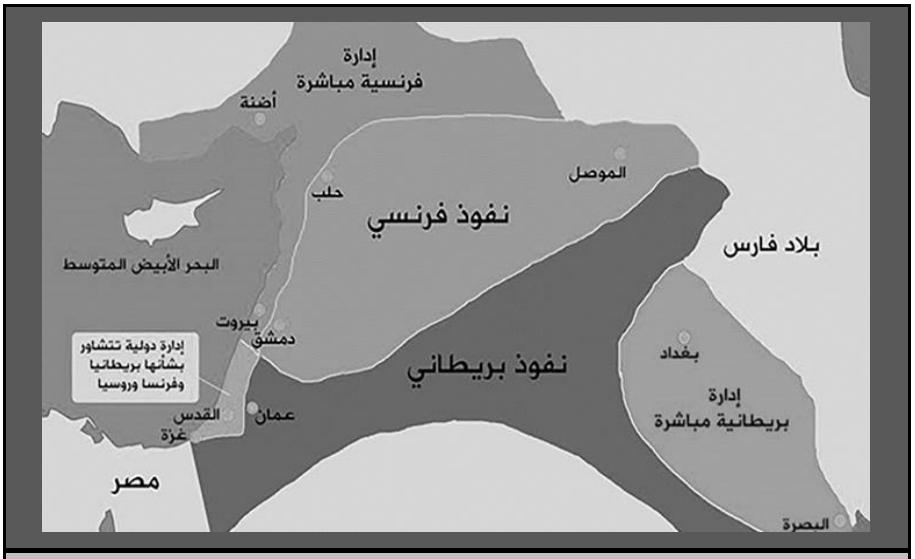

تقاسم المنطقة بين فرنسا وبريطانيا بموجب اتفاقية سايكس- بيكوالموقعة في عام 1916م

يولي الكثير من الكرد أهمية كبيرة لرجال الدين، وقد تكون هذه عادة توارثوها عن أجدادهم الهوريين والميتانيين والميديين الذين كانوا يبجلون كهنتهم كالكهنة المغان والزرادشتيين والإيزديين

---

[27] نسبة إلى المفوض السامي فرانكلين بويون عن الجانب الفرنسي، وعن الجانب التركي يوسف كمال بك وزير الخارجية التركية آنذاك حيث وقعا الاتفاقية المعروفة باتفاقية فرنكلين- بويون في 20 تشرين الأول من عام 1921م والتي أنهت الحرب بين فرنسا وتركيا، وتخلت فرنسا عن معاهدة سيفر واعترفت بحكومة أنقرة، وحددت بصورة نهائية الحدود التركية- السورية، وأصبحت انطاكيا تابعة لتركيا أما لواء الاسكندرون فلسوريا وانسحاب فرنسا من كليكيا، وأقرت المعاهدة السيطرة الفرنسية على جزء من جبل الكرد (إقليم عفرين) تحت السيطرة الفرنسية...
نفس المرجع السابق، ص15.

[28] إبراهيم بن سليمان آغا بن محمد هنانو 1869-1935م زعيم سوري قاوم الغزو الفرنسي، ولد في بلدة كفر تخاريم غربي مديمة حلب وينتمي إلى أسرة كردية غنية، أنهى دراسة الحقوق في إستانبول.
https://www.marefa.org

[29] Rojê Lêsko- Çiyayê Kurmênc û Tevgera Murûdan. Çiriya Pêşin 1990 Parîs- Rûpela 15-16.

وغيرهم؛ وقد لعب الزعماء الدينيون من الكرد ولا سيما أصحاب الطرائق الصوفية من المشايخ دوراً هاماً في المجتمع الكردي، منذ أنْ أجبرت نسبة كبيرة من الكرد على اعتناق العقيدة الإسلامية، حيث انتشرت فيها الكثير من الطرائق الدينية كالنقشبندية والرفاعية والقادرية وغيرها، وبحسب المفكر الأممي عبدالله أوج آلان[30] *"...حيث دخل الكرد الإسلام بعد مقاومة معيّنة، لكنهم صاغوا استراتيجياتهم في الحفاظ على وجودهم، فقبلت الطبقة العليا من القبائل الكردية الانصهار في بوتقة الإسلام والعروبة، في حين شكلت الطبقات السفلى مجتمعاتها المدنية الصوفية، وانسحبت إلى ذُرى الجبال الشاهقة وسفوحها الشاسعة مثلما دأبت على فعله تقليدياً..."*؛ علماً أنَّه لم يسجل في إقليم عفرين أي عنف ممنهج ضد أبناء الديانة المسيحية والإيزدية والطائفة العلوية، على غرار المناطق الأخرى في سوريا وتركيا والعراق وإيران؛ وبشكلٍ عام كان هناك إصرار من قبل بعض أتباع الطريقة النقشبندية على التمسك بالخلافة الإسلامية وبالدين الإسلامي ورفض نمط الدولة الحديثة على الطراز الغربي، وقام بعضهم بثورة دينية ذات طابع قومي كردي كالشيخ سعيد بيران في شمال كردستان/ BakurêKurdistanê؛ رداً على الاستراتيجية الكمالية، حيث كان هدف الكماليين آنذاك بناء دولة تركية قومية علمانية على الطراز الأوروبي.

ظهرت الحركة المريدية بين سكان جبل الكرد على يد شيخ الطريقة النقشبندية الشيخ إبراهيم خليل[31]، علماً أنَّ الطريقة كانت منتشرة هناك مسبقاً وتنحصر في الجانب الدعوي والقيام بالمهام الدينية في الحياة الروحانية لأبناء الإقليم، وذلك في أواخر عام 1929م، حيث سعى إلى إخراج الدين من جانبه الدعوي وتسخيره في خدمة المطامح السياسية والسلطوية، وبالفعل بعد ازدياد عدد أتباعه أعلن عن حركته مستغلاً ظلم الملاكين والآغوات كما يقول روجيه ليسكو[32]، وكذلك حاجة وبساطة الفقراء، ولدى تتبع مسيرة هذا الشيخ نجد الكثير من إشارات الاستفهام حول سلوكه ونشاطه[33]، حيث نرى أنه أقرب ما يكون إلى خلية سرية تابعة لأتاتورك، الذي كان له العديد من النشاطات المشابهة في هذا المجال، ولعل زيارات أتاتورك إلى بعض المناطق في شمال كردستان /Bakurê Kurdistanê بزي رجل الدين يوضح بعضاً من هذا الغموض. تركز نشاط الشيخ إبراهيم خليل في المناطق المحاذية للحدود التركية، واستطاع أن يكسب دعم قسم من آغوات المنطقة وتأييد الكتلة الوطنية السورية ودعم الأتراك، وامتد نشاط حركته إلى لواء اسكندرون، ووجه كل أعماله ضد القوات الفرنسية في الإقليم، لقد كانت الحركة سياسية بامتياز وإن حملت في

[30] عبد الله أوجالان، مانيفستو الحضارة الديمقراطية؛ المجلد الخامس (القضية الكردية وحل الأمة الديمقراطية- دفاعاً عن الكرد المحصورين بين فكّي الإبادة الثقافية)، ترجمة زاخو شيار؛ الطبعة الثانية، ص113.

[31] رجل دين صوفي ذو أصول تركية يدعى إبراهيم خليل سوغوك أوغلو، ولد في بلدة بورجا التابعة لإزميت القريبة من مدينة اسطنبول، وخدم الجيش العثماني وجرح خلال الحرب العالمية الأولى، حوالي عام 1925 سافر إلى سوريا وتتلمذ على يد عدد من علماء الدين النقشبنديين هناك وتخرج كرجل دين، وتعلم اللغة الكردية، تعرض للاعتقال من قبل الحكومة السورية الموالية لفرنسا، وتم ترحيله إلى تركيا وفي منطقة اصلاحية جمع حوله عدد من المريدين إلا أنه أجبر على العودة إلى سوريا مجدداً في عام 1930م، وكان يحرض الناس على الجهاد ضد الفرنسيين وأعوانهم من الأغوات.
Rojê Lêsko- Çiyayê Kurmênc û Tevgera Murûdan. Çiriya Pêşin 1990 Parîs- Rûpela 19

[32] نفس المرجع السابق، ص22.

[33] نفس المرجع السابق، ص26-27.

بعض الفترات طابعاً عسكرياً[34]؛ وكانت تتلقى دعماً عسكرياً ولوجستياً من الأتراك، وعند رحيل الشيخ إلى تركيا ألقت السلطات التركية القبض عليه في كانون الأول من عام 1935م بتهمة تشكيل طائفة والقيام بنشاط نقشبندي في قضاء إصلاحية شمال اسكندرون ذي الغالبية الكردية، وفرض على الشيخ الإقامة الجبرية في قرية بيره جيك، وبعد مدة تم تبرئته ورفعت الإقامة الجبرية عنه بفضل تدخل الأمن العام التركي في أنقرة[35]!- وهذا ما يذكرنا بشخصية أبوالقعقاع السوري "محمود غول آغاسي" صنيعة المخابرات السورية-، ثم توجه الشيخ إلى مدينة إزميت وبقي فيها حتى عام 1938م، ثم عاد مرة أخرى إلى سوريا إلا أنَّ أتباعه كانوا قد أعلنوا عن دعمهم الكامل لاستقلال سوريا، حيث لمعت شخصية أحد القادة وهورشيد إيبو[36]، وذلك بعد عودة الوفد السوري من باريس، والذي عقد معاهدة الصداقة والتعاون مع فرنسا مقابل جلاء القوات الفرنسية عن سوريا عام 1936م بدعمٍ من الجبهة الشعبية الفرنسية، وبعد عام 1939م بدأت الحركة بالانحسار. لم تتوقف المحاولات التركية لضم الإقليم إلى تركيا الجديدة، حيث كانت هناك محاولات لتعزيز الشعور السياسي بالانتماء إلى تركيا، وتشجيع تداول اللغة التركية وتعلمها بالأحرف العربية، وانتشار اللباس التركي وغير ذلك، من قبل حركة المريديين وبعض الإقطاعيين المحسوبين على السلطنة العثمانية.

نفذت الحركة سلسلة من الاغتيالات بحق مناوئيها بعد فتوى الشيخ بقتلهم حتى أن الشيخ قام بنفسه ببعض عمليات القتل[37]، كقتل أحد زعماء الحركة البارزين المدعو"علي غالب" الملقب بـ "قورت علي" في عنتاب/ Dîlûk في ظروف غامضة، وهناك رواية تفيد بأن الشيخ إبراهيم خليل قتله بنفسه بسبب إرسال الأخير رسالة إلى أهله كتب فيها بأن الشيخ عميل للأتراك[38]، وقد اكتشفها الشيخ وقام بقتله بنفسه، إلى جانب استهداف عددٍ من أتباع الطريقة القادرية الصوفية. كما وقاموا باستهداف الشخصية المؤثرة في الإقليم المدعو"حج حنان" الذي رفض مشروع مصطفى كمال أتاتورك، وقاوم انضمام الإقليم إلى الدولة التركية، وقد حوصرت قريته من قبل المريدين عام

---

[34] حوار مع الشيخ حسين العلي النقشبندي في عفرين 1 / 2 / 2008 اعداد الحوار: عبدالرحمن حاجي عثمان بالتعاون مع الحاج علي ابن الشيخ حسين- موقع شمس الشموس https://www.alhaqqani.com
حيث سُأل الشيخ حسين العلي النقشبندي ؛ هل كنت مؤيداً لحركة المريديين وقد كانوا نقشبنديين؟؛ فكان الجواب الشيخ بالشكل التالي *" تلك الحركة سياسية بامتياز و إن حملت في بعض الفترات طابعاً عسكرياً و هذا لا يتنافى مع كونها حركة دينية أما عني فلم أعمل في السياسة أبداً و أوصي أولادي بذلك أيضاً لأننا نعمل على الصعد الاجتماعية و لكلٍ دور في الحياة أما كونهم نقشبنديون فهذا صحيح حتى أن الشيخ إبراهيم خليل شيخ المريدين كان مريداً للشيخ شرف الدين الداغستاني (شيخ شيخي) لكننا نختلف كثيراً في الأسلوب فقد كان في طبعهم حدة و عصبية أكثر من اللازم و رغم ذلك لم ننقطع عن بعض فقد كانت علاقتنا طيبة مع (خوجة قورطان) حتى وفاته و مع رشيد ايبو رحمهما الله و مع حسين سمو و غيرهم و سرت مع الشيخ حنيف في حملته الانتخابية و أوصيته إذا لم تغير أسلوبك هذا في طرح نفسك و ذم خصومك فأنت معرض للاغتيال في أية لحظة... ايه... رحمه الله"*.

[35] بموجب رسالة سرية تحت رقم 29402 من الأمن العام التركي إلى محكمة بيره جيك مؤرخة في 14 حزيران 1939... رشيد حمو، ثورة جبل الاكراد "حركة المريدين"، (دراسة حول مقاومة الجبل وحركة المريدين ضد الاستعمار الفرنسي 1921-1941م)، الطبعة الأولى 2001، ص55.

[36] هو أحد قادة المريدين الذين قاموا بثورة المريدين في جبل الكرد، وقد منحه الرئيس السوري الراحل حافظ الأسد لقب مجاهد بالمرسوم التشريعي رقم 48 تاريخ 1972/7/18...

[37] رشيد حمو، ثورة جبل الاكراد "حركة المريدين"، (دراسة حول مقاومة الجبل وحركة المريدين ضد الاستعمار الفرنسي 1921-1941م)، الطبعة الأولى 2001، ص81.

[38] نفس المرجع السابق، ص83.

1939م، وأصيبت إحدى بناته بجرح في ذراعها أثناء الاشتباك معهم[39]، لقد كان نشاط الحركة مُنصّباً في إقامة كيان إسلامي كردي تابع للدولة التركية، وخنق أي محاولة تهدف إلى خلق حالة كردية خاصة ثقافياً وسياسياً على غرار الكيانات التركية والعربية.

حنان شيخ إسماعيل

لا تزال تركيا تستغل الإسلام السياسي ضد الحركة التحررية الكردية كحزب الكونترا (حزب الله التركي) الذي يُتهم بقتل أكثر من عشرة آلاف مواطن كردي وتركي وأغلقت تلك القضايا في المحاكم التركية على أساس ***"فاعل مجهول"***، ومحاولة تشكيل تنظيم حماس الكردي، كما تم استغلال الثانويات الدينية المشادة حالياً ودورات تعليم القرآن لنفس الغرض، وسخّرت وزارة الشؤون الدينية التركية الجوامع بأكملها لخدمة التصفية الثقافية بحق الكرد وغيرهم أي تسيُّس الدين، ويعتبر المفكر الأممي عبدالله أوج آلان من أكثر الذين تناولوا هذه المسألة فيقول[40] *"...فالتأثير التقليدي للدين على الكرد يحتل منزلة مهمة بين حسابات الهيمنة لرأس المال الأخضر. وتدرج في جدول الأعمال ضمن هذا المضمار دورات تعليم القرآن المفتوحة حديثاً والتي ستفتح لاحقاً، وثانويات الشريعة، وغيرها من الأجهزة الأيديولوجية الأخرى إلى جانب الطرائق التقليدية الموجودة. كما يستخدم زعماء الطرائق- وعلى رأسها النقشبندية والقادرية- كورقة مهمة في اليد، ذلك أنهم من الشريحة الفوقية التي ظلت طيلة سياق التاريخ تعتاش من السلطة، بل وتحولت بذات أنفسهم مؤخراً إلى شركات قابضة. إضافة إلى إنَّ بعضهم يلعب دور القوة المقاتلة (أجنحة وفروع حزب الله التركي). إنّ هيمنة رأس المال الأخضر تأمل في نيل مكاسب كبرى من استخدام الدين كوسيلة استغلالية..."*.

3. تطور الحالة السياسية في الإقليم بعد الاحتلال الفرنسي وجلائه.

[39] حج حنان شيخ إسماعيل 1874 -1966م ؛ د. محمد عبدو علي.– موسوعة جياي كورمنج -https://ciyaye kurmenc.com

[40] عبدالله أوجالان، مانيفستو الحضارة الديمقراطية؛ المجلد الخامس (القضية الكردية وحل الأمة الديمقراطية- دفاعاً عن الكرد المحصورين بين فكّي الإبادة الثقافية)، ترجمة زاخو شيار؛ الطبعة الثانية، ص223.

على الرغم من المحاولات الفرنسية الكثيرة لضمان هيمنتها على البلاد، فقد رفض العديد من زعماء الإقليم الحكم الذاتي تحت الرعاية الفرنسية على غرار لواء اسكندرون، حيث أراد الفرنسيون تشكيل قضاء باسم جبل الكرد، على أن يتم تعيين الموظفين من سكان الإقليم، بناءً على القرار الذي صدر بتاريخ 4 أيلول 1922م القاضي بتشكيل دولة حلب، ورفضوا أيضاً الانضمام إلى الدولة التركية، ووقفت بعض النخب المحلية إلى جانب الكتلة الوطنية السورية، ولاقى إعلان استقلال سوريا تأييداً كبيراً من قبل سكان الإقليم؛ وقد اشترك لاحقاً عددٌ من أبناء الإقليم في جيش الإنقاذ الذي كان يتكون من متطوعين من عدد من الدول العربية، وفي تلك المعارك فَقَدَ بعض المتطوعين الكرد لحياتهم، من الذين قاتلوا ضمن وحدات الجيش النظامي السوري، وبُني لهم نصب تذكاري أمام دار الحكومة في عفرين.

بعد استقلال سوريا عام 1946م بدأت مرحلة سياسية جديدة في الإقليم، نشطت من خلالها مجموعة من الحركات والأحزاب اليمينية واليسارية، بالإضافة إلى ولاء البعض من البرجوازيين والإقطاعيين للحكومات السورية المتعاقبة من باب التقرب من السلطة، وتبعية البعض الآخر لحركات الإسلام السياسي، بالإضافة إلى بعض المستقلين، وعلى الرغم من ذلك فإن عامة المواطنين في إقليم عفرين لم يولوا أهمية كبيرة للنزاعات السياسية بين الحركات والأحزاب السياسية، فهم مجدّون في أعمالهم ويرغبون في العيش في ظل نظام يسوده المساواة والعدالة الاجتماعية والحفاظ على ثقافتهم الكردية؛ وكما هي العادة سعت العديد من تلك الحركات إلى نشر مفاهيمها وأفكارها في أي منطقة تصل إليها، واستطاعت بعضها جذب العديد من المؤيدين، بعضهم نتيجة لقناعات إيديولوجية كالشيوعيين، أومنفعية كالبعثيين، أوقومية كالحزب الديمقراطي الكردستاني في سوريا والذي انشق عنه مجموعة من الأحزاب، كحزب الوحدة الديمقراطي الكردي في سوريا (يكيتي) والحزب الديمقراطي التقدمي الكردي في سوريا وغيرهما، وذلك في فترة شهدت انقسامات وأزمات سياسية حزبية على مستوى المنطقة كانقسام حزب البعث في العراق وسوريا، والشيوعيين في سوريا ولبنان، وحزب الديمقراطي الكردستاني في العراق وغيرهم، إلى جانب وجود نسبة ضئيلة جداً من بعض المنتمين إلى جماعة الإخوان المسلمين، حيث استفاد البعض من المنح الدراسية التي كانت تؤمنها تلك الجماعة إلى بريطانيا، إلا أنَّ أكثر الحركات التي امتلكت ولا تزال تمتلك أكبر قاعدة شعبية هي الحركات المؤيدة لأفكار المفكر الأممي "عبدالله أوج آلان" كحركة المجتمع الديمقراطي TEV-DEM وحزب الاتحاد الديمقراطي PYD وغيرهما؛ وبعد الأزمة السورية عام 2011م أيّد معظم سكان الإقليم ثورة روج آفا والإدارة الذاتية الديمقراطية في روج آفا- شمال سوريا، ويمكن من خلال إحصاء عدد الذين التزموا بقرارات الإدارة الذاتية الديمقراطية في البقاء في عفرين رغم الهجمات العنيفة عليها ومن ثم الانسحاب من المدينة بناء على قرار نفس الإدارة دليل واضح على حجم القاعدة الشعبية والثقة التي تتمتع بها.

من ناحية أخرى على الرغم من سياسة التعريب التي مورست على الإقليم من قبل النظام السوري إلا أنه لم يستطع إلغاء الطابع الكردي واللغة الكردية عن أبناء الإقليم. ولن تنجح أيضاً المحاولات التركية الجارية حالياً في تتريك الإقليم؛ فالكرد هناك متمسكون بجذورهم وثقافتهم. لقد تحولت قضية الاعتراف بحقوق الكرد من المحرمات التي تبنتها الأنظمة والحكومات السورية

المتعاقبة منذ استقلال البلاد، بشكلٍ أضعف الشعور بالانتماء إلى الهوية الوطنية السورية كثيراً، وزاد من وتيرة الأفكار والمشاريع الشوفينية العقيمة التي لم تخدم ازدهار وتقدم البلاد، وتعتبر انتفاضة 12 آذار 2004م التي انطلقت شرارتها من مدينة قامشلوردا حاسماً لهذه السياسة الاستبدادية وقد انخرط معظم سكان عفرين في هذه الانتفاضة[41] وتعرض الكثيرون للاعتقال ومختلف صنوف التعذيب إلى جانب استشهاد عدداً منهم، ولعل ما تعانيه سوريا من أزمة حالية نتيجة طبيعية لتلك الذهنية الإقصائية، وبحسب المفكر الأممي عبدالله أوج آلان[42] *"... لم تدخل الدولة السورية سياقاً طبيعياً بأي شكلٍ من الأشكال، منذ أعوام العشرينيات. ولا تنفك إلى الآن تحكم بقانون الأحكام العرفية، وتفتقر لنظام دستوري مار من الوفاق الاجتماعي. بل إنّ نسبة مهمة من الكرد في سوريا ليسوا حتى مواطنين، أي أنه غير معترف بهم قانونياً. وما تبقى منهم يفتقرون لأية حقوق قانونية أوثقافية أواقتصادية أوإدارية أوسياسية. بمعنى آخر، فوضع الكرد أكثر تخلفاً من وضع المستعمرة، إذ ابتدأ تطبيق سياق الإنكار والإبادة والتطهير الثقافي على وجودهم (تماماً مثلما الحال في نظام الدولة القومية التركياتية)؛ وذلك بحكم المصالح الانتدابية الفرنسية أولاً، ثم المصالح العربية القومية..."*.

4. عفرين بعد عام 2011م.

يعتبر إقليم عفرين ركناً أساسياً من أركان منطقة روج آفا- شمال سوريا؛ وتعد من المناطق القليلة في شمال غربي سوريا التي عاشت تجربة سياسية ديمقراطية، لعل أهم سبب لذلك هوعدم وجود حاضنة شعبية للتنظيمات الأصولية والشوفينية فيها. على غرار المناطق السورية الأخرى في وسط وجنوب وغرب البلاد، فالشعب الكردي في إقليم عفرين متسامح جداً؛ حيث يعيش الإيزيديون والمسيحيون، والسُنة والعلويون جميعاً في وئام، وقلما حدثت مشاكل ومعارك بينهم في الماضي والحاضر؛ والشعب في عفرين من النادر أن ينضم إلى أحزاب يمينية شوفينية ومتشددة أوأصولية؛ وقد يكون هذا السبب الرئيسي لتأييد غالبية سكان الإقليم لفلسفة الأمة الديمقراطية.

بعد الحراك الشعبي السلمي الذي شهده البلاد عام 2011م تجمع الشعب في عفرين بشكل سلمي وطالبوا بالإصلاحات الديمقراطية وإدارة ذاتية ديمقراطية ضمن سوريا موحدة، مستفيدين من تجربتهم في انتفاضة 12 آذار 2004م ضد النظام السوري وكاستمرار للنشاط السياسي الشعبي بعد تلك الانتفاضة وقبلها، ونتيجة الضغط الشعبي ودبلوماسية قادتها المحليين وعدم الرغبة في التحالف مع قوات النظام السوري وقوى المعارضة المدعومة من الخارج، وإعلان الدفاع المشروع ضمن نفير شعبي عام داخل الإقليم، مع اتخاذ موقف محايد من الصراع الذي بدأ يتبلور في تلك المرحلة، انسحبت القوات السورية من عفرين بعد بلوغ التوتر درجة الانفجار، وتولى أهلها إدارتها، الذين قاموا بتشكيل مجالسهم المحلية وبناء قواتهم الدفاعية المتمثلة بوحدات حماية الشعب والمرأة YPG/YPJ وإدارة المنطقة بشكل ديمقراطي على أساس فلسفة الأمة الديمقراطية التي تنادي بأخوة

[41] انتفاضة 12 آذار 2004 الكوردية في عفرين (16-3-2004)
https://www.youtube.com/watch?v=TnzXbv2_i9s
[42] نفس المرجع السابق، ص199.

الشعوب استناداً إلى أفكار المفكر الأممي عبدالله أوج آلان، والذي يؤكد أيضاً بأنه[43] *"...تنظر الأمة الديمقراطية بعين التبجيل إلى الوطن، لأنه فرصة عظيمة من أجل ذهنية الأمة وثقافتها، بحيث محال التفكير في ذهنية أوثقافة لا مكان للوطن في ذكرياتها وذاكرتها... إلى جانب كون اللغة مهمة دون شكّ بقدر الثقافة من أجل كينونة الأمة، إلا إنها ليست شرطاً حتمياً. فالتبعية إلى لغات مختلفة ليست عائقاً أمام الانتماء إلى الأمة عينها. وكيفما لا معنى لوجود دولةٍ واحدةٍ فقط لكل أمة، فكذا لا معنى للاقتصار على لغة أولهجة واحدة من أجل كل أمة..."*، حيث لاقت هذه الفلسفة قبولاً واسعاً من الشعب في عفرين كونها تتناقض مع الذهنية الشوفينية والأصولية المتشددة، وتطرح نفسها كوسيلة لإعادة بناء الهوية الوطنية السورية التي دافع عنها الشعب في إقليم عفرين منذ عشرات السنين، ونتيجة لذلك تَقَبَل الشعب الإدارة الذاتية الديمقراطية في روج آفا- شمال سوريا التي تم الإعلان عنها بتاريخ 2014/1/29م، وبعدها مشروع الفدرالية الديمقراطية لشمال سوريا في 17-16 آذار من عام 2016م، ويعتبر الإقبال الكبير من قبل المواطنين على انتخابات مجالس الإدارة المحلية والكومينات دليلاً يؤكد على ذلك.

إنَّ جميع محاولات النظام التركي والسوري ووكلائهما كالمجلس الوطني الكردي ENKS وجماعة الإخوان المسلمين التابعين لتركيا، والتعامل اللاإنساني لقوات النظام السوري لأهالي عفرين على الحواجز الأمنية وفي المناطق التي لا تزال خاضعة له، فشلت في جرّ عفرين إلى الصراع السوري، بل حافظت على نفسها وتبنت الخط الثالث المتمثل بطرح مشروع ديمقراطي لسوريا المستقبل (الإدارة الذاتية الديمقراطية ولاحقاً الفدرالية الديمقراطية لشمال سوريا) والوقوف على الحياد من الصراع السوري، يدفعها إلى ذلك التمسك بالهوية الوطنية السورية والإيمان بالسلام، إلا أنَّ ذلك لم يمنع القوى التابعة لتركيا وكذلك النظام التركي في المحاولة باستمرار على القضاء على حالة السلام والديمقراطية التي يعيشها إقليم عفرين. وعلى الرغم من النشاط الكثيف للتنسيقيات المحسوبة على المعارضة السورية والمجلس الوطني الكردي، إلا أنها فقدت جاذبيتها بسرعة، كون الشعب في الإقليم يمتلك تجربة عميقة في التعامل مع الحركات التي تعمل لصالح أجندات قوى غريبة عنها والتي تم ذكر بعضها سابقاً، على الرغم من رفع بعضها صور ورموز القومية الكردية، وبدأ الانحسار التدريجي لتلك الحركات إلى أن أنكمش نشاطها، وأصبحت تمارس المهام الحقيقية الموكلة إليها كخلايا سرية تابعة لقوى خارجية. فأغلب المكاتب السياسية التي تعمل لصالحها موجودة في اسطنبول وأنقرة وعنتاب/ Dîlok ولواء اسكندرون وغيرها، وهي خاضعة لجهاز المخابرات التركية.

وبالمحصلة يمكننا القول بأنَّ المجتمع في إقليم عفرين شديد التمسك بثقافته وهويته الوطنية وأرضه، فبعد اشتداد الأزمة السورية وظهور الكثير من المجموعات المعارضة للنظام السوري انحرفت معظمها عن مسار الثورة الشعبية وتحولوا إلى سماسرة السلاح وتجار الحروب، وبما أن سكان الإقليم يمتلكون وعياً سياسياً وثقافياً كونهم مجتمع ديمقراطي يؤمن بالفكر الحر والديمقراطي ولم ينحرفوا وراء الذهنيات الشوفينية والدوغمائية الدينية، اختار سكان الإقليم براديغما المجتمع الديمقراطي والدفاع الذاتي، وتمكنوا من إنشاء نظامهم السياسي والإداري والاقتصادي والعسكري

[43] نفس المرجع السابق- ص51،52.

الخاص بهم بعد إعلانهم لقيام الإدارة الذاتية الديمقراطية عام 2014م، الأمر الذي منع انجرار الإقليم إلى المذبحة السورية؛ لقد جسد أبناء الإقليم ومعهم غالبية أبناء مكونات روج آفا- شمال سوريا الروح الحقيقية للثورة الشعبية في سوريا، وكانت نتائج الثورة في بدايتها إيجابية وتم تحقيق الكثير من المكاسب والانجازات من ناحية الديمقراطية والإصلاحات الاقتصادية والتحرر من الذهنية الشوفينية والدوغمائية إلى جانب تعزيز الهوية الوطنية السورية، نتيجة لذلك كان من الطبيعي أن تتحول مناطق روج آفا- شمال سوريا ومن ضمنها إقليم عفرين إلى هدفٍ للقوى التي لا تريد الخير لسوريا ولشعبها، لذلك كانت هناك محاولات حثيثة من النظام التركي والمعارضة الرجعية والنظام السوري وحلفائه لضرب هذا المشروع كما أشرنا سابقاً، واستغلت تلك الأطراف بعض المجموعات الكردية الخائنة للقضية الكردية والديمقراطية بحسب مفهوم الأمن الوطني الكردي، هذه المجموعات وجدت تحت مظلة المجلس الوطني الكردي ملاذاً لها وأنشأت مجموعة من الكتائب المسلحة، بعضها لم يتعدَّ عدد أفرادها العشرات، أما غالبيتها فقد كانت وهمية استخدمت للاستهلاك الإعلامي وللحصول على مبالغ مالية من الاستخبارات التركية ودول الخليج العربية والدول الغربية كنوع من التجارة القذرة، ومن هذه الكتائب كتيبة آزادي وصلاح الدين ويوسف العظمة وغيرها وكان يرفدها حركة اتحاد الشباب الكرد TCK بعناصر المرتزقة من الشباب، وحددت هذه المجموعات هدفها الرئيسي بإفشال الإدارة الذاتية الديمقراطية، والقيام بعمليات عسكرية سرّية ضد وحدات حماية الشعب والمرأة YPG/YPJ وخلق فتنة كردية- كردية لتقسيم المنطقة بين طرفين، وتنفيذ عمليات اغتيال ضد عدد من الشخصيات الوطنية، وإقامة بنية تحتية عسكرية سرّية لتهيئة الظروف المناسبة لمساعدة القوات التركية باحتلال المنطقة، كل ذلك بالتنسيق الكامل مع المخابرات التركية، وقد تم إلقاء القبض على عدد منهم من قبل الآساييش؛ ويبدوأنهم تحولوا إلى سلاحٍ فتّاك ضد الهوية الوطنية السورية بشكلٍ عام والكردية بشكلٍ خاص، لذلك يتهمهم الكثير من الكرد والسوريين بالخيانة، وبالفعل لم يستطيعوا تكوين حاضنة شعبية لهم، ومع الزمن تقلصت أعدادهم كثيراً وتوجه بعضهم إلى الإقامة في تركيا حيث استخدمتهم تركيا مجدداً فيما بعد أثناء العدوان على الإقليم. لقد استطاعت القوى الديمقراطية في إقليم عفرين منع أي أزمة حادة في الإقليم سواء أكانت سياسية أواقتصادية أوعسكرية على الرغم من الحصار المفروض على الإقليم من الجهات الأربعة من قبل قوى استبدادية شوفينية وفاشية وإرهابية، إلى جانب بُعدها الجغرافي عن باقي مناطق روج آفا- شمال سوريا، وفشلت جميع المحاولات لاحتلال الإقليم أوإنهاء إدارته الذاتية الديمقراطية؛ وتمكنت عفرين من المقاومة والحفاظ على الأمن والسلام لفترة طويلة نسبياً، وأصبحت مقصداً لآلاف اللاجئين من مختلف مناطق سوريا. ولولا التآمر الدولي عليها لما تمكّنت تركيا من احتلال أجزاء واسعة من الإقليم في عام 2018م.

كما ذكرنا سابقاً إنَّ النضال من أجل الديمقراطية والحقوق المشروعة في إقليم عفرين يعود إلى عشرات السنين، وواجهت السلطات الاستبدادية النضال في سبيل ذلك بتصفية وزُجَّ بالعشرات من أبنائها وبناتها في المعتقلات وممارسة الإرهاب السياسي على المدنيين والتشديد في قمع الحريات، وكما أشرنا سابقاً يعتبر الإقليم أهم حاضنة شعبية لفلسفة الأمة الديمقراطية التي طرحها المفكر الأممي "عبد الله أوج آلان"- تلك الفلسفة المناقضة لثقافة الكراهية-، ويوجد العشرات من أبناء الإقليم في المراكز القيادية والإدارية وفي الحركات المتبنية لفلسفة الأمة الديمقراطية ووحدات

حماية الشعب والمرأة، وما يدل على ذلك عدم تزعزع النظام الإداري للإقليم أثناء العدوان وبعد احتلال مساحة كبيرة منه. كما أنها تعتبر منطقة مرتبطة بثقافتها وبأرضها فسكانها فلاحون متمسكون بأراضيهم بشدة، وهي ذات طابع كردي خاص، تطورت فيها الثقافة والفن الكرديين بشكل كبير.

لقد أصبح إقليم عفرين من ضمن المناطق المهمة في روج آفا- شمال سوريا وفي سوريا بشكل عام التي شهدت انتخابات حرة ونزيهة لم تشهدها سوريا من قبل، فقد شهد الإقليم عمليتين انتخابيتين ناجحتين نسبياً[44]، الأولى كانت في عام 2015م الخاصة بالإدارة الذاتية الديمقراطية، والثانية في 2017م الخاصة بنظام الفدرالية الديمقراطية لشمال سوريا والتي كان من المقرر أن تتم على ثلاث مراحل، المرحلتين الأوليتين (انتخابات الكومينات والإدارة المحلية) تمتا بنجاح كبير، أما المرحلة الثالثة فتم تأجيلها إلى فترة غير محددة بسبب تعرض البلاد إلى احتلال تركي؛ وهذه هي المرة الأولى التي يشارك فيها المواطنون بإرادتهم وبشفافية وبنسبة مشاركة كبيرة، حيث تم تمديد مدة الانتخابات بسبب الإقبال الكبير، فالمنطقة لم تشهد مستوى مشاركة بهذا الحجم من قبل، بعكس الانتخابات التي كانت تتم من قبل النظام السوري أوالمعارضة حيث تعتبر انتخابات شكلية والنتائج محسومة مسبقاً؛ ويدل الإقبال على الانتخابات قبول مكونات روج آفا- شمال سوريا لمشروع الفدرالية الديمقراطية لشمال سوريا والإدارة الذاتية الديمقراطية؛ في كلا مرحلتي الانتخابات، المرحلة الأولى بتاريخ 2017/9/22 والثانية بتاريخ 2017/12/1، وكانت منظمات حقوق الانسان حاضرة ومشرفة على الانتخابات وتم منحهم بطاقات تعريفية للمشاركة في المراقبة على العملية الانتخابية، وأيضاً كان هناك مشاركة من شمال وجنوب كردستان، حيث حضر وفد برلماني من الحزب الديمقراطي الكردستاني العراقي PDK والاتحاد الوطني الكردستانيYNK، وكذلك ممثلين عن حزب الشعوب الديمقراطية HDP الذي يمتلك مقاعد في البرلمان التركي بالإضافة إلى برلمانيين عراقيين، وبعض المنظمات المستقلة كـ منظمة حقوق الإنسان KMM ومؤتمر ستار وغيرهم، ووحدوا جهودهم للمساهمة في إنجاح العملية الانتخابية حيث تم عقد اجتماع معهم من قبل المفوضية العامة للانتخابات وتم منحهم بطاقات تعريفية لتسهيل عملهم كمراقبين، وعقدوا مؤتمراً صحفياً أعربوا فيه عن رضاهم عن سلامة سير العملية الانتخابية وأكدوا على الشفافية والديمقراطية التي رافقت العملية، وأبدوا استعدادهم للمشاركة في مراقبة الانتخابات المقبلة، وكان من المفروض حضور مراقب فرنسي مستقل هوالباحث "باتريس فرانشيسكي" إلا أنه وصل متأخراً وأبدى تشجيعه للعملية الانتخابية التي لم تفرق بين الأثنيات والأديان المختلفة، وعقد ايضاً مؤتمرٌ صحفي أعرب فيه عن تأييده للعملية الانتخابية وأعلن أنه سيبلغ الحكومة والرئيس الفرنسي بنتائج هذه الانتخابات. علماً أنَّ النواقص التي ظهرت كانت فنية وتقنية؛ بالنسبة إلى نسبة المشاركة في الانتخابات كانت هناك مشاركة كبيرة للمواطنين، ولم يوجد أي فرق في المشاركة بين انتخابات الإدارة الذاتية الماضية وانتخابات الفدرالية في المرحلة الأولى والثانية، وكانت نسبة المشاركة في الفدرالية أكبر من قبل مختلف المكونات، حيث بلغت نسبة المشاركة 90% في المرحلة الأولى (الكومينات)، بينما بلغت نسبة المشاركة حوالي 80% في انتخابات الإدارة المحلية

[44] المفوضية العليا لانتخابات في روج آفا.

والمجالس، ويعود سبب ذلك الفرق بين النسبتين إلى شروط الانتخابات، حيث سمح للنازحين بالمشاركة في انتخابات الكومينات، بينما تم حصر انتخابات الإدارة المحلية بمواطني روج آفا- شمال سوريا لذلك تراجعت النسبة؛ وفي عفرين تم تمديد فترة الانتخابات بسبب الإقبال الكبير، حيث بلغ عدد المشاركين في انتخاب الكومينات 155657 شخص مشارك، والمجالس 119881 شخص شارك. بالمحصلة بلغت نسبة المشاركة في إقليم عفرين(80%-90%)، وفي إقليم الجزيرة 70% وإقليم الفرات (كوباني وريفها) حوالي 65% بسبب الظروف التي مرت بها. لقد أثبتت الانتخابات الدعم الشعبي للإدارة الذاتية الديمقراطية ولوحدات حماية الشعب والمرأة ومشروع الفدرالية، وبالتالي لفلسفة الأمة الديمقراطية التي يعتبرها المفكر الأممي عبدالله أوج آلان[45] وسيلة لـ ***"...توحيد الثقافات المجتمعية للشرق الأوسط في بوتقة ملة-أمة مشتركة..."***، لذلك كان الرد سلسلة من العمليات الإرهابية عبر تفجير عربات مفخخة استهدفت المدنيين وتوجيه سلسلة من التهديدات وحملات تشويه إعلامية ممنهجة؛ بالنسبة للمرحلة الثالثة من الانتخابات فقد تم تأجيلها بسبب تعرض الإقليم للاحتلال التركي، إلا أنَّ المشروع بحسب ما أفادت به المفوضية العليا للانتخابات مستمر وسيلقى النجاح طالما هناك إرادة.

يتبع .....

[45] عبد الله أوجالان، مانيفستو الحضارة الديمقراطية؛ المجلد الخامس؛ (القضية الكردية وحل الأمة الديمقراطية- دفاعاً عن الكرد المحصورين بين فكّي الإبادة الثقافية)، ترجمة زاخو شيار؛ الطبعة الثانية- ص506.

الأمن الوطني في شمال وشرق سوريا

اعداد: مركز روج آفا للدراسات الاستراتيجية

في القرن الحديث لم تُعد قوة الدول والكيانات مقاسة فقط على أساس قوتها العسكرية، بل باتت قوة الاقتصاد وجاذبية الثقافة تفرض نفسها بقوة في ساحة التنافس الدولي، وأصبح تأمين منظومة الأمن الوطني الروح التي تضمن استمرار المجتمعات والكيانات السياسية في الحياة بشكل متصاعد نحو الازدهار.

على الرغم من صغر مساحة سوريا نسبياً إلا أنّ تأثيرها من خلال أزمتها كان كبيراً في مجريات العلاقات السياسية والاجتماعية والاقتصادية، الدولية والإقليمية؛ وكان للإدارة الذاتية في المناطق المحرّرة من شمال وشرق سوريا ومواطنيها دور محوري في الجوانب الإيجابية من ذلك؛ علماً أنّ سكان الجغرافيا السورية منذ زمن بعيد وبعد تحررهم من الاحتلال العثماني والاستعمار إلى الفترة المعاصرة لم يشهدوا ميثاق أو عقد اجتماعي حقيقي أو فترة حكم ديمقراطي يضمن الحياة الكريمة والازدهار في مختلف المجالات، بل لازمته الأزمات والحروب وما تسببت به من معاناة ومآسي وتخلف وفقر، يبدو أن هذا الأمر أغنى ثقافة الكراهية كثيراً إلى درجة التطرف في مختلف وجهات النظر والأفكار. تطرح براديغما الأمة الديمقراطية الكثير من الحلول للمشاكل السياسية والاجتماعية والاقتصادية للمنطقة وقد حققت الكثير من التحولات البناءة المهمة في تلك المجالات على أرض الواقع في المناطق التي تبنتها من شمال وشرق سوريا، وأصبح هناك خارطة سياسية جديدة في المنطقة يتطلب الأمر إجراء مسح شامل لها لتحليلها وتقييمها بعيداً عن الدوغمائية والنقد السلبي. إنّ مفاهيم منظومة الأمن الوطني تبدو مُعاشة في سياق هذه البراديغما وبصيغة خاصة بها؛ مقارنة بالتجارب السياسية والاجتماعية والاقتصادية المُعاشة في المناطق والدول المجاورة.

تأتي هذه الدراسة لتسليط الضوء على الأمن الوطني في سياق براديغما الأمة الديمقراطية، وتحاول تقديم تحليل موجز عن مفاهيمه استناداً على مبدأ المقارنة والتجارب على أرض الواقع في الوقت الذي نلامس فيه الجوانب الإيجابية لهذه البراديغما في مستويات نسبية من الأمان السياسي والاستقرار الاقتصادي والسلم المجتمعي على الرغم من أنّ أفكارها لم تطبق بالكامل، والانحراف النسبي أحياناً عن مبادئها من قبل الانتهازيين والمتطفلين؛ في الوقت الذي تواجه فيه رفضاً من قبل الذهنية الدوغمائية، الشوفينية والمذهبية والفاشية والقوى الساعية وراء الهيمنة.

يشكل تحقيق الأمن الوطني في شمال وشرق سوريا مؤشراً محدداً لنجاح براديغما الأمة الديمقراطية في تقديم الحلول للمشاكل والتحديات التي تعانيها المنطقة، لذلك من المفيد تحليل المفاهيم الخاصة بمنظومة الأمن الوطني وتحديد مقوّماتها في شمال وشرق سوريا وبحسب الثقافات المجتمعية السائدة فيها، استناداً إلى المنهج الوصفي والاستنباطي؛ وهذا ما تحاوله هذه الدراسة الموجزة تقديمه، وذلك بعد الاطلاع على مختلف الدراسات والآراء والأفكار المتعلقة بالأمن الوطني، والتجارب المتنوعة المُعاشة في سياق الفترة الزمنية التي مرت بها البلاد خاصة بعد عام 2011م، كما أنّ الغرض من تكرار بعض الأفكار هو بدافع التأكيد عليها نظراً لأهميتها الكبيرة أو لعلاقتها الوثيقة مع المواضيع المطروحة.

القسم الأول

الأمن الوطني؛ المفهوم والأبعاد.

- الأمن والإنسان.

هناك عشرات الآلاف من الإثنيات والعقائد المتنوعة تعيش بجوار بعضها وبشكل متداخل في الكثير من الأحيان، يمتد تاريخ علاقاتها الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية إلى آلاف السنين، لذا فالعوامل التي تجمعها أكبر بكثير من العوامل التي تفرقها؛ إلا أنَّ هناك حقيقة تفيد بأنّ العالم يشهد ظروف معقدة وأجواء مشحونة سلباً بالتنافس والخصام والصراع، ويبدو السلام مجرد حلم جميل وهدف بعيد في ظل الحضور الطاغي لثقافة الكراهية المؤججة من قبل بعض نخبها التي توظّف العقائد المختلفة والعلوم المتنوعة، خدمة لأجنداتها المتمحورة حول السلطة المطلقة وأكبر تكديس للثروة، كأنّ هذه النخب تسعى إلى التطرف والمبالغة في تحقيق الحاجات التي قدمها عالم النفس الأمريكي ابراهام ماسلو في نظريته "الدافعية الإنسانية Human motivation" والتي عبّر من خلالها عن طبيعة الدوافع والحاجات التي تشكل وتحرك السلوك الإنساني ورتبها في سُلّم أولويات، أطلق عليها اسم "هرم ماسلو"- سيتم التطرق إليها لاحقاً-.

تعتبر تلك الأجندات المحرك الرئيسي في تفاعل الأحداث والسياسات الدولية؛ وتبدو أنها في صراع مستمر مع الأفكار التي يمكن وصفها بالثورية والتي تبدو بدورها داعمة بشكلٍ مباشر أو غير مباشر لمبادئ الديمقراطية والسلام العالمي على أسس العدالة في إطار القيم الأخلاقية، هذا الصراع ليس وليد هذا العصر بل يمتد بجذوره إلى التاريخ القديم في سياق ثنائية الخير والشر؛ وتطور مفهومي الصديق والعدو في مختلف العلاقات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، خاصة بعد انتصار الإنسان على الطبيعة وتطويعها في الكثير من الظواهر والمواقف؛ يبدو أنه كان للطبيعة والنزوات الشخصية دور مهم في صياغة الثقافة الخاصة بذلك.

يشهد العالم صراعات اقتصادية وسياسية وعسكرية وثقافية؛ فمثلاً قد يتعاطف المرء مع بعض الدول التي تدافع عن نفسها في حربٍ اقتصادية (حصار- عقوبات- احتكارات- ضرب الأمن الاقتصادي) إلّا أنّها في الحقيقية قد تمتلك أجندات هيمنة اقتصادية خاصة بها قد تهدد الأمن الوطني لكيانات أخرى كالصراع الاقتصادي الصيني- الأمريكي؛ ونفس الأمر بالنسبة للصراعات السياسية والعسكرية. ويبقى الأمن والسلم الدوليين في حالة عدم استقرار؛ الأمر الذي ينعكس سلباً على الإنسان الذي يشكل محور الحياة ومحركها وحقيقة الوجود بالدرجة الأولى. هناك تأثير سلبي كبير لأجندات الهيمنة والاحتلال على المنظومة الأمنية البشرية؛ وقد برزت الكثير من الأفكار التي وصفت وحلّلت هذه التهديدات خدمة لمجتمعاتها، إلا أنَّ ثنائية الخير والشر بحسب وجهة نظر أصحابها بقيت مهيمنة على أهدافها وغاياتها؛ ومع تقدم الدراسات والأبحاث وتفاعل الأفكار مع المعاناة أصبح بالإمكان تقسيم المنظومة الأمنية البشرية إلى عددٍ من المستويات المؤثرة في بعضها البعض، لعل أبرزها الأمن الإنساني والأمن الوطني والأمن الإقليمي والأمن الدولي؛ ويبدو أنَّ هذه المستويات تدور حول محور واحد يسمى بالأمن، الذي يبدو أنه من الصعوبة تعيين حدود لتعريفه كمصطلح ومفهوم، ولا يزال هناك استمراراً في الأبحاث والدراسات التي تتناول (الأمن) في مختلف المجالات والقضايا طالما هناك اكتشافات جديدة، وتحولات في الطبيعة وفي الأفكار البشرية تثير مخاوف الإنسان.

- الأمن، المفاهيم والتعابير.

يعتبر الخوف انفعالاً نفسياً يعرض عن تصور شرٍّ قريب الوقوع([1])؛ وهو ينبع من تحليل عميق لأسوأ النتائج أو العواقب التي يمكن أن تنجم عن ظاهرة أو حدث أو عمل معين يصعب تفسيرها بشكل دقيق، وتتجاوز قدرة الشخص على التحكم بها وتطويعها.

يعتبر الخوف محرّضاً فعّالاً يدفع بالإنسان إلى الاستنفار المستمر لطاقاته الجسدية والفكرية والنفسية في سبيل تأمين حاجاته الفيزيولوجية ودرء الأخطار المحتملة الوقوع أو جارية الوقوع؛ في محيطه أو في خياله؛ يمكننا اعتبار الخوف من الأسباب الرئيسية المساهمة في وجود الثقافات والحضارات التي أقامها البشر منذ آلاف السنين إلى عصرنا الراهن؛ ونلاحظ ذلك بشكل جليّ في الأساطير والأديان والإيديولوجيات؛ وفي الآثار التاريخية والمنشآت؛ وفي الثورات الزراعية والصناعية والتكنولوجية. وللخوف ميزانه الذي يمكن أن يختل بشكل سلبي لدى استشعار الخوف من أشياء لا تبعث بطبيعتها على الخوف، وهذا ما يطلق عليه اسم الخوف المرضي (فوبيا).

مع تطور العلوم في مجال التحليل النفسي والعصبي أصبح بالإمكان التعرف أكثر على محفزّات الخوف لدى الإنسان، وفرز مخاوفه على درجات ومستويات متعددة؛ وكالعادة استغلت الطبقات الساعية وراء السلطة والهيمنة نتائج أبحاث هذه العلوم لصياغة ثقافة خاصة بالخوف كخيار استراتيجي للتعامل مع مخاوفها تجاه أي مقاومة لأجنداتها ويضمن لها السلطة والسيطرة الكاملة؛ وبالمقابل لضمان السلم والأمان سعى الإنسان بشكل فردي أو جماعي، أو بشكل مؤسساتي ضمن كيان سياسي أو اجتماعي، إلى صياغة استراتيجيات وإيجاد وسائل وأدوات للتعامل مع مخاوفه تجاه أي تهديد أو تحدي يعيق استمراره في الحياة وفق إرادته؛ وهذه صفة لازمت الإنسان وتطورت مع الإنسان العاقل بشكل متواصل إلى عصرنا الراهن في سياق التفاعل مع البيئة والطبيعة المحيطة به؛ إنَّ ما تمّ ذكره يشير إلى مفهوم محدد يدعى بالأمن.

للأمن مفاهيم وتعاريف عديدة بحسب الثقافة والمجال الذي يتفاعل معه؛ فالأمن في معظم معاجم اللغة العربية يعني حالة الطمأنينة واللاخوف؛ أما بالنسبة لمعاجم اللغة الإنكليزية([2]) فقد أشار قاموس Webster's إلى مصطلح الأمن بأنه يعني "التخلص من الخوف والقلق والعمل على توفير الطمأنينة والسلام." أمّا قاموس Oxford فعرّف الأمن بأنه "النشاطات المشتركة لحماية البلد أو البنى التحتية أو الأشخاص من الخطر أو الهجوم." وقد عرفت دائرة المعارف البريطانية، الأمن بأنه "حماية الأمة من خطر القهر على يد قوة أجنبية."؛ أما كلمة الأمن sécurité في اللغة الفرنسية فتعني "الغياب الحقيقي لأي خطر"، ونفس الأمر في اللغة الكردية يشير معنى الأمن Ewlehî إلى "اللاخطر" أي الحالة التي توصف بعدم وجود الخطر؛ ولكل نشاط أو ظاهرة هناك هامش أمني خاص بها؛ كالأمن الصناعي والأمن الصحي والأمن البيئي والأمن العسكري والأمن الغذائي والأمن السيبراني والأمن الفضائي.... إلخ.

[1] د. جميل صليبا؛ المعجم الفلسفي؛ الجزء الأول؛ بيروت 1994م؛ الشركة العالمية للنشر؛ ص545.
[2] د. عادل عبد الحمزة ثجيل؛ الأمن القومي والأمن الإنساني دراسة في المفاهيم؛ مجلة العلوم السياسية؛ ص327.
الرابط: https://www.iasj.net/iasj?func=fulltext&aId=120552

لقد تطورت الأفكار المتعلقة بمفهوم الأمن بالتزامن مع تطور مصادر الخوف في سياق علاقة طردية بينهما وفق قاعدة "الفعل ورد الفعل" والتفاعل الديالكتيكي، ولا يمكن حصر ذلك في حدود زمانية ومكانية محددة كونه نتاج لتراكمات فكرية نابعة من التجارب والملاحظات والمقارنات التي تعد من السمات الأساسية للإنسان العاقل ونواة لثقافته، أي بعد أن تمكن الإنسان بشكلٍ عام من التحكم النسبي ببعض الظواهر الطبيعية عبر بناء السدود وقنوات ري المحاصيل، وإقامة الأسوار والمنازل، وإيقاد النار وابتكار الزوارق وصناعة بعض الأدوات، إلى جانب تدجين بعض الحيوانات والتوسع أكثر في الزراعة وغير ذلك؛ أصبح الإنسان يواجه مصادر خوف أخرى متمثلة بالأخطار والتحديات أو المشاكل الجديدة والمتزامنة مع أعماله ونشاطاته وإنشاءاته والتي لا تكفي طاقته في التحكم بها أو إدارتها في حال خروجها عن السيطرة بسبب خطأ فنيٍّ أو سوء تقدير أو ضغطاً مستمراً، فمثلاً أصبحت السدود على الرغم من فائدتها مصدراً للخطر في حال انهيارها، أو فقدان السيطرة على النار والتهامها للقرى والمحاصيل والممتلكات، أو تحوّل حيواناته الداجنة إلى مصدر مغري يجذب مختلف الحيوانات المفترسة أو اللصوص، أو تعرض الزوارق للغرق أو الإنجراف بعيداً بتأثير الأمواج والعواصف، أو تعرض المنازل والأسوار للانهيار أو التصدع...إلخ، بالإضافة إلى التبدلات المناخية ومارافقها من كوارث طبيعية من جفاف أو فيضانات أو ثلوج كثيفة في مناطق متفرقة من العالم وبروز المجاعات والأوبئة والهجرات الكبرى للأقوام وطمعها في خيرات مجتمعات أخرى؛ وبالتالي فإن التدابير والإجراءات والأفكار، التي اتبعها واتخذها الإنسان لتأمين تلك الأمور وغيرها شكلت الدافع الرئيسي في تطور مفهوم الأمن على شكل حلقات متسلسلة أو تراكمات معرفية منذ العصور القديمة إلى عصرنا الراهن؛ لذا يعتبر إشارة واضحة إلى وجود خوف متعلق بخطر قائم أو محتمل بمجرد أن يتم ذكر "الأمن" أي يمكن القول بأن الخوف يسبق فكرة البحث عن الأمن. يبدو أنَّ هذا الأمر يفسح لنا المجال لنقدم معنى آخر لثنائية (الخير والشر)، وهي ثنائية (الأمان والخوف).

أصبح للأمن مجالات ومستويات متعددة تتناول المنظومة الأمنية للكيانات البشرية[3] المحددة بحياة الفرد والمجتمع والوطن والعالم بشكل تراتبي وهرمي؛ وأصبح لكل قطاع أبعاده الخاصة به؛ حيث يشكل الأمن الإنساني حجر الأساس للأمن المجتمعي الذي بدوره يشكل دعامة الأمن الوطني وهذا الأخير يلعب دوراً محورياً في حالتي السلم والأمن، الإقليمي والدولي. وهناك تأثير متبادل لهذه القطاعات فيما بينها، وحالة عدم الاستقرار لإحداها يتسبب في زعزعة المنظومة الأمنية للكيانات البشرية؛ وتبدو "نظرية أثر جناح الفراشة" (The butterfly effect) والتي يطلق عليها أيضاً نظرية الفوضى (Chaos Theory) المعنية بالتغيرات في الطقس والمناخ معبرة عن هذا الأمر بشكل أو بآخر لدى إسقاطها عليه؛ يرى "جايمس غليك" صاحب هذه النظرية حول أثر جناح الفراشة(4) "...إذ تستطيع عناصر صغيرة نسبياً من الطقس أن تُفقد أفضل التنبؤات عن المناخ

[3] نقصد بالمنظومة الأمنية للكيانات البشرية مفاهيم الأمن الخاصة بتأمين النشاطات البشرية المرسخة لضمان استمرار الحياة بإرادة حرة أو توافقية على المستوى الفردي أو الجماعي كالنشاطات السياسية والعسكرية والعلمية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والصحية والبيئية.... إلخ.

[4] جايمس غليك؛ نظرية الفوضى (علم اللامتوقع)؛ ترجمة أحمد مغربي؛ الطبعة الأولى؛ دار الساقي للنشر؛ بيروت 2008؛ ص37.

وقيمتها. إذ تتضاعف الأخطاء والأشياء غير المتوقعة، وتتجمع آثارها وتتعاضد عبر سلسلة من الاضطرابات، لتتحول من عناصر محلية صغيرة، إلى حراك يشمل القارات ويظهر لعيون الأقمار الاصطناعية...".

في عصرنا الحالي يشكل الأمن الوطني علاقة وسيطية بين الأمن الإنساني والأمن الدولي؛ عبر خلقه لحالة توازن بين الأمن المجتمعي والأمن الإقليمي؛ لذلك يعتبر الأمن الوطني محوراً رئيسيا للأمن العالمي ويعد من أبرز مقاييسه.

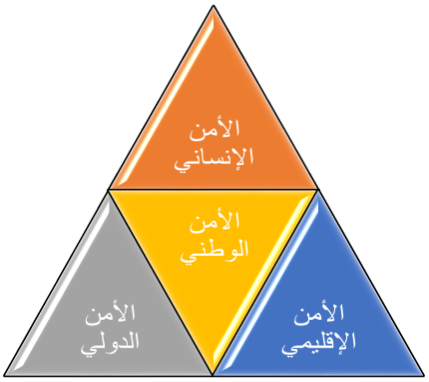

- مستويات المنظومة الأمنية للكيانات البشرية.

تتكون المنظومة الأمنية للكيانات البشرية من تفاعل مفاهيم الأمن الخاصة بالمستويات المحلية والإقليمية والدولية؛ فهناك علاقة تأثير متبادل بينها؛ وأثبتت الأحداث الكبيرة التي شهدها العالم عدم القدرة على أخذ مستوى بمعزل عن الآخر؛ فكما يمكن أن يؤدي عدم الاستقرار في مستوى إلى زعزعة استقرار مستويات أخرى، يمكن أن يؤثر استقرار مستوى في استقرار المستويات الأخرى؛ وهذا ما نجده في ميثاق الأمم المتحدة والقرارات الدولية الصادرة عن مجلس الأمن على سبيل المثال في معرض إداناته الرسمية لبعض الأعمال القتالية في بعض بؤر التوتر من العالم ووصفها بأنها "تهديد للسلم والأمن الدوليين"، وهذا يشير إلى اهتمام عام بالأمن في المستويات المحلية والإقليمية والدولية. يعد إقليم الشرق الأوسط بؤرة توتر، ويعاني من أزمة حقيقية بسبب الصراع الإيديولوجي والعرقي والديني؛ هذا الأمر له تداعياته على الأمن الدولي والأمن الوطني للبلدان الواقعة في حدوده والمجاورة له؛ الأمر الذي ينعكس سلباً على الأمن الإنساني؛ والمحصلة هي العيش في ظل خوف متراكم، وهذا ما يشكل وقوداً لاستمرار تنامي ثقافة الكراهية التي يحرضها التطرف؛ واستمرار التخلف والفقر وفقدان مشاريع التنمية المتنوعة.

لفهم الأمن الوطني وأبعاده، من المفيد التعرف على مستويات المنظومة الأمنية البشرية الأخرى وعلاقتها مع الوضع الجيوبوليتيكي[5] والجغرافيا السياسية لأي بلاد؛ من هذه المستويات:

[5] أول من استخدم مصطلح الجيوبوليتيك هو الباحث السياسي السويدي رودولف كيلين - Rudolf Kjellen عام 1905م في كتابه "الدولة مظهر من مظاهر الحياة" والذي أكّد على ضرورة جعل الجغّرافيا في خدمة الدولة عبر جعل الموقع الجغرافي كمصدر قوّة للدولة في التعبير عن مواقفها السياسية. أي استخدام الجغرافيا كمصدر قوة للتعبير عن

- الأمن الإنساني.

لكل كائن حيّ طريقته في تأمين نفسه؛ لقد ظهر الأمن الإنساني أو البشري مع بداية ظهور الإنسان على سطح الأرض، وتطور مفهومه مع تطور مداركه في سلم الارتقاء الطبيعي، يدفعه إلى ذلك الرغبة الغريزية في الحفاظ على النوع وتأمين الحاجات الفيزيولوجية، من أجل ضمان استمرار الحياة بأقل قدر ممكن من الطاقة؛ وتعكس واجباتنا ونشاطاتنا وأهدافنا في الحياة كأفراد مفهوم الأمن الإنساني بشكل مباشر؛ أي أنَّ الأمن الإنساني يُعبّر عن التدابير التي يتخذها الفرد بحسب نظرته إلى الحياة وموقفه من مؤثرات البيئة المحيطة به التي تتفاعل فيها الظواهر السياسية والاقتصادية والاجتماعية والطبيعية فيما بينها؛ من ناحية أخرى يبدو أنّ الأمن الإنساني يمسّ مشاعر الإنسان بشكل مباشر كونه عامل أساسي في شعوره بالسعادة والطمأنينة؛ وبالتالي فإنَّ الأمن الإنساني مفهوم ذو طبيعة بيولوجية وسيكولوجية وسوسيولوجية، وهو في نفس الوقت يشكل الدعامة الرئيسية للأمن الوطني. وهذا يذكّرنا بمقولة منسوبة إلى ماركس تفيد:" بأنّ الإنسان مجموعة من العلاقات الاقتصادية والاجتماعية أينما تتجه تلك العلاقات يتجه فكر الإنسان".

وعلى الصعيد الدولي يعتبر الأمن البشري من أحد الأسس التي يستند إليها تحقيق الأمن العالمي وذلك استناداً إلى بعض قرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة ([6]) باعتبار أنّ أمن الأفراد والشعوب وليس الدولة هو الأساس في تحقيق الأمن البشري؛ فأحياناً قد تكون الدولة مؤمنة ولكن الفرد مهدّد كحالات الكوارث الطبيعية والنزاعات. وقد تولت كلاً من اليابان وكندا زمام المبادرة لدعم هذا المفهوم؛ فقد كانت رؤية الحكومة اليابانية تتمحور حول فكرة التحرر من الفقر وتأمين الحاجات الأساسية للإنسان وحماية حياته وكرامته والحفاظ عليهما؛ أما الحكومة الكندية فتمحورت رؤيتها على ضرورة التحرر من الخوف والحد من استخدام القوة والعنف([7]).

لقد تعددت التعريفات للأمن الإنساني؛ فمثلاً يشير شعار صندوق الأمم المتحدة الاستئماني إلى نهج الأمن البشري([8]) من خلال "التحرر من العوز؛ التحرر من الخوف؛ حرية العيش في كرامة." أي أنَّ الأمن البشري يضمن حماية جميع الأفراد وتمكينهم في مواجهة الفقر والأوبئة والأزمات الطويلة الأمد والكوارث الطبيعية وحالات الركود الاقتصادي بالإضافة إلى كل ما يندرج في سياق

المواقف السياسية وتعبر عن الاحتياجات السياسية التي تتطلبها الدولة لتنمو حتى ولو كان نموها يمتد الى ما وراء حدودها... أما الجغرافيا السياسية فتعبّر عن تأثير الجغرافيا في السياسة.... فالجغرافيا السياسية تشير إلى الروابط والعلاقات السببية بين السلطة السياسية والحيز الجغرافي من خلال استخدام ثروات البلد وقواه الطبيعية والبشرية في تحديد سياسة الدولة.

الموسوعة السياسية؛ الجيوبوليتيك – Geopolitics؛ الرابط: https://political-encyclopedia.org/dictionary/الجيوبوليتيك

[6] للاطلاع على أحد هذه القرارات راجع صفحة: الجمعية العامة للأمم المتحدة؛ الدورة السادسة والستون، البندان 14 و117 من جدول الأعمال؛ قرار اتخذته الجمعية العامة في 10 أيلول/ سبتمبر 2012م؛ الرابط: https://undocs.org/ar/A/RES/66/290

[7] خوله محي الدين يوسف- د. أمل يازجي؛ الأمن الإنساني وأبعاده في القانون الدولي العام؛ مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية؛ المجلد 28؛ العدد 2؛ 2012م؛ ص529.

[8] للمزيد، راجع موقع صندوق الأمم المتحدة الاستئماني للأمن البشري؛ ما هو الأمن البشري؟؛ الرابط: https://www.un.org/humansecurity/ar/what-is-human-security/

هذا النهج. بشكل عام تعتبر مواد وبنود الإعلان العالمي لحقوق الإنسان[9] التي اعتمدتها الجمعية العامة للأمم المتحدة في باريس بتاريخ 10 كانون الأول 1948م مصدراً رئيسياً مُعبراً عن مفهوم وأبعاد الأمن الإنساني والتحديات التي يواجهها، خاصة أن من صاغوه يعتبرون ممثلين عن مختلف الخلفيات القانونية والثقافية من جميع أنحاء العالم، كما أنّ أبعاد الأمن الإنساني والأفكار الأخرى ذات الصلة التي سيتم التطرق إليها تشير ضمناً إلى تعاريف للأمن الإنساني.

استناداً إلى ذلك يمكننا تعريف الأمن الإنساني بشكلٍ موجز بأنه تمكّين الإنسان من الحياة بأمان وحرية في إطار القيم الأخلاقية ومبادئ العدالة.

- **أبعاد الأمن الإنساني:**

للأمن الإنساني أبعاده الخاصة به، ومن خلال هذه الأبعاد يمكننا تحديد الأخطار والتحديات والتهديدات التي تواجهه؛ ويشكل العمل على تنمية هذه الأبعاد وتعزيزها دوراً رئيسياً في ضمان الأمن الإنساني. لقد حدد تقرير التنمية البشرية الذي أصدره برنامج الأمم المتحدة الإنمائي عام 1994م ثماني أبعاد للأمن الإنساني[10]، وهي الأمن الاقتصادي؛ والأمن الغذائي؛ والأمن الصحي؛ والأمن البيئي؛ والأمن الشخصي؛ والأمن المجتمعي؛ والأمن السياسي؛ والأمن الوقائي. هناك العديد من الدراسات التي تناولت هذه الأبعاد وقدمت تفسيرها له بحسب طبيعة المجتمعات المدروسة والاتجاهات الفكرية التي تناولته؛ استناداً إلى ما سبق يمكننا تحديد أبعاد الأمن الإنساني، باعتبارها أبعاداً متفاعلة ومكمّلة ومتمّمة لبعضها بمستوى أفقي، بالشكل التالي:

1. الأمن الاقتصادي: يُعبّر عن توفر مصدر أو دخل أساسي مضمون يُمكّن الفرد من تأمين حاجاته المختلفة، ويجعله فوق مستوى خط الفقر، ويضمن العيش بكرامة؛ - من المفروض أن يكون لكل بلد معاييره الوطنية في تحديد مستوى خط الفقر -.
2. الأمن الغذائي: يتضمن إمكانية الحصول على الغذاء الرئيسي والصحي بشكلٍ مستمر؛ وهذا يتطلب توفر شرطين رئيسيين وهما توفر الغذاء والقدرة على شرائه أو انتاجه.
3. الأمن الصحي: يشير إلى توفير الظروف المناسبة التي تضمن الحد الأدنى من الحماية من الأمراض والأوبئة والمشاكل النفسية والعصبية؛ وتأمين بيئة صحية خالية من مسببات الأمراض؛ ووجود آلية تضمن الرعاية الكاملة في حالات المشاكل الصحية المزمنة عبر إنشاء نظام تأمين صحي؛ وقدرة الحصول على الخدمات الصحية المتنوعة في أي زمان ومكان.
4. الأمن البيئي: ويتضمن تأمين الظروف الآمنة والسليمة في أي بيئة يتواجد فيها الفرد، سواء أكانت بيئة العمل أو البيئة الاجتماعية أو البيئة الطبيعية...إلخ؛ تكفل الصحة والسلامة، البدنية والنفسية والعضوية والفكرية للفرد؛ وتعتبر الكوارث والتلوث والضجيج والمناظر القبيحة والبنية التحتية المترهلة والسلوك اللامسؤول من أكبر التحديات التي يواجهها الأمن البيئي.

[9] للاطلاع على هذه المواد والبنود راجع: الإعلان العالمي لحقوق الإنسان؛ موقع الأمم المتحدة؛ الرابط:
https://www.un.org/ar/universal-declaration-human-rights/index.html

[10] الصحة والأمن الإنساني؛ منظمة الصحة العالمية (المكتب الإقليمي للشرق الأوسط) - البند 9 من جدول أعمال الدورة التاسعة والأربعون المنعقدة في آب 2002م؛ ص2.

5. الأمن الشخصي: ويتضمن تأمين الإنسان من العنف البدني والنفسي؛ ومنع انتهاك الحقوق الشخصية والحرية العامة المحدودة في إطار القيم الأخلاقية ومبادئ العدالة؛ سواء أكانت صادرة عن مؤسسات الدولة أو من قبل أفراد؛ أو من قبل الشخص ذاته كالانتحار أو تعاطي المخدرات أو الإقدام على ارتكاب جناية ما؛ إلى جانب توفير الآليات اللازمة في ضمان حماية الثروة الشخصية والملكية الفكرية والمساواة في ممارسة النشاطات والأعمال المختلفة؛ وهذا ما من شأنه أن يؤمن الطمأنينة المستمرة للفرد.

6. الأمن المجتمعي: ويضمن الحفاظ على الهوية الثقافية للفرد في إطار القيم المجتمعية للمجتمع الذي يعيش فيه، ومنع ما من شأنه أن يفكك المجتمع أو يؤذيه، وذلك من خلال خلق ظروف اجتماعية موضوعية خالية من ثقافة الكراهية والتوتر العرقي والعنف الأسري والاستغلال، والقضاء على سياسة الاغتصاب العاطفي أو العقلي الساعية إلى إغراق العقل بموضوعات الجنس والعنف والحروب وسياسة التواكل والخنوع، إلى جانب حماية ربّ الأسرة من أية سياسات خبيثة تسعى إلى ترويضه وإخضاعه لإرادة استبدادية أو مخادعة لأهداف سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو عدائية. يبدو الأمن المجتمعي ضعيفاً في المجتمعات الطبقية وقوياً في المجتمعات الكومينالية الديمقراطية.

7. الأمن السياسي: ويضمن حماية حقوق الإنسان وحرياته الأساسية؛ وتأمينه من العنف النفسي والبدني الذي قد يتعرض له بسبب معتقداته أو أفكاره أو أسلوب تعبيره؛ وذلك في إطار الهوية الوطنية والقيم الأخلاقية، والامتناع عن كل ما يهدد تماسك الأمن الوطني. فمثلاً، الجهل السياسي يحدد الغالبية الصامتة المنغمسة في أعمالها المحدودة والساعية وراء تأمين لقمة العيش بالشكل الذي تحدده النخب الاستبدادية والاحتكارية، التي تعمل على إخضاع الإنسان قدر الإمكان للمشاعر والعاطفة وإلغاء الحسّ النقدي([11]) لديه، فلو كان هناك معرفة بأجندات هذه النخب ومخططاتها لتمَّ مقاومتها ولتحسن الوضع المعيشي بشكل أفضل وعادل، وانعكس بشكل إيجابي على المجتمع.

8. الأمن الوقائي: وتضمن التدابير والإجراءات والوسائل التي تؤمن كلاً من التنمية البشرية والاحتياط لأسوء السيناريوهات المحتملة في المستقبل من خلال إعداد مشاريع ووضع خطط وحلول مسبقة. وكذلك يبدو الانفتاح على تطوير الثقافات المحلية والمؤسسات المختلفة عامل مهم للتنمية البشرية.

من ناحية أخرى يمكن أن نعبّر عن الأمن الإنساني من خلال معرفة سلّم الأولويات بالنسبة للبشر والتي يكرسون الكثير من الجهد والوقت لتحقيقها، كونها تحقق لهم السعادة والطمأنينة، وقد رتّب عالم النفس (ابراهام ماسلو)[12] هذه الأولويات في سلّم أطلق عليه اسم "هرم ماسلو" واعتبرها حاجات يجب اشباعها حتى يتمكن الإنسان من العيش بدون اكتئاب وقلق وآلام نفسية، وعدم إشباع هذه الحاجات سيدفع الإنسان إلى إشباعها فيما بعد بشكلٍ مفرط ومبالغ في أقرب فرصة وبأي وسيلة

[11] الحسّ النقدي: عملية فكرية قادرة على تحليل قضية أو رأي بأسلوبٍ موضوعي قائم على مبدأ الشك والتجرد من المحاكمة العاطفية والدوغمائية لها في تحديد الجوانب السلبية والإيجابية واتخاذ رد فعل المناسب.

[12] ابراهام ماسلو؛ تولد عام 1908م وتوفي عام 1970م، وهو عالم نفس أمريكي من أصل يهودي روسي؛ وقد شرح ما يعرف بهرم ماسلو في نظريته النفسية "نظرية الدافعية الإنسانية".... أبراهام ماسلو؛ ويكيبيديا.

كانت؛ وهذه الحاجات بحسب ماسلو أربعة[13]، وهي الحاجات الفيزيولوجية، وحاجات الأمان، وحاجات الحب والانتماء (الحاجات الاجتماعية) من علاقات عاطفية وعائلية وكسب صداقات (علاقات ضمن بيئة العمل)، والحاجة إلى التقدير وتحقيق الذات ومجدٍ شخصي خاص يكسبه الاحترام في المجتمع. إنّ حاجات الأمان تمسّ جوهر الأمن الإنساني وقد تم الإشارة إلى بعض أبعادها؛ ولكن من المفيد أن ندرك بأنّ اعتماد الإنسان على قدراته الذاتية من شأنها أن تحرره من العبودية والتبعية وهذا ما انطبع في الشعور الإنساني؛ فعندما يستطيع الإنسان أن يصنع أو يؤمن أدواته وطعامه وشرابه ولباسه ومسكنه لن يكون بحاجة إلى أن يكون عبداً كونه سيكون قادراً على الدفاع عن نفسه؛ علماً أن مستوى نجاح الأنظمة المستبدة تقاس بعدد عبيدها –الذين يرضون باستبدادهم-.

عموماً تعتبر الموهبة وسعة الإدراك السبب الرئيسي في جعل الإنسان سيّد نفسه؛ ويبدو أنَّ كلاً من النظام التعليمي النوعي والنظام الاقتصادي التشاركي المجتمعي يفسحان المجال لذلك.

يبدو أنّ ما تمّ عرضه من أفكار مُقيّدة بوجهة نظر الدول القوية المتحكمة في السياسات الدولية، وبالخلفية الثقافية والاجتماعية لعلماء النفس والاجتماع؛ كما أنّ النخب الدينية والدولتية تشير إلى أنّ السلطة هي التي تكفل الأمن الإنساني، كون الإنسان قاصر القوة الفكرية والبدنية، بعكس مواقف قادة الثورات الاجتماعية من أنبياء ومفكّرين الذين يصرّون على أنّ الأمن الإنساني يجب أن يحققه الإنسان بذاته، بما يمتلكه من قدراتٍ ومواهب، ويكفي أن تقوم النخب الاجتماعية والسياسية بفسح المجال لتحرر طاقاته وإزالة العوائق من أمامها. إنّ هذا الأمر يفرض علينا تقصي آراء وأفكار قادة الثورات الاجتماعية والسياسية المعاصرين بهدف التعرف على وجهة نظرهم بخصوص الأمن الإنساني وأبعاده، كون ذلك يشكل جوهر الأهداف التي من أجلها فجّروا ثوراتهم في بيئات محكومة بالظلم والمعاناة، وبالتوحش والتخلف؛ وعلى هذا يستند التخطيط الاستراتيجي لتلك الثورات؛ يعدّ المفكر الأممي عبدالله أوج آلان، من أبرز قادة الثورات في منطقتنا حيث استطاع أن يحدث تحولات مهمة في البنية الثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية بطرح أفكارٍ جديدة يبدو أنها شكلت قواعد استراتيجية للكيانات والأفكار المنبثقة من براديغما الأمة الديمقراطية التي طرحها؛ على الرغم من أنه لم يتطرق إلى مصطلح الأمن الإنساني وأبعاده بشكل مباشر، إلا أن أغلب أفكاره تدور حول هذا الأمر من خلال تركيزها على طرح مقوّمات الأمن الإنساني، التي بدورها ستضمن بشكل تلقائي حاجات الإنسان ودرء المخاطر المختلفة عنه، وذلك من خلال تطوير أولويات حاجات البشر المتمثلة بالحماية والتناسل وإشباع الحاجات الشخصية التي كانت سائدة في المجتمع الطبيعي[14]؛ من أبرز هذه المقوّمات الديمقراطية والإرادة الحرة في نطاق القيم الأخلاقية

[13] Saul McLeod، Maslow's Hierarchy of Needs، simply psychology، 2018، link: https://www.simplypsychology.org/maslow.html

[14] المجتمع الطبيعي، هو نظام الجماعات البشرية، الذي دام مرحلة اجتماعية طويلة تبدأ بانفصال الموجود الإنساني عن فصيلة الثدييات الرئيسية البدائية، وتنتهي بظهور المجتمع الهرمي. وعادة ما تطلق تسمية المرحلة الباليولية (العصر الحجري القديم) والنيولية (العصر الحجري الجديد) على هذه الحقبة من التاريخ البشري... عبد الله أوج آلان؛ الدفاع عن شعب (المرافعة المقدمة إلى محكمة حقوق الإنسان الأوروبية)؛ ترجمة: زاخو رزكاري؛ الطبعة الأولى 2005؛ بلا ناشر؛ ص21.

والحياة الكومونالية، والتناغم بين الإنسان والإيكولوجيا، والاقتصاد الكومينالي الأيكولوجي، والدفاع الذاتي، والمعنويات المستندة إلى طاقة الوعي والادراك؛ هذه المقوّمات تشكل النواة الصّلبة في كيان الأمة الديمقراطية.

استناداً على واقع مجتمعاتنا المحلية وتاريخها السياسي المؤسف وثقافاتها العريقة، ومن أجل ضمان الأمن الإنساني يؤكد المفكر أوج آلان على ضرورة تحرّر الفرد من القهر والاستغلال والاستبداد المفروض عليه من قبل مختلف الفئات السلطوية، الاجتماعية والسياسية والدينية والاقتصادية، بدءاً من الأسرة كأصغر وحدة اجتماعية في سياق هيمنة الذهنية الذكورية المتسلطة مروراً بالزعامات الاجتماعية والتجارية والدينية وانتهاء بقمة هرم السلطة؛ ويكمن ذلك من خلال امتلاك الفرد لوسائل وأدوات الإنتاج اللازمة في مستوى نشاطه، وعدم احتكارها من قبل أي طرف، وصيانة كدح الإنسان من النهب والاستغلال، ونبذ البيروقراطية ورأسمالية الدولة، وحماية الطبقات الكادحة بتشريعات تشارك في صياغتها، إلى جانب نبذ الأنانية، وتجنب تحقيق الحب أو المودة أو الموالاة بالعنف، وأن تترسخ الديمقراطية ليس في النظام الحاكم فقط، وإنما في حياة الفرد ومجتمعه عبر اعتماد النظام الكومونالي، بالإضافة إلى نبذ استعباد المرأة والسموّ على الضغوطات المتمخضة عن الفوارق المذهبية أو التناقضات القومية والثقافية[15]؛ وينبغي أن يكون الفرد كومونياً في الأمة الديمقراطية بقدر ما يكون حراً، وأن يجد حريته في كومونية المجتمع، أي في الحياة على شكل مجموعات صغيرة أكثر فعالية، ويشير أيضاً إلى حاجة الفرد للانتماء إلى الأمة التي يعرّفها بأنّه "تجمع ممن يتشاطرون ذهنية مشتركة..."، والأمة الديمقراطية هي الأمة الأدنى إلى الحرية والمساواة، وتضمن الشراكة الذهنية والثقافية للشعوب والمجتمعات[16]. بعد ذلك تأتي مرحلة إعادة بناء وتقييم الإنسان لذاته، سياسياً واجتماعياً وثقافياً واقتصادياً، وفقاً لتلك الإرادة المتحررة، من خلال الشخصية المفكّرة والمقررة لا العبدة والمصطنعة، ويكمن ذلك من خلال انفتاحه على الحسّ النقدي والرُّقي الذهنيّ، هذه الأمور من شأنها أن تزيد من وعي الإنسان إلى مستويات عالية، كون تطور الإنسان يتعلق بقدرته الفكرية عن كثب؛ وبدون وجود قوة الفكر والعقل لدى الإنسان وما يتمخض عنها من انعكاسات على الإرادة والروح، لا يمكن للحياة العملية أن تتطور ضمن سياق التطور الإنساني؛ وبدون وجود الفكر والعقل وقوة الخيال، تستحيل الحياة، ومهما كانت معيشة الإنسان مؤمّنة من قبل من يرعاه سواء أكان وليّ أمره أو حكومته أو بما يمتلكه من ثروة، لا يعني أن يبقى بلا عمل، كون الكدح والإنتاج والإبداع تحقق التقدم للبشرية، لذا من الضروري أن يحمي الإنسان نفسه من البطالة على الرغم من التطور التقني، بل يجب أن يستمر بالعمل إلى درجة العبادة، فقيمة مساهمة الفرد بالمجتمع تقدّر بحسب ومواهبه ودرجة كدحه وإنتاجه. تبدو المعنويات الطاقة الدافعة لما تمّ ذكره لذلك يحتاج الإنسان إلى المعنويات، ومن

[15] للمزيد مراجعة الكتاب "الإصرار على الاشتراكية إصرار على بناء الإنسان"؛ عبد الله أوج آلان، الطبعة الأولى 2003م؛ منشورات اتحاد التنوير الديمقراطي؛ مطبعة آزادي؛ الكتاب رقم 20 من سلسلة الكتب العربية.

[16] للمزيد مراجعة المجلد الخامس من كتاب "مانيفستو الحضارة الديمقراطية (القضية الكردية وحل الأمة الديمقراطية/ دفاعاً عن الكرد المحصورين بين فكّي الإبادة الثقافية)؛ عبد الله أوجالان؛ ترجمة: زاخو شيار؛ الطبعة الثانية 2014م؛ مطبعة آزادي؛ بلا ناشر.

الأمور التي تضمنها نبذ ثقافة الكراهية التي وصفها أوج آلان بالحيوانية والوحشية([17])، وانخفاض المعنويات يقابله سيادة اليأس الذي يعدّ المعطّل الرئيسي لعجلة التطور الإنساني وقد يؤدي إلى الانتحار الذاتي بدنياً من خلال الموت أو إيذاء النفس، أو ثقافياً من خلال الانصهار في ثقافات أخرى، أو اجتماعياً من خلال السلوك المنحرف، أو سياسياً من خلال الخضوع للاستبداد، أو اقتصادياً من خلال الإفلاس والبطالة والفقر.

ولكي يضمن الإنسان استمرار الحياة والإنجازات المكتسبة، بشكل سليم، يتحتم عليه الحفاظ على البيئة من خلال اعتماد الإيكولوجيا في جميع النشاطات الإنتاجية والاستهلاكية، باعتبار الإنسان جزءاً لا يتجزأ من عمليات النظام البيئي المتمثلة بعمليات التفاعل الحيوي بين أنظمة الكائنات الحية والمجتمعات التي تتكون منها والمكونات غير الحية لبيئتها، لذا هناك حاجة ماسّة للإنسان إلى البيئة السليمة ويقع على عاتقه جزء كبير من مسؤولية تحقيق ذلك.

استناداً إلى ما تمّ ذكره، يشير المفكر عبد الله أوج آلان مبدئياً إلى خمسة حاجات رئيسية لضمان الأمن الإنساني ويسعى إليها الإنسان الواعي والسويّ بكل طاقاته، وهي الحاجة إلى الإرادة الحرّة؛ والحاجة إلى تقوية الذات وتطويرها، فكرياً ونفسياً واقتصادياً، كآليات جوهرية في الدفاع الذاتي؛ والحاجة إلى المعنويات المتحرّضة بفعل الوعي البنّاء والحماسة والاعتدال ونبذ ثقافة الكراهية، التي من شأنها أن تطوّر كلاً من الذكاء العاطفي والاجتماعي للفرد؛ وهناك الحاجة إلى العمل المنتج والمبدع، والحاجة إلى البيئة السليمة والنظيفة سواء أكانت بيئة طبيعية أو اجتماعية أو سياسية أو ثقافية.

إنّ ما تمّ ذكره من شأنه أن ينعكس بشكلٍ إيجابي على المجتمع والشعب والأمة ليمتدَّ تأثيرُها إلى العالم أجمع، كون الإنسان يشكل مادة البناء وطاقة الحياة للمجتمعات المتنوعة.

تبقى الديمقراطية والإرادة الحرة في نطاق القيم الأخلاقية والحياة الكومينالية، الدروع التي تحمي الإنسان من الاستغلال والظلم وانتهاك حريته وحقوقه، وتفسح المجال بنفس الوقت للمساهمة بقدر معين في تطوير الواقع ومؤسسات الكيان الحاكم من خلال تحرير أفكاره السياسية وطاقاته الفكرية في إطار الهوية الوطنية؛ أي أنَّ الأمن الإنساني لا يمكن إدراكه إلا في حال وجود كيان آمن يسود فيه مبادئ الديمقراطية، وقادر على حماية مواطنيه من أية مخاوف؛ لذلك فإنَّ غياب الأمن الإنساني مرتبط بشكلٍ رئيسي بأنظمة الحكم الاستبدادية التي تدفع بالإنسان إلى الانطواء والانعزال عن المجتمع وتحوله إلى كائن سلبي مستهلك وغير منتج أو ينحرف لارتكاب جناية ما أو التحوّل إلى شخصية "الكائن الخرافي Centaure" المزود برأس ليبرالية مثبت على جسد سلطوي تحكمي استبدادي مشبع بمبدأ "أتركه يعمل، اتركه يمر" ويعمل على تعزيز اللامساواة الاجتماعية والفروقات وغيرها من الأمور الشاذة([18])؛ وقد يندفع إلى خيارات أخرى كالانتفاض في

[17] عبد الله أوج آلان؛ الإصرار على الاشتراكية إصرار على بناء الإنسان؛ الطبعة الأولى 2003م؛ منشورات اتحاد التنوير الديمقراطي؛ مطبعة آزادي؛ الكتاب رقم 20 من سلسلة الكتب العربية؛ ص26.

[18] "الكائن الخرافي Centaure هو كائن مبتدع في أمريكا ونمط من أنماط التفكير الخرافي الأمريكي الذي تحاول فرضه على العالم ضمن نطاق العولمة...".

وجه السلطة الحاكمة أو الهجرة أو الخيانة (التخلي عن الهوية الوطنية). كما إنّ الحرب النفسية والأجندات التآمرية تركّز بالدرجة الأولى على تحطيم الأمن الإنساني ويعدّ ذلك من معايير نجاحها.

ويبقى الاحتلال والنزاعات المسلحة؛ والأسلحة النووية والألغام، والعولمة الاقتصادية واقتصاد السوق؛ والاحتباس الحراري، وكذلك غياب مبادئ الديمقراطية والعدالة والحوكمة[19] الديمقراطية؛ وغياب التنمية المستدامة في مختلف القطاعات (خطط الأمن الوقائي)؛ من أبرز التحديات التي تواجه الأمن الإنساني، وقد لا تملك الحكومات المحلية القدرة على تأمينها بشكل كامل كونها تحتاج إلى طاقات هائلة وفترة زمنية معينة.

- الأمن الإقليمي والدولي:

إنَّ التنافس الإقليمي يطرح مجموعة من السيناريوهات المُقلِقة في حال كان الدافع لهذا التنافس مشاريع إيديولوجية تروّج لثقافة الكراهية، وتحمل بين طياتها عمليات تطهير عرقي وتغيير ديمغرافي وهدف استراتيجي في السيطرة على الموارد والثروات المتنوعة واستعباد الشعوب؛ ويعتبر الأمن الإقليمي والدولي مفهوم واسع يصعب تحديده في أبعاد وشروط خاصة؛ هناك من يربط الأمن بالقدرة على الحرب وقد قدمت النظرية الواقعية في السياسة[20] عدة تفسيرات في هذا السياق من خلال اعتبار التحالفات بين الدول من شأنها أن تزيد من قدرة الدولة على الدفاع عن نفسها بشرط ألا يكون هناك اعتماد متبادل أو ولاء بين الدول المتحالفة، وترى الواقعية بأنَّ الإنسان لا يحب الخير والفضيلة بل يميل إلى الشر والخطيئة وامتلاك القوة؛ هذه الصفة تزداد عند الانتقال من المستوى الفردي إلى مستوى الدولة؛ وتشير إلى أنَّ المبادئ الأخلاقية لا يمكن تطبيقها في العمل السياسي كون الأخلاق ليست أفكاراً عقلانية بتقدير هذه النظرية لأنها تقوم على العواطف والأحاسيس وهو ما لا تقوم عليه الدول؛ قد تكون هذه النظرية متأثرة إلى حد ما بحالة عدم استقرار السلم والأمن الدوليين، وفقدان عنصر الثقة في العلاقات الدولية؛ وبالتالي فإنّ كل دولة سوف تتوقع الأسوأ من غيرها.

يحدد منظّرو النظرية الواقعية ثلاثة حالات للسلام الدولي والإقليمي، وهي: حالة التوازن في القوة، أي امتلاك قوة الردع المناسبة والكافية. وحالة الهيمنة: وهي وجود دولة قوية تفرض هيمنتها على النظام الإقليمي والدولي دون أن تحقق سيطرة كاملة؛ وتأتي هذه الحالة في المحاور والتكتلات الدولية التي تجمع عدداً من الدول القوية تقودها دولة أقوى. وحالة السلام الإمبراطوري: وهي حالة

د. إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي؛ الموسوعة الاقتصادية والاجتماعية (عربي- انجليزي)؛ الناشر مؤسسة كتب عربية 2005م، ص406.

[19] الحوكمة مصطلح حديث نسبياً يشير إلى نظام إدارة يهتم بالأخلاق بالدرجة الأولى، يستخدم في الاقتصاد بشكل خاص، وقد توسع مفهومه ليشمل السياسة والعسكرة والتعليم وغيرها؛ وهو بشكلٍ عام يشمل مجموعة من القواعد والمبادئ والإجراءات الهادفة إلى تحقيق التوفيق والتوازن بين أصحاب المصالح المتعارضة، وتوزيع الحقوق والمسؤوليات فيما بينها ضمن إطار عام من الشفافية والإفصاح والمساواة في الفرص، وتعزيز الرقابة الذاتية واعتماد معايير تراعي الخصائص السياسية والثقافية وأنماط الملكية والأسواق والمحاسبة ومنع الاحتكار وحماية المستهلك والبيئة وقوانين الضرائب والعمل....

[20] الموسوعة الجزائرية للدراسات السياسية والاستراتيجية؛ دراسات سياسية؛ النظرية الواقعية الكلاسيكية في العلاقات الدولية؛ تاريخ النشر 2019/6/10م؛ الرابط: https://www.politics-dz.com

سيطرة دولة واحدة تملك قدرات عظيمة في مختلف المجالات تؤهلها لفرض سيطرتها الكاملة على بقية الدول سيطرة كاملة وفرض إرادتها عليها.

إنّ هذه النظرية تربط الأمن الدولي والإقليمي وحتى الوطني بقوة الدول العسكرية كضمانة لتحقيق السلام؛ إلا أنَّ ما يثير الشك في مدى صواب هذه النظرية هي فشل الكثير من الدول القوية في تحقيق الأمن والسلام سواء على صعيدها الداخلي أو الخارجي، بل أنَّ هناك دولاً كانت قوية عسكرياً لم يعد لها وجود الآن.

بشكلٍ عام يمكن أن يتحقق الأمن الإقليمي في حال نبذ المشاريع والأجندات التي تهدد الأمن الوطني للدول المجاورة، أو تكاتف عدد من الدول المنتمية إلى إقليم واحد وتوحيد جهودها وقدراتها في مختلف المجالات من أجل الدفاع المشترك بينها لمنع أي قوة خارجية من الهيمنة على ذلك الإقليم أو يتدخل في شؤونه بشكل يؤثر في مصالح دول الإقليم، وذلك في حال تطابق المخاطر والتهديدات المشتركة لأمنها الوطني؛ وقد استطاعت بعض الدول تحقيق أمنها الإقليمي ولو بشكل نسبي كالاتحاد الأوروبي ومجلس التعاون الخليجي؛ أما الأمن الدولي فيتحقق في حال وجود احترام للعدالة ولمواثيق واتفاقيات الأمم المتحدة، وهذا ما يتطلب الشفافية والاحترام من قبل مجلس الأمن الدولي تجاه المواثيق ذات الصلة؛ حيث تشكل منظمة الأمم المتحدة ركيزة أساسية للحفاظ على نظام الأمن العالمي وتشكل مواثيقها آليات لضبط علاقاتها؛ من ناحية أخرى هناك طرحٌ لمفهوم الكوزموبوليتانية([21]) كخيار استراتيجي لتحقيق السلام العالمي.

يتوقف الأمنين الإقليمي والدولي على المشاريع الاستراتيجية للدول وخطط التنمية الشاملة وطويلة الأمد؛ ولها تأثير على الأمن القومي للدول المختلفة التي تصيغ استراتيجياتها القومية بما يمكنها من التعامل بقوة مع السيناريوهات المحتملة التي قد تطفو على المشهد السياسي والأمني على المستويين الإقليمي والدولي؛ وتعتبر المشاريع الإيديولوجية ذات الطابع القومي أو الديني والمشاريع الإمبريالية من أكبر مصادر التهديد لهذا الأمن؛ وهذا ما يدفع بالكثير من الدول إلى السعي وراء ما يعرف "بتوازن الرعب" ويبدو أن هذا المسعى لا حدود له ويؤدي إلى تداعيات سلبية تتمثل في زيادة انعدام الأمن.

من ناحية أخرى يمكن للمجتمعات أن تلعب دوراً محورياً في تحقيق الأمنين الإقليمي والدولي على الرغم من أنها مُغيّبة عن إدارة السياسة الخارجية والقرارات المصيرية للكثير من الدول، فنبذ ثقافة الكراهية بينها أو تكاتفها أو الحوار بينها من شأنه أن يساهم في تحقيق السلام العالمي؛ حيث

[21] كوسموبوليتيس أو كوزموبوليتيس، كلمة إغريقية مشتقة من كوسموس أي العالم أو الكون، وبوليتيس والتي تعني المواطن أو الفرد؛ وتفسر بأنها مصطلح يشير إلى المواطنة العالمية التي تتعدى العرق الواحد واللغة الواحدة والمعتقد الواحد، قائم على الأخلاق ومبدأ الاحترام المتبادل، تحت ظل حكومة عالمية...
الكوزموبوليتانية Cosmopolitanism هي الإيديولوجية التي تعتقد بأن جميع البشر ينتمون إلى مجتمع عالمي واحد، على أساس الأخلاق المشتركة، أو العلاقة الاقتصادية المشتركة، أو الهيكل السياسي الذي يشمل الأمم المختلفة، وتعني السلام والوئام بين الأمم، على أساس التفاهم والتسامح والاعتمادية المتبادلة...
وهناك من يفسرها كالوجه المشرق لنظام العولمة التي ظهرت كمصطلح بعد ثورة الاتصالات الإلكترونية، وتفسر بأنها عملية تحكم وسيطرة ووضع قوانين وروابط وتجعل العالم قرية صغيرة، وصهر الثقافات والهويات والقضاء على التنوع والتعدد حيث أنّ الهيمنة دائماً للأقوى، خاصة القوى الرأسمالية...

تعمل الأنظمة السلطوية الدولتية على خلق التناقضات والضغائن بين المجتمعات المتنوعة لتبرير أعمالها العدوانية وتعزيز أجندات الهيمنة، حتى أنها تسعى إلى إفساد المجتمع الواحد بغرض تشتيته وإضعافه ليسهل التحكم به وتسييره وفق إرادة السلطة الاستبدادية؛ لذا فإنّ السلام داخل المجتمعات وبينها من شأنه أن يشلّ استراتيجيات التوحش المكرّسة لأجندات الهيمنة في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والعسكرية، كما ويقع على عاتق النخب الاجتماعية ضمان المحاكمة الاجتماعية لمختلف القضايا الداخلية والخارجية، خاصة تلك التي تُستغل لغايات سياسية واقتصادية، فمثلاً على الرغم من السياسة القمعية التي تمارسها الدولة التركية بحق الشعب الكردي إلا أنها لم تستطع خلق عداوة عميقة بين المجتمعين الكردي والتركي، حيث نجد في الكثير من الأحيان الكثيرين من النخب الفكرية الإنسانية في المجتمع التركي يدافعون عن قضية الشعب الكردي وينخرطون في النضال إلى جانبه، في الوقت الذي لم تنتهج فيه حركة التحرر الكردية في شمال كردستان أي أعمال عدوانية تستهدف المجتمع التركي؛ إلى جانب دور المجتمع الكردي في التاريخ السياسي والاقتصادي والثقافي والعسكري في سياق فترة السلطنة العثمانية والدولة التركية الحديثة؛ كذلك لم تستطع الدولة التركية نقل صراعها مع حركة التحرر الكردية إلى صراع عرقي بين المجتمعين الكردي والتركي. ويبدو أنّ سعي النخب في كلا المجتمعين إلى مشروع سلام عادل سيلقى قبولاً عاماً، الأمر الذي سيحسم الكثير من المعاناة والصراعات في الشرق الأوسط، وسينعكس بشكل إيجابي على السلام والأمن، الدولي والإقليمي. ونفس الأمر كذلك بالنسبة لمجتمعات شمال وشرق سوريا، حيث لم تنحرف نحو الحرب الدائرة بين الفصائل الرجعية والسلطة المركزية في سبيل الاستحواذ على السلطة والثروات.

- الأمن الوطني.

قبل الشروع في تناول الأمن الوطني هناك إشكالية يطرحها مصطلحي القومية والوطنية؛ فقد تعددت التفسيرات لماهيّة هذين المصطلحين ويبدو أنّ هناك تأثير للإيديولوجيات والاتجاهات الفكرية في ذلك. نجد في الكثير من الأبحاث والمصادر مصطلحي الأمن القومي والأمن الوطني كمصطلحين مترادفين تارة وكمصطلحين مستقلين تارة أخرى؛ فالقومية تُفّسر أحياناً بأنّها الهوية الإثنوثقافية للفرد؛ بينما جاء في عدد من معاجم اللغة العربية معنى آخر "القَوْميّة: صلة اجتماعية عاطفية تنشأ من الاشتراك في الوطن والجنس واللُّغة والمنافع."([22])؛ بينما جاء في المعجم الفلسفي "... والقومي هو المنسوب إلى القوم... والقومية هي الصفة الحقوقية التي تنشأ عن الاشتراك في الوطن الواحد ويرادفها الجنسية... والقومية أيضاً صلة اجتماعية عاطفية تتولد من الاشتراك في الوطن، والجنس، واللغة، والثقافة، والتاريخ، والحضارة، والآمال، والمصالح..."([23])؛ بينما جاء في الموسوعة الاقتصادية والاجتماعية([24]) " قومية Nationalism يشير إلى انتماء جماعة بشرية

[22] تعريف ومعنى القومية في قاموس المعجم الوسيط، اللغة العربية المعاصرة، الرائد، لسان العرب، القاموس المحيط. قاموس عربي عربي. الرابط:
https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar

[23] د. جميل صليبا؛ المعجم الفلسفي؛ الجزء الثاني؛ الشركة العالمية للكتاب؛ بيروت 1994؛ ص205.

[24] د. إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي؛ الموسوعة الاقتصادية والاجتماعية (عربي- انجليزي)؛ كتب عربية للنشر؛ ص397.

واحدة لوطن واحد شريطة أن يجمعها تاريخ مشترك ولغة واحدة وثقافة مشتركة في أرض الوطن والشعور بالمصير والأهداف والمسؤوليات المشتركة لجميع المواطنين، والقومية عبارة عن شعب وشعور متبادل بين الأفراد يجعلهم متأثرين في عواطفهم وسلوكهم بفكرة الولاء والانتماء لأرض معينة..."، بينما جاء في المعجم السياسي([25]) "القومية... حركة أيديولوجية لأجل نيل الحكم الذاتي لجماعة تؤلف قوماً مميزاً عن الأقوام الآخرين. الاعتقاد أن على القوم الواحد أن يحظى بدولة موحدة."، بينما في اللغة الكردية يشير مصطلح Netewe إلى معنى القومية والأمة في آنٍ واحد وتعبر عن حالة العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية لشعبٍ ما؛ وعندما تُحتكر السلطة من قبل قومية ما تتبلور الدولة القومية، وقد أشار المفكر الأممي عبدالله أوج آلان([26]) إلى أربعة رموز وشعارات لها في معرض نقده لها، وهي "علم واحد؛ لغة واحدة؛ وطن واحد؛ دولة مركزية واحدة.".

تشير العديد من الدراسات إلى أنّ جذور مصطلح الأمن القومي يعود إلى القرن السابع عشر بعقد معاهدة وستفاليا عام 1648م في ألمانيا، والتي أسست لولادة الدولة القومية وأنهت الحروب الدينية في أوربا بين أتباع الكنيستين الكاثوليكية والبروتستانتية، ومن أبرز مبادئ هذه المعاهدة، مبدأ الولاء القومي أي الولاء للقوم وليس للكنيسة، ومبدأ السيادة أي تمتع الدولة بسلطتها وسياستها وقراراتها، ومبدأ عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول؛ أما كمفهوم فإن الأمن القومي كان حاضراً في سياسة الأباطرة والملوك في مختلف الحضارات القديمة بإشراف الكهنة والمستشارين، حيث كان يُعبّر عنها بالأساطير والشرائع الدينية؛ ويشير البروفيسور "صامويل هنتنجتون" في كتابه صراع الحضارات([27]) على بقاء الدول القومية كلاعبين رئيسيين في شؤون العالم؛

يقول صامويل هنتنجتون في كتابه صراع الحضارات "..إن.الناس تستخدم السياسة لتحديد هويتهم إلى جانب دفع مصالحهم وتنميتها، فنحن لا نعرف من نكون إلا عندما نعرف من ليس نحن، وذلك يتم غالباً عندما نعرف "نحن ضد من؟"...".

كما إنَّ البحث عن عدو أو خلقه يعدّ خطوة لربط الصراع بالهوية وسبباً للوجود، وهذا ما اعتمده معظم الدول الفاشية والأنظمة الشوفينية والثيوقراطية، التي ترى بأنَّ الحرب هي التي تحول الناس إلى أمة وتعزز الوحدة الوطنية في مواجهة العدو المشترك، وتميل كلٌّ من المؤسسة الدينية وكبار الرأسماليين والفاشيين والأوليغارشية إلى هذا الخيار بشكل خاص.

أما الوطن فقد فسرته معاجم اللغة العربية بأنه " الوَطَنُ: مكانُ إِقامةِ الإنسان وَمقَرُّه، وإليه انتماؤه، وُلد به أَو لم يولد."([28])، بينما جاء في المعجم الفلسفي([29]) "الوطن بالمعنى العام منزل

---

[25] د. وضاح زيتون؛ المعجم السياسي؛ الطبعة الأولى؛ دار أسامة للنشر والتوزيع؛ الأردن- عمان 2010م؛ ص270.

[26] عبد الله أوجالان؛ مانيفستو الحضارة الديمقراطية؛ المجلد الخامس "القضية الكردية وحل الأمة الديمقراطية؛ دفاعاً عن الكرد المحصورين بين فكّي الإبادة الثقافية"؛ الطبعة الثانية 2014؛ ترجمة زاخو شيار؛ مطبعة آزادي؛ ص53.

[27] صامويل هنتنجتون؛ صدام الحضارات- إعادة صنع النظام العلمي؛ ترجمة: طلعت الشايب؛ الطبعة الثانية سنة 1999م؛ ص39.

[28] تعريف ومعنى وطن في معجم المعاني الجامع - معجم عربي عربي؛ الرابط:
https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar

[29] د. جميل صليبا؛ المعجم الفلسفي؛ الجزء الثاني؛ الشركة العالمية للكتاب؛ بيروت 1994؛ ص 580.

الإقامة... وبالمعنى الخاص هو البيئة الروحية التي تتجه إليها عواطف الإنسان القومية. ويتميز الوطن عن الأمة والدولة بعامل وجداني خاص وهو الارتباط بالأرض وتقديسها لاشتمالها على قبور الأجداد." وهناك مصطلح الوطن الأم الذي فسّره المفكر الأممي عبد الله أوجالان([30]) "... ويشار باصطلاح الوطن الأم سوسيولوجياً إلى الجغرافيا التي خلقت عليها ثقافة ما، وأسّست فوقها السوق، وتشكّل عليها وعي تاريخي، واستوطنت ديموغرافياً طيلة مئات السنين... فالوطن لا ينحصر في كونه الأراضي التي يتحقق عليها الإنتاج المادي للحياة الاجتماعية وثقافتها فحسب، بل وهو المهد أو المنزل الذي يتكون فيه روحها وتاريخها...". يبدو أنّ تداول الأمن الوطني بين الباحثين والاستراتيجيين ازداد مع التعمق في مفهوم الأمة على حساب القومية، خاصة بعد ازدياد تفضيل الولاء للوطن على الولاء للقومية، لعل لظهور النظام الاشتراكي والأفكار اليسارية والفدراليات دور محوري في ذلك؛ فإحدى التفسيرات الحديثة تعتبر الأمة بأنه "تجمع ممن يتشاطرون ذهنية مشتركة"([31]).

استناداً إلى ذلك يعتبر الأمن القومي مصطلح معنوي يتعلق بأمن مجموعة من الأفراد يشكلون مع بعض قومية معينة، قد يكونوا متجمعين في جغرافية متواصلة أو متباعدة في ظل وجود قوميات أخرى مجاورة، لها الأمن القومي الخاص بها؛ بينما الأمن الوطني مصطلح له صلة بالجغرافيا السياسية، ويتعلق بأمن مجموعة من الأفراد أو القوميات أو الأمم التي تقطن جغرافية واحدة متواصلة ومترابطة سياسياً، ينظم العلاقات بينها كياناً سياسياً واحداً بموجب عقد اجتماعي متفق عليه. وبالتالي يعتبر مفهوم الأمن الوطني أشمل وأوسع من مفهوم الأمن القومي. تكمن مشكلة المصطلحات أيضاً في ترجمة أفكار الباحثين الأجانب ففي كثير من الترجمات يأتي National Security بمعنى الأمن القومي والأمن الوطني في نفس الوقت؛ بينما ترجمة "الوطنية" في اللغة الإنكليزية هي "Patriotism" وترجمة القومية هي "Nationalism". الأمر الذي يضع الفرد في التباس بخصوص مفهوم الأمن بين ثقافته وثقافة الباحث الآخر.

في العصر الحديث أصبح الأمن القومي مُعبّراً عن أمن الدولة أو السلطة بشكل مباشر وليس بأمن القوميات التي تعيش في إطار هذه الدولة، وهذا ما نجده في الأمن القومي لمعظم الأنظمة الاستبدادية والشمولية والأنظمة التي تُمجّد عرقاً محدّداً، وقد جاء في المعجم السياسي([32]) " أمن قومي، وهو حماية الدولة من كافة أنواع العدوان الخارجي والجاسوسية والاستطلاع المعادي والتخريب والازعاج والتأثيرات المعادية الأخرى."، وقد يرتبط الأمن القومي بأمن القومي لمجموعة من الدول كاعتبار القضية الفلسطينية تهديداً للأمن القومي العربي، أي اعتبار دولة ما الأمن القومي لكيان آخر امتداداً لأمنها القومي.

بينما يمكننا تفسير الأمن الوطني بأنه القدرة على ضمان وتوفير الأسباب اللازمة لاستمرار الإدارة الذاتية لعوامل القوة لأي كيان، والذي يتمثل بالأرض والسكان والموارد والثروات والقوات

[30] عبد الله أوجالان؛ مانيفستو الحضارة الديمقراطية؛ المجلد الخامس "القضية الكردية وحل الأمة الديمقراطية؛ دفاعاً عن الكرد المحصورين بين فكّي الإبادة الثقافية"؛ الطبعة الثانية 2014؛ ترجمة زاخو شيار؛ مطبعة آزادي؛ ص168.

[31] نفس المرجع السابق؛ ص50.

[32] د. وضاح زيتون؛ المعجم السياسي؛ الطبعة الأولى؛ دار أسامة للنشر والتوزيع؛ الأردن- عمان 2010م؛ ص46.

المسلحة والثقافة، واستمرار السلطة المعنوية والمادية للعقد الاجتماعي؛ وضمان الأمن الإنساني، والقدرة على تأمين الاكتفاء الذاتي في مختلف المجالات، وإمكانية احتواء أي أزمة أو كارثة، من المحتمل أن تحدث أو أنّها واقعة؛ ومعالجة تداعياتها وتوفير الحماية الوقائية قدر الإمكان لمنع تكرارها. وبنفس الوقت القدرة على ردع أو إرغام العدو أو أي جهة من استغلال ما تم ذكره لإلحاق الضرر بالوطن والمواطنين أو استغلالها لخدمة مشاريع وأجندات خاصة قد تكون موجهة لأوطان أخرى. إنّ تحقيق الأمن الوطني يتطلب وجود سلطات شرعية تنسق التفاعل بين مصالح المواطنين والسياسة الداخلية والخارجية للحكومة، وتعمل على تنمية أبعاد الأمن الوطني، حيث يجب أن تمتلك خطط ومشاريع وحلول تنموية واستراتيجية من أجل استثمار الفرص وتعزيز موارد القوة وتجاوز مكامن الضعف بما يخدم تحقيق عوامل الرفاهية والازدهار. وإزالة أسباب الخوف الآنية والمستقبلية. بحسب إحدى الدراسات التي تناولت هذا الموضوع([33])، يشكل الأمن الوطني ضمانة للسيادة الداخلية والسياسات الداخلية والخارجية، وهي مسألة مصيرية لا تتعلق بسلطة الدولة وبقائها، أو بنخبة محددة، وتحتاج إلى من يفهمها لإدارتها، وتقاس بدرجة الاستقرار الداخلي والازدهار.

يمكننا تقديم تفسير آخر للأمن الوطني بكونها مجموعة النظم والأفكار والمبادئ والسياسات التي تضمن بقاء المجتمع فوق مستوى الديستوبيا([34]). والمرونة واللادوغمائية تمنحان الأمن الوطني حدود زمانية ومكانية من الممكن أن تتغير بحسب المصالح والأولويات. كون الوضع الجيوبوليتيكي لأي بلد يعتمد على مدى قدرته (بما تمتلكه من موارد وقدرات وطاقات) على التأثير في السياسة الإقليمية والدولية.

بشكل عام تتوقف آليات التعامل مع الأمن الوطني وصياغتها بحسب طبيعة العقد الاجتماعي أو إيديولوجية السلطة الحاكمة؛ وبالتالي تتحدد طبيعة مصادر الخطر التي تستهدف الوطن وعناصره.

- **مصادر التهديد للأمن الوطني.**

يمكننا تحديد أبعاد الأمن الوطني ومقوّماته في سياق تحديد هذه المصادر وتعريفها، فهناك مصادر داخلية وخارجية للخطر يمكن أن تهدد الأمن الوطني أو أن تطرح مجموعة من التحديات والعوائق أمامه، ومن المفيد عدم تحديد حالة (اللاأمان) في التهديد العسكري فقط بل هناك أمور أخرى ذات طبيعة اقتصادية واجتماعية وتقنية وغيرها، فمثلاً من الأمور المؤثرة سلباً على الأمن الوطني الأوروبي هي الهجرة والتطرف، علماً أنها تملك قوة ردع عسكرية كبيرة؛ وطالما هناك على مستوى العالم مشاريع وأجندات سياسية تهدف إلى الهيمنة، وثقافة تروج للكراهية والعنف؛ فإنّ الأمن الوطني سيبقى عرضة للخطر المستمر؛ وهذا يتطلب من النخب السياسية والاجتماعية والعلمية والثقافية والاقتصادية والإعلامية والعسكرية الاستنفار الدائم لجهودها وتطوير

[33] د. فهد بن محمد الشقحاء؛ الأمن الوطني: تصور شامل؛ مركز الدراسات والبحوث في جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية؛ الطبعة الأولى؛ الرياض 2004؛

[34] الديستوبيا Dystopia أو المدينة الفاسدة أو المكان الخبيث، وهي عكس اليوتوبيا، وتعبر عن مجتمع خيالي فاسد وشرير، تسوده الفوضى والخراب والقتل والقمع والفقر والمرض، أي يعاني المجتمع من انحطاط كارثي، وليس للخير مكان فيه، حيث يتجرد الإنسان فيه من إنسانيته...

استراتيجيات المواجهة. يعتبر الالتزام بالهوية الوطنية، وتوفر الموارد والثروات، والحوكمة الديمقراطية، والاكتفاء الذاتي في مختلف المجالات، والخطط الاستراتيجية الوقائية من المقومات الرئيسية للأمن الوطني.

من ناحية أخرى هناك عدة تهديدات وتحديات مباشرة وغير مباشرة تهدد الأمن الوطني؛ تتمثل التحديات والتهديدات الغير مباشرة بالتهديدات السيبرانية الإلكترونية التي تستهدف شبكات الاتصال الإلكترونية المحلية في سياق محاولات اختراق شبكة المعلومات الشخصية أو المصرفية أو الأمنية بغرض القرصنة أو جمع المعلومات أو الابتزاز؛ وتحديات زيادة عدد السكان المصاحب لضعف التخطيط التنموي الاستراتيجي؛ وترهل البنية التحتية ومخالفات التشييد والبناء، وضعف قطاع البحوث العلمية؛ إلى جانب عدم كفاءة وسائل الاعلام المحلية والمؤسسات الاجتماعية والخدمية أمام تطور أساليب الحرب النفسية والخاصة المعادية أو السلبية؛ يضاف إلى ذلك استمرار التواجد الطبيعي لعدد من المتلازمات النفسية واضطرابات الشخصية بين أفرادٍ من الجماهير، حيث يعاني عُشْر سكان العالم من مشاكل نفسية بحسب تقرير لمجموعة عمل الصحة النفسية تمّ نشره عام 2013م([35])، أخطرها تلك التي تستثير الدوغمائية في المشاعر الشوفينية والأصولية والانحراف عن القيم الأخلاقية، أو توالي قوى أجنبية منافسة من منطلق إيديولوجي، كون التداعيات السلبية للصراعات الدولية والمذهبية والأيديولوجية تؤثر على المواطنين في البلدان الأخرى الذين يمتلكون مشاعر متعاطفة مع أقرانهم.

ومن التهديدات الأخرى أيضاً الهجرة السلبية أي الهجرة إلى خارج البلاد؛ والهجرة العكسية أي هجرة الأجانب إلى داخل البلاد لما قد يجلبون معهم من تحديات اجتماعية وسياسية واقتصادية وأمنية؛ وفقدان السيطرة على الاحتكارات في مختلف المجالات؛ والتغيرات المفاجئة في المناخ والتلوث والآثار السلبية للعولمة والأوبئة؛ وتداعيات الأزمات الاقتصادية والمالية والسياسية في المستويين الإقليمي والدولي.

أما التحديات والتهديدات المباشرة؛ فتتمثل بعدم قدرة البلاد على تأمين اكتفائها الذاتي في مختلف القطاعات؛ أو ندرة في الموارد والثروات، وندرة فرص العمل المؤثرة على معدلات البطالة ومستوى الفقر، أو ضعف المخزون الوطني الاستراتيجي من المواد اللوجستية والأصول([36])؛ ووجود كيانات أخرى تملك مشاريع ذات طبيعة أصولية أو شوفينية أو إمبريالية ترغب بالهيمنة على البلاد؛ أو اختلال في توازن القوى وتنفيذ مشاريع حساسة، خاصة تلك التي قد تفيد الأمن الوطني وتهدد الأمن الوطني لبلدان أخرى كالمشاريع النووية ومشاريع إقامة السدود

[35] تقرير مجموعة عمل الصحة النفسية 2013، تأليف: ماري دي سيلفا- كيارا ساميلي؛ تحرير: فيكرام باتيل- شيخار ساكسينا؛ الصحّة النفسية تغيير الحياة نحو الأفضل، تعزيز المجتمعات: ابتكاراتٌ في الصحّة النفسية؛ مؤتمر القمة العالمي للابتكار في الرعاية الصحية- مؤسسة قطر؛ الرابط:
https://www.wish.org.qa/wp-content/uploads/2018/02/27425_WISH_Mental_Health_Report_Arabic_web.pdf

[36] الأصول: هي الأشياء ذات القيمة التي يمكن تحويلها بسهولة إلى نقد. مع أن النقد في حد ذاته يعدّ أيضاً أحد الأصول. وتشمل الأموال والأشياء الثمينة والبضاعة والسلع والاستثمارات والآلات والأراضي والمركبات والآليات والمعدات والمباني والعلامات التجارية وبراءات الاختراع وحقوق التأليف والنشر والبرمجيات والسندات والأسهم....

وسباق التسلح؛ وهناك الجريمة المنظمة العابرة للحدود الوطنية؛ ووقوع البلاد في حالة وظروف تشهد بشكل متكرر أزمات أو كوارث طبيعية؛ إلى جانب الضعف النسبي في القدرات العسكرية والاستخباراتية؛ وضعف الحوكمة الديمقراطية([37]) في التعامل مع المسائل والقضايا والمشاكل المختلفة المطروحة على الصعيدين الداخلي والخارجي؛ واحتمالات تنامي مشاعر التعصب العشائري أو الحزبي أو الطائفي أو الديني أو العرقي على حساب الولاء للهوية الوطنية.

إنّ ما يعزّز تلك التحديات والتهديدات، المخاطر غير المباشرة كالحرب النفسية والقوة الناعمة([38]) السلبية للكيانات الأخرى والتطرف -من قبل الذين يؤججون ثقافة الكراهية- والأزمات والكوارث الداخلية والفسادين المالي والإداري، وضعف الحوكمة الديمقراطية التي تدفع بمؤسسات الدولة إلى التعمق في الاستبداد والفساد، وكذلك تسيُّس المعتقدات الروحانية كما في النظام الإكليروسي([39])أو الكهنوتي التي تعزّز بدورها الدوغمائية وتُعزز الفوارق الطبقية بين أبناء المجتمع الواحد. أما المخاطر المباشرة فتتمثل بسعي بعض القوى الدولية إلى الهيمنة على البلاد من خلال العدوان المسلح، أو الاحتلال، أو العقوبات في مختلف المجالات، والحصار الاقتصادي أو السياسي أو التكنولوجي.

يتأثر الأمن الوطني أيضاً ببعض السياسات والعوامل والمظاهر والأنشطة المتنوعة التي يمكن أن تتطور بشكل سلبي لتتحول إلى أدوات ناخرة لمنظومة الأمن الوطني في حال تم استغلالها من قبل بعض القوى المحلية المؤثرة والمستبدة والتي يمكن أن تصل إلى حالة تسمى بسلطة "الأخ

---

[37] الحوكمة هي الترجمة العربية للمصطلح الإنكليزي Governance ويتمثل مفهومها العام بقدرة أي إدارة على تحقيق الجودة والتميز في الأداء والنتائج، عن طريق اتباع الأساليب المناسبة والفعالة لتحقيق الخطط والأهداف، وهذا يتطلب اتباع مدروس لمجموعة سليمة من القوانين والقرارات الصائبة والمنطقية، وتحقيق التوازن بين المصالح الخاصة والعامة، والمراقبة الدائمة لحسن سير العمل والنشاطات....

هناك ستة أبعاد للحوكمة، هي: التصويت والمساءلة، الاستقرار السياسي وانعدام العنف، فعالية الحكومة، الجودة التنظيمية، سيادة القانون، ومكافحة الفساد.

وقد تم تطوير مؤشرات عالمية للحوكمة العالمية لتحقيق التنمية من خلال اعتماد مؤشرات دولية وأرقام قياسية ومشاركة الجمهور. هذه المؤشرات هي: السلام والأمن، سيادة القانون، حقوق الإنسان والمشاركة، التنمية المستدامة، والتنمية البشرية. د. نهى الدرويش؛ الحوكمة الديمقراطية لحكومة العدالة الشاملة؛ مدونة د. نهى الدرويش؛ تاريخ النشر 30 نوفمبر 2011م؛ الرابط: https://dr-nuhaal-darwish.blogspot.com/2011/11/blog-post_8829.html

[38] مصطلح القوة الناعمة مصطلح حديث نسبياً نظّر له البروفسور "جوزيف ناي" في سياق العلاقات الدولية، والذي عرّفها بأنّها "...القدرة على الجذب لا عن طريق الإرغام والقهر والتهديد العسكري والضغط الاقتصادي، ولا عن طريق دفع الرشاوى وتقديم الأموال لشراء التأييد والموالاة، كما كان يجري في الاستراتيجيات التقليدية الأميركية، بل عن طريق الجاذبية، وجعل الآخرين يريدون ما تريد...". للمزيد انظر: جوزيف س. ناي؛ القوة الناعمة وسيلة النجاح في السياسة الدولية؛ نقله إلى العربية محمد توفيق البجيرمي- تقديم عبد العزيز عبد الرحمن الثنيان؛ العبيكان للنشر، المملكة العربية السعودية؛ الطبعة الأولى 2007؛ ص24.

والمقصود بالقوة الناعمة السلبية لكيانٍ ما هي الثقافة المتعارضة جذرياً والمنافية لثقافة كيان آخر من ناحية الأخلاق والعلاقات الاجتماعية، فمثلاً أفلام هوليوود تقدم في الكثير من أعمالها صورة سلبية منحرفة أو مبالغة عن الثقافة الأمريكية الموجودة.

[39] "الاكليروسية، هي حجة تبيح لرجال الدين التدخل في السياسة، لغرض تمرير تلك المعتقدات الدينية. هي العقيدة القائلة: أن من واجب رجال الدين أن يتدخلوا في السياسة." د. وضاح زيتون؛ المعجم السياسي؛ الطبعة الأولى؛ دار أسامة للنشر والتوزيع؛ الأردن- عمان 2010م؛ ص42.

الأكبر" كما عبّر عنها الكاتب الإنكليزي جورج أورويل في كتابه (1984)[40] والذي أشار إلى خطر سعي السلطة للتأثير على ذهنية الجماهير من خلال تشويه الحقائق الإيجابية وأسر الأفكار في ثلاثة جمل وهي "الحرب هي السلام؛ والحرية هي العبودية؛ والجهل هو القوة." وهذا ما يُذكرنا بتشويه المصطلحات الإيجابية التي تملك طاقة معنوية كالثورة والحرية والديمقراطية وغيرها من خلال تبنيها شكلياً من قبل الأنظمة الاستبدادية أو تسعى إلى تشويهها – كمثال تشويه انتفاضة المجتمعات السورية ضد الظلم من خلال صبغها بالدوغمائية الدينية التي تمجد العنف وهذا ما نلاحظه أيضاً في المحاولات الجارية لقمع الانتفاضة الأخيرة للمجتمعات العراقية-. إنَّ ما تمّ ذكره يُشير بشكلٍ ضمني إلى أنَّ انعدام منظومة الأمن الوطني يتزامن مع غياب مبادئ الديمقراطية وعدم التزام النخب الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية والعسكرية بالهوية الوطنية، وبالتالي انحدار المجتمع إلى الديستوبيا بشكلٍ حتمي؛ فهي بمثابة حرباً نفسية أخرى تُشنّ من قبل الطبقات العليا في المجتمع ضد الطبقات الأخرى. فالأمن الوطني يجب أن يبقى دائماً في خدمة المواطنين والمجتمع الذين يعيشون في وطن واحد، وهذا ما يجعلها تشكل القاعدة الرئيسية للأمن الإنساني.

- **أبعاد الأمن الوطني.**

يستند التخطيط الاستراتيجي للأمن الوطني على استثمار موارد البلاد المتاحة لتحقيق الأهداف المرسومة من خلال اعتماد المناهج والوسائل اللازمة وتقييمها مع الظروف بشكل مناسب ليتم تنفيذها بشكلٍ سليم؛ وذلك من خلال مراعاة درجة الوفرة في الموارد والتحديات القائمة، وكيفية التأمين والتنظيم والحوكمة. يشكل الأمن الوطني طاقة الحياة لمثلث القوة لأي كيان والمتمثل بالقوة الصلبة، العسكرية والاقتصادية، والقوة الناعمة المتمثلة بالثقافة والأخلاق، والعلاقات الخارجية والسلوكيات العامة للحكومة؛ التي تجعل الآخرين يستبعدون صفة العدو عن هذا الكيان؛ فمثلاً سويسرا تمتلك قوة صلبة محدودة نسبياً إلّا أنّها تمتلك قوة ناعمة هائلة اكسبتها احترام العالم ووازنت النقص في قوتها الصلبة، لذلك يعد أمنها الوطني مضموناً في المستويات العالية.

بالنسبة لمحددات الأمن الوطني؛ تتحدد أبعاد الأمن الوطني بشكلٍ عام استناداً على كلٍ من الوضع الجيوبوليتيكي للبلاد المحدد بموارده الجيولوجية والجغرافية، وأنظمته الاقتصادية والسياسية والعسكرية والاجتماعية والثقافية والخدمية؛ ومصادر الخطر والتهديدات والتحديات المباشرة والغير مباشرة، الداخلية والخارجية والمستقبلية؛ وخطط التنمية المستقبلية والاستراتيجية؛ ومستوى التطور التكنولوجي والنظام التعليمي؛ ووضع الأمن الإنساني والإقليمي والدولي، وبحسب العقد الاجتماعي الوطني ودرجة الالتزام به. هناك العشرات من الدراسات وبلغات مختلفة ومتنوعة تناولت أبعاد الأمن الوطني وعناصره، إلا أنها لم تصل إلى مفاهيم موحدة بل متقاربة، قد يعود سبب ذلك إلى الظروف والشروط المحددة لحالة الأمن الوطني وطبيعة التخطيط الاستراتيجي له في بيئة كل دراسة؛ إلى جانب تشكيل أبعاد الأمن الوطني طاقة الحياة لأبعاد الأمن الإنساني المذكورة سابقاً.

[40] جورج أورويل؛ رواية (1984)؛ الطبعة الأولى 2006؛ ترجمة أنور الشامي؛ الناشر المركز الثقافي العربي- المغرب.

بشكلٍ عام يمكننا تحديد أربعة أبعاد للأمن الوطني مُؤثرة في مجال العلاقات الداخلية والخارجية، كل بعد متشعب ومحدد بعددٍ من العناصر أو العوامل؛ يشكل الأمن الإنساني المحور الرئيسي فيها، كون الأمن الوطني يسعى الى تأمين ظروف وعوامل تبعد الإنسان عن حالة الديستوبيا باعتبار الإنسان مقدار ذو قيمة كبيرة في معادلات الحياة.

يمكن اختزال أبعاد الأمن الوطني في أربعة أبعاد متكاملة ومتفاعلة فيما بينها ومتداخلة أحياناً، وهي؛ البعد الاقتصادي، والبعد الاجتماعي، والبعد الصحي، والبعد الدفاعي. هذه الأبعاد تحتاج إلى التأمين والتطوير المستمر، وتحصينها ضد أي تحديات أو مخاطر أو تهديدات، وتحتاج إلى نخبة وطنية مخلصة للعقد الاجتماعي الوطني، وتمتلك القيم الأخلاقية مكانة سامية لدى هذه النخبة التي من المفروض أن تمتلك مستوى ذهني([41]) عال.

1. البعد الاقتصادي.

ترجع كلمة اقتصاد Economic إلى أرسطو ومعناه علم مبادئ تدبير شؤون المنزل([42])، وهي مشتقة من كلمتين يونانيتين هما (أويكوس Oikos) ومعناها بيت، و(نوموس Nomos) ومعناها قانون، أما مصطلح علم الاقتصاد السياسي فقد استعمله لأول مرة الباحث الفرنسي "أنطون دي مونكرتيان" سنة 1615م للدلالة على فن إدارة أموال الدولة، واستعمله كذلك الباحث الاقتصادي الكبير "آدم سميث" بمعنى قريب من هذا في كتابه "ثروة الأمم"؛ وهو من حيث الاشتقاق يدل على فن تدبير أمور الدولة([43])، وهناك العشرات من التعريفات التي تناولت الاقتصاد، فمثلاً جاء في موسوعة المصطلحات الاقتصادية والاجتماعية([44]) "يُعبّر الاقتصاد عن حصول الفرد على حاجاته بأفضل وأرخص وسيلة؛ وله أهميته في المجال السياسي والاجتماعي، فهو علم يدرس الإنتاج وتنمية الثروة والعمل والتوزيع والاستهلاك؛ وهناك اقتصاد الحرب الذي يهدف إلى توفير الأموال الضرورية لشراء العتاد والمعدات العسكرية، ويوجه موارد البلاد وكل طاقتها نحو الدفاع القومي وتحويل الإنتاج المدني للإنتاج الحربي؛ والوقوف وراء الجيش في دفاعه العسكري عن البلاد؛ وهناك مصطلح الاقتصاد السياسي الذي يعبر عن الربط بين السياسة والاقتصاد؛ وضرورة تدخل الدولة في الاقتصاد عن طريق التخطيط والتوجيه والملكية العامة.". بينما يوضح المفكر الأممي عبد الله أوجالان([45]) "...الاقتصاد بكونه عملية تلبية الاحتياجات المادية الضرورية للمجتمع،

---

[41]" الذهن قوة للنفس تشمل الحواس الظاهرة والباطنة، معدة لاكتساب العلوم. وهو الاستعداد التام لإدراك العلوم والمعارف بالفكر.". الجُرجاني؛ معجم التعريفات؛ تحقيق ودراسة محمد صديق المنشاوي؛ دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير- القاهرة؛ بلا سنة نشر ورقم طبعة؛ ص94.

[42] د. عبد الهادي علي النجار؛ أصول علم الاقتصاد (دراسة في أسلوب أداء الاقتصاد الرأسمالي من خلال التحليل الاقتصادي الوحدي والكلي)؛ الطبعة السادسة؛ الناشر مكتبة الجلاء الجديدة بالمنصورة؛ القاهرة 1999/1998م؛ ص15.

[43] جميل صليبا؛ المعجم الفلسفي؛ الجزء الثاني؛ الشركة العالمية للكتاب؛ بيروت 1994؛ ص110.

[44] د. إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي؛ الموسوعة الاقتصادية والاجتماعية (عربي- انجليزي)؛ كتب عربية للنشر؛ ص48.

[45] عبد الله أوجالان؛ مانيفستو الحضارة الديمقراطية؛ المجلد الخامس "القضية الكردية وحل الأمة الديمقراطية؛ دفاعاً عن الكرد المحصورين بين فكّي الإبادة الثقافية"؛ الطبعة الثانية 2014؛ ترجمة زاخو شيار؛ مطبعة آزادي؛ ص35.

والتعبير المؤسساتي والقواعدي اللازم لذلك... وتبادل الاحتياجات المادية متمحورة حول السوق..."، ويعتبر أنّ مصدر معنى كلمة الاقتصاد هو "قانون كومونة العائلة"([46]).

استناداً إلى ما سبق يمكن تفسير الاقتصاد بأنّه النشاط الإنتاجي المُنظّم ونظام إدارة الأصول العامة، الذي يؤمن مردود مادي ذو قيمة يخدم التنمية في مختلف المجالات والمستويات، للفرد والمجتمع ومؤسسات الكيان القائم؛ كما ويؤمن الحاجات الأساسية لاستمرار الحياة بشكلٍ سليم، ويوّفر المخزن اللوجستي الاستراتيجي من المواد الغذائية الأولية كالحبوب وغيرها؛ استناداً على هذا الأمر وعلى فكرة آدم سميث الذي اعتبر القدرة الإنتاجية مقياس ثروة كل أمة؛ فإنَّ البعد الاقتصادي يتشعب في عدة مصادر للثروة، وهي المزارع والصناعة والتجارة والمسطحات المائية ومنابع الطاقة (البترول والغاز والطاقة المتجددة)؛ حيث تحتاج هذه المصادر إلى التنمية المستمرة، وتحتاج إلى بنية تحتية وفوقية سليمة؛ من شبكات النقل والمواصلات والاتصالات، والمبادئ والقواعد والقوانين الناظمة للأمور المصرفية والمالية والجمركية والضريبية، وحقوق الملكية الخاصة والفكرية، ومكافحة التلوث والرقابة الصحية. نلاحظ أنّ ما تمّ ذكره يتمحور حول أمرين رئيسيين هما تأمين الاحتياجات المعيشية للمواطنين، وإدارة العائدات المالية عن هذه المصادر واستثمارها في مختلف الخدمات وبرامج الرعاية الاجتماعية، حيث يشكل السكان ورأس المال العام (أو رصيد خزينة مؤسسة إدارة المال العام) الوقود الرئيسي للطاقة المحركة للاقتصاد في إطار علاقات تبادلية، كونها تحدد معدلات الإنتاج ومستوى قيمة العملة الوطنية والناتج الإجمالي الوطني؛ ويبقى تحقيق الاكتفاء الذاتي في مختلف المجالات التحدي الأبرز أمام الاقتصاد الوطني إلى جانب التداعيات السلبية للأجندات السياسية الدولية واحتكارات الأسواق العالمية والظروف الإقليمية والدولية غير المستقرة.

قد تدفع ندرة مصادر الثروة في بعض البلدان إلى الاعتماد على مصدر محدد، فمثلاً نقول عن الاقتصاد الإجمالي لبلد ما إنه اقتصاد صناعي عندما تكون نشاطاته الصناعية ذات دور محرك، وعندما يشكل إنتاجه الصناعي القسم الأعظم من الإنتاج الوطني فبحسب قاموس المصطلحات السياسية والاقتصادية والاجتماعية([47]) "...الاقتصاد الصناعي هو الاقتصاد الذي تسيطر عليه المشروعات أو الشركات الصناعية بعكس الاقتصاد الذي تهيمن فيه الزراعة والحرف..."؛ ونفس الأمر بالنسبة للاقتصاد الزراعي والتجاري.

على الرغم من تطور العلوم الاقتصادية وطرح المئات من المشاريع، لم تتمكن الحكومات والمجتمعات من تجاوز خط الفقر، وتأمين أبسط الحاجات الفيزيولوجية لأفرادها إلى حد الإشباع نسبياً، ومن خلال نظرة خاطفة على الخريطة الجغرافية للعالم نجد مناطق شاسعة خالية من السكان أو تحوي على عدد ضئيل منهم، بينما نجد مناطق أخرى مكتظة بالسكان، وكأن مسيرة الهجرات البشرية نحو المراكز المدنية التي تحكمها الأنظمة الدولتية والتي بدأت منذ آلاف السنين، تبدو مستمرة في عصرنا الحالي، علماً أنّ معظم الدراسات المهتمة بالعلوم الطبيعية تشير إلى أن ثروات

[46] نفس المصدر السابق؛ ص609.

[47] سامي ذبيان وآخرون؛ قاموس المصطلحات السياسية والاقتصادية والاجتماعية؛ الطبعة الأولى 1990؛ لندن، رياض الريّس للكتب والنشر؛ ص59.

الأرض، في الجو والبر والبحر، تكفي لمعيشة البشر لآلاف سنينٍ أخرى في حال استثمارها وتوجيهها بالشكل الملائم؛ لذا ومن أجل جعل الاقتصاد في خدمة الحياة وتجريده من الجشع والسعي المجنون وراء الربح المادي من المفيد إعادة تنظيم الاقتصاد وفقاً لعوامله الأولية من خلال الاقتصاد الكومينالي الإيكولوجي، وفق نظام أخلاقي أشبه بما يكون باقتصاد خلية النحل أو قرية النمل- على سبيل الاستعارة المجازية-، وهو نفسه تقريباً النظام الاقتصادي الذي كان سائداً في فترة المجتمع الطبيعي؛ يعدّ المفكر الأممي عبدالله أوج آلان من المدافعين عن هذا النظام في سياق براديغما الأمة الديمقراطية، ويبدو أنّ جزءاً من أفكاره المطبقة بشكل مبدئي في شمال وشرق سوريا أتت بنتائج إيجابية في مقاومة المنطقة للحصار الاقتصادي المفروض عليها من قبل القوى الإقليمية والمحلية.

تتمحور آراء المفكر أوج آلان في الاقتصاد حول الصناعة الإيكولوجية والاقتصاد الكومينالي، ويعتبرهما السبيل إلى الخلاص من الهيمنة الرأسمالية العالمية، ومن شتى أشكال استغلالها الاحتكاري؛ وبنفس الوقت انعكاساً للديمقراطية على حقل الاقتصاد، إلى جانب تبنّيها التكنولوجيا والملكية والاستقرار الريفي- المديني التي لا ترفض أو تدحض الإيكولوجيا والمجتمع الديمقراطي، ويختزل فيه الربح ومراكمة رأس المال إلى الحدود الدنيا وفق مبدأه المحوري "العمل حرية"؛ والإنتاج المتناغم مع الإيكولوجيا تحمي الانسان من التلوث والفساد وتحمي البيئة من الإبادة([48]) بينما الاقتصاد الكومونالي – يتشابه معه كلاً من الاقتصاد التشاركي والمجتمعي- يعدّ السبيل إلى سد الطريق أمام البطالة والانهيار الاجتماعي، ويشكل الأرضية المادية للمساواة والحرية والديمقراطية. بعد استقرار هذا النظام من الممكن أن تبدأ مرحلة تنظيم الحياة الاقتصادية ومأسستها على شاكلة "فيدرالية الوحدات الاقتصادية الكومونالية" كنظام اقتصادي إقليمي في المنطقة. هذا الأمر من شأنه أن يقضي على البطالة عبر تشجيع الكدح والإنتاج والإبداع (الموهبة) في حدود الإيكولوجيا والاحتياجات الأولية؛ كما انّ الاقتصاد المطهّر من الاحتكار، والإيكولوجيا الدالة على التأقلم والتناغم مع الطبيعة، والتقنية الصديقة للطبيعة والإنسان، يُشكّل الأرضية المؤسساتية للعصرانية الديمقراطية وبالتالي للأمة الديمقراطية؛ ويشير إلى أنّ عبودية الأجر البخس، والجيش الضخم للعاطلين عن العمل، يعتبران ثمرة طبيعية للربح الأعظمي والدولة القومية والصناعوية([49]).

بشكلٍ عام واستناداً إلى ما تمّ ذكره، يتعلق الأمن الاقتصادي بمدى توفر الموارد والتقنيات، وكفاءة التخطيط والقوى البشرية والعمليات الإنتاجية المستمرة. ويقع على عاتق الحكومات الوطنية تأمين الظروف الضامنة لقوة الاقتصاد الوطني عبر الحوكمة الرشيدة للموارد وحماية الحقوق المائية والبيئية للبلاد، ودعم السياحة والمشاريع الترفيهية والمنتجات الوطنية والأفكار والمشاريع البناءة والأبحاث الاقتصادية، والتأكيد على الشفافية ومحاربة الاحتكارات والفساد وأعمال الجريمة

[48] للمزيد راجع كتاب: عبد الله أوجلان؛ حول الاقتصاد؛ إعداد وتقديم أكاديمية عبد الله أوجلان للعلوم الاجتماعية بالاستناد إلى آراء عبد الله أوجلان حول الاقتصاد؛ بلا طبعة وسنة نشر.

[49] للمزيد حول هذا الموضوع من المفيد مراجعة المجلد الخامس من كتاب "مانيفستو الحضارة الديمقراطية (القضية الكردية وحل الأمة الديمقراطية/ دفاعاً عن الكرد المحصورين بين فكّي الإبادة الثقافية)؛ عبد الله أوجالان؛ ترجمة: زاخو شيار؛ الطبعة الثانية 2014م؛ مطبعة آزادي؛ بلا ناشر.

المنظمة([50])، ورفد البلاد بالتكنولوجيا والعلوم اللازمة، وتجهيز الخطط اللازمة للتعامل مع الكوارث الطبيعية والأوبئة؛ ويبدو الحياد السياسي على المستوى الإقليمي والدولي من أبرز العوامل المحافظة على الاقتصاد الوطني، كما يلاحظ في تجربتي سنغافورة وسويسرا. علماً أنّ كلاً من الاقتصاد المجتمعي والتشاركي أو الاقتصاد الكومونالي الإيكولوجي كمفهوم أوسع يؤمنان الإرادة في الإدارة الذاتية للاقتصاد، وتأمين الخلايا السليمة لهيكل الاقتصاد الوطني ويدعمه في فترة الأزمات الاقتصادية والسياسية التي يرافقها الكساد وانتشار البطالة من جهة، والاضطرابات الداخلية من جهة أخرى. ويبقى تحقيق الاكتفاء الذاتي في الإنتاج المتنوع والمستويات الجيدة للبنى التحتية والفوقية، والحوكمة الرشيدة من أبرز مقوّمات الأمن الاقتصادي.

2. البعد الاجتماعي.

تعتبر المجتمعات أساس الأمم، ومن الصعب تحديد طبيعة أو صفة واحدة لأي مجتمع، بل نجد أنه يتشعب ويتفرع بحسب أسلوب حياته أو ثقافته وسلوكياته وعلاقاته، فمثلاً يتحدد المجتمع بحسب انتمائه الاثني، أو نشاطه الاقتصادي، أو عقيدته السياسية والمذهبية؛ فهناك المجتمع الكردي والعربي والسرياني والروسي...إلخ، وهناك المجتمع الزراعي والصناعي والرأسمالي...إلخ، وهناك المجتمع الديمقراطي والفاشي والإسلامي والمسيحي والشيعي...إلخ، وقد طرح المفكر الأممي عبدالله أوج آلان مفهوم مجتمع الأمة الديمقراطية الذي ينشئ الفرد المتمتع بالصحة الذهنية والروحية([51])؛ كما وتعدّ المجتمعية من الشروط الرئيسية لوجود الجنس البشري وتشكل مستوى علاقاته الاجتماعية معياراً لقوته، ومن أفظع أساليب إضعاف الفرد واستعباده، هو فرض العزلة عليه([52]). بشكلٍ عام يتحدد البعد الاجتماعي بالقدرة على حماية المجتمع من الانحطاط والانحلال الأخلاقي والحفاظ على القيم الاجتماعية، ومكافحة الجريمة وفقدان الهوية الوطنية، كما ويتحدد أيضاً بمستوى التجارب الناجحة للنخب السياسية والثقافية والاقتصادية التي حققت الازدهار والسلام الداخلي.

يتمحور البعد الاجتماعي في منظومة الأمن الوطني حول ثلاثة مقوّمات رئيسية وهي:

- طبيعة العقد الاجتماعي الذي يشكل اللبنة الأساسية للدستور وشكل نظام الحكم الوطني؛
- مدى الاحترام المتبادل بين الثقافات المجتمعية العريقة لسكان الوطن الواحد؛
- مدى التمسك بالهوية الوطنية المُعبرة عن مستوى القيم الأخلاقية، خاصة من ناحية مستوى الوعي الشعبي في نبذ ثقافة الكراهية.

---

[50] نقصد بالجريمة المنظمة، الأعمال الغير قانونية التي يتم مزاولتها بشكل ممنهج بهدف تحقيق الثروة والسطوة، من خلال الابتزاز والنصب والاحتيال والسرقة والتزوير والاختلاس والفساد والاغتيال والخطف والتهريب وترويج الممنوعات والدعارة وتبييض الأموال والسطو وتجارة السلاح والإتجار بالبشر وانتحال الشخصية...إلخ.

[51] عبد الله أوجالان؛ "مانيفستو الحضارة الديمقراطية (القضية الكردية وحل الأمة الديمقراطية/ دفاعاً عن الكرد المحصورين بين فكّي الإبادة الثقافية)؛ المجلد الخامس؛ ترجمة: زاخو شيار؛ الطبعة الثانية 2014م؛ مطبعة آزادي؛ بلا ناشر؛ ص519.

[52] عبد الله أوج آلان؛ الدفاع عن شعب (المرافعة المقدمة إلى محكمة حقوق الإنسان الأوروبية)؛ ترجمة: زاخو رزكاري؛ الطبعة الأولى 2005؛ بلا ناشر؛ ص17.

لذلك يعد البعد الاجتماعي من أبرز مقومات القوة الناعمة لأي كيان. من ناحية أخرى هناك علاقات تفاعلية قائمة على مبدأ الفعل ورد الفعل بين الأسرة كأصغر خلية اجتماعية والحكومة، ويمكن أنْ تعتبر مدى تمتع الأسرة بالطمأنينة والسعادة مقياساً لرُقيّ وقوة العقل المجتمعي أو الوعي الجماعي([53]) ونجاح الهيئات المسؤولة عن إدارة شؤون البلاد في الحفاظ على الأمن الاجتماعي، وبالتالي هناك حاجة مستمرة إلى مبادئ الديمقراطية والعدالة، واحترام خصوصية المجتمعات المتنوعة في مختلف المجالات بشكل خاص في العلاقات السياسية والاقتصادية بين مختلف النّخب والمواطنين؛

من التحديات والمخاطر التي يواجهها البعد الاجتماعي، المال السياسي([54])، وثقافة الكراهية، وفساد واستبداد السلطة أو من يتواجدون في مواقع المسؤولية؛ بالإضافة إلى الذين يزاولون أعمال الجريمة المنظمة، ومُسبّبات الهجرة؛ وتبقى الحرب النفسية التي توجهها القوى الخارجية المتآمرة أو القوى الداخلية الساعية وراء السلطة والثروات من أبرز المخاطر والتهديدات التي يواجهها الأمن الاجتماعي. لذا هناك حاجة كبيرة لتعزيز الأمن الداخلي عبر منظومة أمنية مدنية برعاية الهيئات القضائية والرقابية، تسهر على سلامة الممتلكات والسلامة المرورية والصحية ورصد عمليات الفساد وأعمال الجريمة المنظمة والحرب النفسية المعادية، ومعالجة الدعاية أو المنشورات المضللة، السياسية أو الاقتصادية أو الترفيهية، على وسائل الاعلام المختلفة ووضع ضوابط للتعامل معها والمحاسبة عليها للحد منها؛ إلى جانب ضرورة تعزيز البعد الأخلاقي في العلاقات الاجتماعية والتي ترتبط بالقيم الاجتماعية الفاضلة والسامية ومقاومة الانحطاط المعنوي كانحطاط الأمانة والصدق والكرم والعدل والخير والتسامح وتقبل الآخر؛ كما ويشكل التقدم الحضاري التزاماً أخلاقياً للحكومة الوطنية تجاه مواطنيها من خلال ضمان نمو البلاد وتطوره الشامل والإنساني، الذي يرتبط ارتباطاً وثيقاً بمفهوم الحياة الكريمة وحقوق الفرد المادية والمعنوية وعدم انتهاك خصوصيتها، من خلال الوقوف في وجه خنق روح الإنسان وكبتها، وإعاقة تحويل المرأة الى سلعة.

تمتلك السياسة الداخلية والدبلوماسية في العلاقات الاجتماعية، للحكومة وللنخب المختلفة في البلاد، تأثيراً كبيراً في مستوى الأمن الاجتماعي؛ هذا الأمر يحتاج إلى عقيدة وطنية وسياسة ملتزمة بالأخلاق فيما إذا اعتمدنا تعريف العقيدة بأنّها "القيم والأصول المرجعية التي تصبغ التصرفات بصبغة شرعية" والسياسة بأنّها "العمليات والأنشطة الهادفة إلى حل الخلافات والنزاعات التي تنشأ بين الأفراد والجماعات في أطر علاقاتهم العامة والخاصة"([55])؛ قد يكون هذا الأمر وراء سعي بعض النخب السياسية أو الاجتماعية أو الدينية لاختراع شخصية "الأب الروحي للأمة" وتقديمه كشخصية وطنية عامة وتأليف قصص وأحداث قيّمة عنه وحذف الجوانب السلبية

[53] الضمير الجمعي أو الوعي الجماعي هو مصطلح في علم النفس ابتكر من قبل عالم الاجتماع الفرنسي إميل دوركايم (1858-1917) ليشير إلى المعتقدات والمواقف الأخلاقية المشتركة والتي تعمل كقوة للتوحيد داخل المجتمع... ويكيبيديا؛ الموسوعة الحرّة.

[54] الأموال المدفوعة في سبيل تغيير القرار السياسي أو تعديله على مستوى الدولة أو الحكومة خدمة لمصالح خاصة...

[55] د. فهد بن محمد الشقحاء؛ الأمن الوطني: تصور شامل؛ الطبعة الأولى؛ جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية؛ الرياض 2004م؛ ص71- ص99.

من قصة حياته، وطرحه كمخلّص لمشاكل الناس الحياتية ويدير شؤونهم بشكلٍ سليم، ويتم استحضاره دائماً بعد مماته عبر الصور والتماثيل والمناسبات والأفكار، وهذا ما نجده في شخصية غاندي لدى الهنود وأتاتورك لدى تركيا وهناك المئات الآخرون، لعل هذا الأمر قد يعدّ في بعض الأحيان من أكبر محرّضات التحول إلى الحكم الاستبدادي خاصة في الدول القومية، أو ذات أنظمة حكم ثيوقراطية أو توتاليتارية. علماً إنَّ إزالة مصادر الخوف لدى الإنسان وضمان أمنه يضمن الاستغناء عن شخصية "الأب الروحي للأمة" للحفاظ على الأمن الاجتماعي وخاصة ببعده السياسي، وهذا ما نجده بشكلٍ نسبي لدى الأمم التي تتبنى الديمقراطية واللاعنف كمنهجٍ لها في العلاقات بين أعضاء مؤسسات الحكومة والمواطنين، وبين النخب المتنوعة من رجال الدين والعسكريين والمثقفين والأكاديميين والسياسيين والتجار والعمال والفلاحين والملاكين والارستقراطيين... إلخ.

3. البعد الصحي

قد يتبادر إلى الذهن عقب ذكر كلمة (صحي) الحالة البيولوجية والنفسية للإنسان؛ وهناك عددٌ من الدراسات اعتمدت هذا الأمر كبعد رئيسي للأمن الوطني، إلا أنَّ هناك من وصف السلطنة العثمانية في مراحل انهيارها (بالرجل المريض). تعتبر الصحة مقوّم أساسي من مقومات التنمية البشرية([56]) وتشكل السلامة بمفهومها العام نواة لهذا البعد ولها علاقة وثيقة مع كافة مقوّمات وأبعاد الأمن الوطني، لذا من المفيد أن يشمل البعد الصحي كافة المجالات التي تلامس الأمن الوطني ومن خلاله الأمن الإنساني، التي من المفروض أن تكون صائبة وسليمة باعتبارها مصدر للطمأنينة والازدهار، حيث يشكل المرض أو العلة أو الخلل أو العطل حالة معاكسة لحالة الصحة والسلامة؛ فإلى جانب الصحة البدنية والنفسية للإنسان هناك الصحة الفكرية للمجتمع والصحة التعليمية لأجياله الشابة وهناك الصحة الروحية والبيئية، والصحة الثقافية والصحة الإنشائية... إلخ. بالقياس إلى ما تمّ ذكره، إلى جانب الكوارث والأزمات المختلفة التي قد تصيب سلباً منظومة الأمن الوطني هناك العديد من الأمراض أو العلل الثقافية والاجتماعية كالعادات السيئة على سبيل المثال زواج القاصرات والثأر وحرمان الأنثى من الميراث والتدخين...إلخ؛ ومن الأمراض السياسية والاجتماعية، الاستبداد والسلطة الشمولية، واعتماد الترهيب والعنف كمنهج وأسلوب، والتطرف وثقافة الكراهية، وعدم الالتزام بالآداب ومبادئ السلامة العامة كالسلامة المرورية وغيرها، على الرغم من وجود روابط لها أحياناً مع الأمراض النفسية والعصبية؛ كما ويمكن أن نعتبر التلوث والمناظر القبيحة والبنية المترهلة وانحسار المساحات الخضراء والمسطحات المائية من الأمراض البيئية؛ ومن الأمراض التعليمية والتربوية والفكرية المناهج التعليمية البدائية والمحدودة المعلومات والبعيدة عن التفكير العلمي والمُسيّسة وغيرها؛ ومن الأمراض الاقتصادية الفساد والاحتكارات والمضاربة وأعمال الجريمة المنظمة وغياب الحوكمة الرشيدة وضعف الإنتاج المحلي وغيرها. بالتأكيد لهذه الأمراض أو العلل مسبّباتها ومحرّضاتها، فهي تنمو وتتكاثر في بيئات معينة تمتلك الظروف والشروط المناسبة، يمكن أن نصفها بالأرحام الاصطناعية المُسخّرة في سبيل الوصول

[56] نقصد بالتنمية البشرية، تطوير مهارات الإنسان وقدراته حتى تمكنه من الوصول بمجهودهِ إلى الارتقاء بمستوى مرتفع من الإنتاج المتنوع والدخل...

إلى السلطة والثروة أو ضمانها، كالمدارس والمعاهد والمعابد والورش والنوادي والأحزاب ووسائل الإعلام والصفحات الإلكترونية وغيرها، حتى أنها تشمل البيئات الفقيرة، والأسر والمجتمعات أو الجماعات المنغلقة على نفسها. تبقى هذه الأمور إلى جانب المشاريع وأجندات الدول الراغبة في الهيمنة على الوطن من أبرز التحديات التي يواجهها البعد الصحي في منظومة الأمن الوطني.

هناك حاجة ماسّة لتأمين مسببات ومصادر الصحة في جميع النواحي، خاصة في ما يتم وصفها بالأرحام الاصطناعية، وتعزيز الرقابة الوطنية عليها، عبر سنّ قوانين ومناهج مناسبة، تحمي مبادئ الديمقراطية والشفافية، وتؤدي إلى التنمية والازدهار والسلام؛ ومن المفيد اعتماد مناهج تعليمية وتربوية تؤدي إلى الإبتكار والإبداع وتطرح مشاريع تنموية بناءة وتُنمي الثقافات الوطنية؛ إلى جانب ضرورة تحقيق العدالة والمساواة في الحقوق والواجبات وتجريم تبنّي ثقافة الكراهية، وسنَّ قوانين تصون البيئة والحياة البرية، وتحمي المشاريع الاقتصادية المتنوعة وتدعمها؛ واعتماد ضوابط ومعايير في الرقابة على مسببات الأمراض العضوية والنفسية والعصبية ودعم الأبحاث العلمية، وتشجيع المشاريع المعنية بالترفيه والتسلية من فنون ورياضات متنوعة. يبدو أنَّ لكلٍ من الحوكمة الرشيدة خاصة في مجالي البنية الفوقية والتحتية، والأخلاق، ومنشآت ومراكز وبرامج الرعاية الصحية والاجتماعية دورٌ محوري في تحقيق ذلك. ويبقى البعد الصحي الداعم الرئيسي للأبعاد الاجتماعية والاقتصادية والدفاعية ومصدراً رئيسياً من مصادر تعزيز الثقة بالنفس ودعم ديمغرافية البلاد، وتحرر المواطن جسدياً وعقلياً من الشعور بالخوف والقلق والتوتر، وتأمين حقوقه وراحته الفيسيولوجية، وتنمية شعوره باحترام الآخرين له سواء أكانوا أفراداً، أو مؤسسات حكومية أو إنسانية أو ثقافية، أو شركات خاصة؛ وهناك حاجة ماسّة إلى حماية مشاعر وأحاسيس وثقافة الإنسان، ومقاومة تهييج الغرائز والنزوات الشهوانيّة فيه التي تجعله أقرب إلى الحيوان منه إلى الإنسان.

من ناحية أخرى يشكل البعد الصحي بمفهومه الطبيّ بعداً استراتيجياً في نظام الأمن الوطني، خاصة في مواجهة الأوبئة المختلفة، كونها تأخذ على عاتقها مهام البعد الدفاعي في حال تفشي أي وباء، يشكل وباء covid-19 المعروف اختصاراً بكورونا كنموذج من أصعب التحديات التي واجهها الأمن الوطني لمختلف البلدان حول العالم بما فيه الدولة القوية اقتصادياً وعسكرياً وتكنولوجياً؛ يعاني العالم منذ مطلع العام الحالي (2020م) من هذا الوباء، والذي نجح في الانتشار بسرعة فائقة وتسبّب بشلّ الحياة وإيقاف عجلة الاقتصاد في الكثير من بلدان العالم، حيث تقدر الاحصائيات بخضوع أكثر من مليار شخص إلى حظرٍ للتجول والبقاء في منازلهم، إلى جانب فقدان الألوف لحياتهم وإصابة ما يقارب المليون شخص، وتبدو الإحصائيات في تصاعد دراماتيكي مستمر. يحتاج التعمق في فهم الفيروسات وتحليل سلوكياتها إلى أهل الاختصاص والخبرة، وهناك اهتمام عالمي بها حيث توجد المئات من مراكز الأبحاث والمخابر التي تختص بدراستها؛ وقد نالت اهتماماً خاصاً من الناحية العسكرية كسلاح فتّاك في معادلات توازن الرعب مع الخصوم كجزء مهم من ترسانة تندرج تحت مسمى السلاح البيولوجي، وتكاد تتواجد في كل دولة تمتك مشاكل مع دول أخرى شرط أن يكون هناك مصل خاص يبطل مفعولها وإلا ارتدت سلباً على مصدرها. يبدو

أنّ هذا الوباء سيخلف تحولات اجتماعية وسياسية واقتصادية وحتى ثقافية على الصعيد العالمي، أي بداية مرحلة جديدة وإعادة برمجة الجماهير؛ ما يشير إلى ذلك إعادة جدولة الأجندات والمشاريع الدولية بشكل يمكن معه استثمار تأثيرات الوباء في خدمة السياسات المتعلقة بالعلاقات الدولية، وهذا ما يذكّرنا بالتطورات التي برزت على الساحة الدولية والإقليمية والمحلية بعد كلٍ من ظهور تنظيم داعش الإرهابي في عام 2014م، وأحداث 11 أيلول 2001م، وانهيار الاتحاد السوفيتي عام 1991م، والحرب العالمية الثانية والأولى...إلخ. من خلال رصد تعامل الدول والمجتمعات مع هذا الوباء تمّ ملاحظة استثماره من قبل بعض الكيانات المحلية والدولية في استراتيجية الإلهاء المكرسة للتحكم بالشعوب أو استنزاف طاقات الخصوم، قد يكون ذلك السبب الرئيسي في تأكيد الكثيرين لنظرية المؤامرة بخصوص انتشار هذا الوباء، فمن أبرز المشاهد التي تزامنت مع انتشار الفيروس:

- استطاع الفيروس أن يشلّ اقتصاد عدد من الدول التي تتحكم بالاقتصاد العالمي، عن طريق إيقاف الأعمال في الشركات والمعامل والمؤسسات، من خلال إجراءات حظر التجول والحجر الصحي المنزلي؛ وبنفس الوقت شلَ الأسواق العالمية حيث توجهت العمليات الشرائية نحو المواد الغذائية والطبية، الأمر الذي ينذر بكساد عالمي قد يخلف مجاعة وكوارث اجتماعية.
- شكلت الأماكن الدينية إحدى البؤر التي انتشر منها الفيروس بشكل دراماتيكي، فمثلاً تشير التقارير الإخبارية العالمية إلى تسبب المراكز الدينية الإسلامية والمسيحية واليهودية في انتشار السريع للفيروس في كل من الجمهورية الإسلامية الإيرانية وإسرائيل وفرنسا وغيرها، إلى درجة إجبار السلطات في أنحاء العالم على إغلاق دور العبادة وإيقاف الطقوس والمراسم والمناسبات الدينية، وأصبح هناك ثقة زائدة بالعلم على حساب الدين.
- تحوّل الوباء إلى الحدث الأبرز على المستوى العالمي على حساب قضايا أخرى، حيث تزخر وسائل التواصل الاجتماعي ووسائل الإعلام بآخر أخبار الفيروس والاحصائيات المتعلقة به.
- برزت الكثير من الآراء التي تشير إلى احتمال استغلال التنظيمات الإرهابية للفيروس واستخدامه كسلاح ضد المدنيين خاصة من قبل من يوصفون بالذئاب المنفردة، وهذا ما يطرح سلاح جديد تحت مسمى (المفخخات الفيروسية).
- إلى جانب عامة الناس، أُصيب الكثيرون من المسؤولين في مختلف الدول بهذا الفيروس بينهم رؤساء دول وحكومات ووزراء وبرلمانيين وضباط وغيرهم، فقد بعضهم لحياتهم، وآخرون لا يزالون يقاومونه في أماكن الحجر الصحي.
- تحول الفيروس إلى أداة لإخماد الانتفاضات الشعبية ضد السياسات الاستبدادية والرجعية أو الفاشلة لبعض الحكومات؛ وكذلك إيقاف مختلف المهرجانات والكرنفالات الشهيرة على المستوى العالمي.

وهناك العشرات من المشاهد الأخرى. إنّ التأثيرات السلبية التي تزامنت مع ظهور الوباء يشير إلى مقدار أهمية تطوير البعد الصحي في الحفاظ على الأمن الوطني.

4. البعد الدفاعي

تعد الأجندات التي تستهدف ذهنية وصحة أفراد وطن أو مجتمع ما من أخطر العمليات الهادفة وراء الهيمنة والاحتلال؛ حيث تجعل الفرد ينساق وراء أفكار ورغبات محددة؛ تبدو جوهر أهداف هذه الأجندات تحويل الفرد إلى كائن زومبي([57]) مشوه الفكر والمظهر بالنسبة لثقافته، ينساق متلهفاً وراء رغبة سادية أو مازوخية تؤثر سلباً في قيم وثقافة مجتمعه- هذا ما يذكرنا بمقولة منسوبة لأحد الشوفينيين (الكردي الجيد هو الكردي الميت)- وتؤدي في النهاية إلى إضعاف الكيان الذي يعيش فيه وفقدان مقومات القدرة على مقاومة التحديات والتهديدات والأخطار المختلفة، الخارجية والداخلية؛ والنتيجة الحتمية الانصهار في ثقافة أخرى ونسيان إرث حضاري قيّم يمتد بجذوره إلى آلاف السنين. استناداً إلى ذلك يُشكّل الدفاع الذاتي المحور الرئيسي للبعد الدفاعي ومجالاته؛ لذا لا ينحصر البعد الدفاعي في المجالات العسكرية فقط، بل يشمل أيضاً كلاً من الخطط الاستراتيجية الطويلة الأمد والخطط الوقائية، المتنوعة واللازمة لتنمية الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية والصحية. من المجالات الرئيسية التي يتناولها البعد الدفاعي:

- الدفاع المدني، المعني بمواجهة الكوارث والأزمات والأوبئة ومعالجة تداعياتها؛
- الدفاع العسكري، المعني بتحقيق توازن الرعب وتأمين قوة الردع اللازمة، الجوية والبحرية والبرية والسيبرانية، بما يتناسب مع الموقع الجغرافي للبلاد وقدراته والأخطار التي تواجهه؛ فمثلاً نلاحظ أنّ البعد العسكري في مفهوم الأمن الإسرائيلي يعتمد على البعد الدفاعي بالدرجة الأولى، حيث أنّه يتطرق إلى أربعة ساحات للمواجهة([58]) وهي، السايبر (الفضاء الإلكتروني) والبحر والفضاء (السماء)، والمجال التحت أرضي (الأنفاق)، ويتمحور الأمن حول الردع والإنذار والدفاع والحسم والعلاقات الاستراتيجية مع القوى الخارجية الصديقة؛ إلى جانب منع تحول العمق الاستراتيجي (الجبهة الداخلية) إلى ساحة قتال مركزية. من ناحية أخرى يشكل تجريد المؤسسة العسكرية وأجهزة الاستخبارات من السلطة السياسية من شأنه أن يعزز الأمن الوطني، ففي أوقات السلم من المفروض إنهاء قانون الطوارئ والأحكام العرفية، لتفادي تحول هذه المؤسسة إلى طبقة استعمارية حاكمة وقامعة لمبادئ الديمقراطية.
- الأمن المعلوماتي، المعني بمواجهة الحرب النفسية أو الدعاية الموّجهة والمضلّلة، وأنشطة التجسس المعادية وأنشطة الجريمة المنظمة، وبنفس الوقت الرصد المستمر للتهديدات الخارجية ومراقبة العلاقات الدولية والإقليمية التي قد تتطور بشكل دراماتيكي وتشكل تهديداً للأمن الوطني؛ إلى جانب حماية حقوق الملكية والبيانات العامة والشخصية والخاصة، وصيانة القيم الأخلاقية؛ وكذلك حماية الفرد من الغارات، الروحانية والأيديولوجية والثقافية، الخبيثة والاستغلالية والماكرة والقمعية، على غرار الحروب.

---

[57] الزومبي Zombie هو الجثة المتحركة التي أثارتها وسائل سحرية من الساحرات أو حدث خطأ بالعقل وغالبا ما يطبق هذا المصطلح غير الحقيقي لوصف شخص منوم مجرد من الوعي الذاتي. يعود جذور هذا المصطلح إلى الثقافة الشعبية الإفريقية القديمة وبشكلٍ خاص في مجتمعات النيجر والكونغو وجنوب إفريقيا؛ وكانت مصدر إلهام للعديد من أفلام الخيال والديستوبيا...

[58] شاؤول شاي وأليكس مينتس؛ مفهوم مُعدَّل للأمن القومي الإسرائيلي: المكونات، الجبهات والمحددات؛ ترجمة عن العبرية: سليم سلامة؛ الناشر: مؤسسة الدراسات الفلسطينية.

- الأمن الرقابي، المكرّس لحماية التماسك الوطني ومتابعة حسن سير الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية والصحية؛ يجب أن يرتكز الأمن الرقابي على الشفافية والمصداقية والولاء للهوية الوطنية والالتزام بالعقد الاجتماعي الوطني، ومنع كل ما من شأنه أن يُسخّر كلاً من الدين أو الاقتصاد أو التعليم أو المعارف أو الإعلام أو المنظمات أو إحدى الثقافات أو مؤسسات الهيئات التشريعية والقضائية والتنفيذية، للخدمة الشخصية أو لقوى سياسية داخلية أو خارجية، لا تحترم ولا تعترف بالعقد الاجتماعي الوطني، من أجل غايات سياسية أو مادية أو معنوية. أيضاً يقع على عاتق القائمين على الأمن الرقابي حماية الفرد من تأثير المحتكرين للإعلام والمعلومات، ومحاربة البطالة، وحماية الفرد من التلوث وانعدام الاخضرار والتلوث الهوائي والأوبئة والأمراض، التي تكبت أنفاس الإنسانية على الصعيد الروحي والفيزيائي، وتنسف كل الجماليات وكل ما يتشبث الإنسان بالحياة من أجله.

إنّ فشل النخب والقائمين والعاملين في منظومة الأمن الوطني على صيانته سيخلق أزمات خطيرة قد تتحول إلى كارثة، الأمر الذي سيدفع بالسكان بشكل هيستيري نسبياً إلى البحث عن (المنقذ) وهذا ما يفسح المجال للطموحات والمشاعر المريضة المكبوتة، حيث ستتعالى الأصوات وتتبادل الاتهامات وقد تتشمر الأيدي لفرض آراء معينة لقيادة البلاد أو المجتمع، كلٌ بحسب وجهة نظره، وسيتحول أولئك الذين يمكن وصفهم بالخلايا النائمة من الذين يمتلكون خلافات إيديولوجية مع سياسة الحكومة والمجرمين وأعداء الضمير والشخصيات المضطربة نفسياً وعملاء القوى المعادية، إلى أزاميل ومطارق لهدم الوطن؛ من ناحية أخرى تمتلك المجموعات الدينية شخصية المنقذ مسبقاً ونفس الأمر للمجموعات المؤدلجة وهناك من سيطلب العون من قوى أجنبية، هذا الأمر سيجعل الوطن في مواجهة أمرين، الحرب الأهلية كنتيجة حتمية لثقافة الكراهية أو الغزو الخارجي، وأكثر ما سيؤججها انفراط العقد الاجتماعي واعتماد العنف بدلاً عن الدبلوماسية؛ ومن المتوقع أن تكون الغلبة في حال اعتماد العنف للذي يملك أكبر قدر من القدرة على الترهيب، وبالتالي اختلال ميزان ثنائية الخير والشر، أو الأمن والخوف، لصالح الشر أو الخوف. لذا يقع على عاتق النخب الوطنية والقائمين على صيانة منظومة الأمن الوطني مسؤولية كبيرة في منع انجرار البلاد إلى حرباً أهلية مهما كان الثمن. لذا في سياق الدفاع الذاتي يعد حماية القيم الأخلاقية والوطنية والحقوق والحريات والقضاء على كل ما يشكل تهديداً لأبعاد الأمن الوطني أو معالجته من أبرز مقوّمات البعد الدفاعي، وفي بعض الأحيان يشكل الضمانة الرئيسية لاستمرار الوطن في الحياة.

يرى المفكر عبد الله أوجلان "...والدفاع لدى النوع البشري مجتمعي بقدر ما هو بيولوجي. يعمل الدفاع البيولوجي من طرف غرائز الحماية والدفاع الموجودة في كل كائن حيّ. أما في الدفاع المجتمعيّ، فجميع أفراد الجماعة يذودون عن نفسهم بشكل مشترك. بل ويطرأ التغير باستمرار على تعداد المجموعة وشكل تنظيمها، وفق ما توفره فرص الدفاع عن الذات. وعليه، فالدفاع وظيفة أصيلة في المجموعة. ومحال الاستمرار بالحياة من دونه...".

تحتاج المجالات الرئيسية التي يتناولها البعد الدفاعي إلى مجموعة من الهيئات والمؤسسات والأجهزة الإدارية، تضمن المصداقية في المعلومات والأخبار عن كل أمر أو حدث أو فعل أو

نشاط يلامس الأمن الوطني، وبنفس الوقت ملتزمة بالتشريعات والقرارات المتوافقة مع بنود العقد الاجتماعي والدستور الوطني، والصادرة عن الهيئات التشريعية والقضائية والتنفيذية. من تلك الهيئات والمؤسسات والأجهزة الإدارية؛ هيئات إدارة التعامل مع الطوارئ، المعنية بالتعامل مع الكوارث الطبيعية والأوبئة ومعالجة تداعياتها، ويدخل في سياقها مراكز الرصد والإحصاء والاستطلاع، والأبحاث العلمية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والأمنية والعسكرية...إلخ والأكاديميات، وفرق الإطفاء والإنقاذ والإسعاف والمشافي والمستوصفات وفرق صيانة وإصلاح المنشآت الخدمية والبنية التحتية بشكل عام، وفرق النظافة، وأجهزة رقابة الجودة على التعليم والمواد الغذائية والإنتاج والمنشآت والصحة البدنية والنفسية والعصبية وغيرها، ووسائل الإعلام، وهناك مراكز أمن المعلومات والاستخبارات الوطنية، وأجهزة الأمن الجنائي والأمن المروري وأمن الحدود، وهناك العشرات لا يسع ذكرها جميعاً؛ من المفروض أن تتخذ هذه الهيئات أو المؤسسات أو الأجهزة، استراتيجية الدفاع المشروع وأن تكون مبتعدة عن أية أجندات تهدد الأمن الوطني للبلاد أو الأمن الوطني لشعوب أخرى صديقة أو محايدة. ومن المفروض أيضاً أن يتناول البعد الدفاعي الجهود المبذولة في تعزيز القدرة على التصدي لاتجاهات فكرية تؤثر على استقرار البلاد وقد تجلب لها الفوضى والانهيار، أو تؤثر على أمنها الحضاري أو على المجالات الداخلية لأمنها الوطني؛ أي التحصين الثقافي والحضاري للبلاد، ففي العصر الحديث أصبح حضارة الوطن وثقافته ومشاريعه أهدافاً استراتيجية لمشاريع الهيمنة والاحتلال؛ ومن المفروض أيضاً تأمين الحاجات الوطنية الاستراتيجية للبلاد كتأمين التصنيع الاستراتيجي العسكري وتكنولوجيا المعلومات وأدوات ووسائل الخدمة العامة، ودعم مراكز الأبحاث المتنوعة.

يمكن التعمق أكثر في مفهوم الأمن الوطني وأبعاده إلا أنّ التحدي يبرز في مجال التطبيق العملي وفي الآليات المتخذة الضامنة لحسن سير المنظومة الأمنية الوطنية، هذا الأمر يتطلب إرادة وإدارة رشيدة؛ قد تتحمل الهيئة التشريعية والقضائية المسؤولية المباشرة عن صيانة الأمن الوطني، إلا أن هناك حاجة إلى لجنة أو هيئة منتخبة تتولى مهمة الإشراف على منظومة الأمن الوطني يمكن تسميتها على سبيل المثال (مجلس الأمن الوطني) ويمكن أن تكون صلاحياتها مماثلة لصلاحيات المحكمة الدستورية العليا، عبر آليات الرقابة والمتابعة والمسائلة واقتراح الاستراتيجيات المناسبة بعد دراسة وتحليل مصادر التهديدات والمخاطر والتحديات التي يمكن أن تواجه البلاد؛ وإبداء الرأي في مشروعات الاتفاقيات والمعاهدات التي تتعلق بالأمن الوطني قبل إقرارها؛ ويشترط لتحقيق ذلك امتلاك هذه الهيئة أو اللجنة كفاءة وسلطة معنوية تخولها الرقابة والمتابعة والمسائلة واقتراح الاستراتيجيات في سياق أعمال الهيئات التشريعية والقضائية والتنفيذية.

يتبع .....

داعش .. دولة هشة واقتصاد رخو

د. مهيب صالحة[1]

ربما لن يعود تنظيم داعش إلى الواجهة مرة أخرى، لكن فكرة قيام دولة الخلافة الإسلامية، أوتحكيم الشريعة على أساس أن الإسلام هوالحل للخروج من حالة الاستعصاء التاريخي الذي تعيشه المنطقة العربية والإسلامية منذ قرون، لن تزول بزوال داعش، ولا بزوال شبيهاتها بالوسائل العسكرية والاستخباراتية.

فدولة الخلافة الداعشية ابنة هذه المنطقة ولا تختلف، جوهرياً، عن أخواتها الأكبر منها من أفغانستان شرقاً حتى المملكة المغربية غرباً، من حيث انتمائها للاستبداد الشرقي، إنما تتلبس ثوباً دينياً أكثر سفوراً وعرياً وهمجية.

إن مفردتا "هشاشة" و"رخاوة" تحملان مدلولات عميقة في اللغة السياسية والاقتصادية، تعكس حالة الدولة والاقتصاد كونهما أساس تطور المجتمع وارتقائه الحضاري. فالهشاشة مرض خلقي نادر، يصيب الهيكل العظمي، وتعني قابلية الشيء للكسر بسهولة. أما الرخاوة فهي علة يولد بها بعض الأطفال، تصاب بها عضلاتهم. وتعني اللين في كل شيء[2]. ودولة هشة يعني وهنها، قابليتها للانهيار والكسر لأي سبب موجب مهما كان بسيطاً. إنها دولة لا تقوم على الأسس الصلبة التي تبنى عليها الدولة الحديثة، التي تتميز بدينامية عالية وقدرة فائقة على اختلاق الفرص لتطوير ذاتها. أما الاقتصاد الرخوفهوالاقتصاد الذي يولد ضعيفاً لا يقوى على الوقوف في وجه التحديات المعاصرة من: عولمة، وتنافسية، وندرة، ومرونة، وشفافية، ومعايير دولية، ومواد ووسائل إنتاج جديدة، وتكتلات، وتكنولوجيا، ومعرفة، وقصر دورة حياة المُنْتَج، وجودة المنتجات.. وتعاني محركاته (عضلاته) من تباطؤ شديد في دفع وتائر النمو. والدولة الهشة والاقتصاد الرخو، طالما لا يخضعان لعملية تنوير وحداثة مستمرة، سيبقيان أهم عائقين يحولان دون وضع نهاية لحالة الاستعصاء التاريخي في عموم المنطقة. وعملية التنوير والحداثة يراد منها تطوير عقل جمعي مولد لوعي جمعي مختلف ومغاير لمشكلات المنطقة قادر على كسرها.

من هذا المنطلق وقع اختيارنا على موضوع البحث الذي يركز على الإجابة عن سؤال فلسفي بالدرجة الأولى، هو: كيف السبيل للخروج من حالة الاستعصاء التاريخي، ومواجهة الردة الدينية ممثلة بأسوأ نماذجها، دولة الخلافة الإسلامية؟؟ وفق المنهج النقدي الاستدلالي الذي اخترناه سبيلاً ينير طريقنا حتى النهاية، في ظل نقص شديد للبيانات والمعطيات والوقائع، ولأن مشكلة البحث،

---

[1] كاتب وأكاديمي سوري – أستاذ الاقتصاد في الجامعة العربية الدولية الخاصة

[2] - علي بن هادية وآخرون، القاموس الجديد، الشركة التونسية للتوزيع والمؤسسة الوطنية الجزائرية للكتاب، تونس - الجزائر، ١٩٨٤، ص ٣٨٠ و١٢٨٤.

وهي ههنا، دولة الخلافة المزعومة واقتصادها الموهوم، ليست دولة، وليس لديها اقتصاد بالمعنى الفلسفي لكل من الدولة والاقتصاد ـ مما يقتضي تقسيم البحث إلى المباحث التالية مع **مقدمة وخاتمة:**

المبحث الأول: داعش ولادة من رحم الضياع.

المبحث الثاني: دولة داعش الهشة.

المبحث الثالث: الإرهاب والشعبوفوبيا.. الأمل المفقود.

المبحث الرابع: الدولة والاقتصاد صنوا الحداثة.

المبحث الخامس: اقتصاد دولة الخلافة الرخو.

المبحث السادس: مصادر الدخل الرئيسة لدولة الخلافة الإسلامية.

المبحث السابع: التداعيات الاقتصادية لدولة الخلافة وانهيارها.

المبحث الثامن: التنوير والحداثة.. مخرج لا بد منه.

المبحث الأول: داعش ولادة من رحم الضياع.

لم تكن نشأة داعش (تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام) من قبيل الصدفة التاريخية البحتة، ولا فقاعة صابون نفختها ظروف المنطقة السيئة، ولا صنيعة مخابرات لتنفيذ أجندة دولتها، ولا نهاية تاريخ تتسابق على رسمها الأيديولوجيات السياسية والدينية حسب هواها.

إن فكرة بعث دولة الخلافة الإسلامية بنسختها الداعشية ليست جديدة إنما قديمة قدم عصر الانحطاط الذي يجاوز عمره في منطقتنا عشرة قرون، لم ينتج خلالها سوى العنف والتخلف والكراهية والاستبداد والطائفية والتكفير والتهجير والإقصاء والإلغاء. فالداعشية تتراكم في الموروث الثقافي والديني والمجتمعي، وتتغلغل في اللاوعي الجمعي الذي يتحول في المنعطفات التاريخية إلى وعي جمعي يتشكل بفعل الظلم والطغيان، وفي جميع الأزمنة والمراحل لم تتمكن العقلانية ولا التنوير ولا الحداثة من خرق جدار الوعي الجمعي الداعشي الصلب، وبقيت تحتل مكانة وضيعة ومحاصرة، ويناصبها الجميع العداء. لقد ساهمت الدولة منذ بداية عصر الانحطاط في تعزيز الميل الجمعي لفكرة دولة الخلافة الداعشية، لأن كل الدول التي نشأت في المنطقة، بما فيها الدولة الوطنية المعاصرة، لم تعمل على تجاوز عوامل التخلف والانحطاط، بل بقيت تغذي من خلال الاستبداد الشرقي كل النوازع والدوافع التي تقود إلى الداعشية كنمط تفكير رجعي وأسلوب حياة متخلف ونموذج سيء للسلوك تجاه الآخر.

لقد توجت السيرورة الفكرية التراكمية لدولة الخلافة الداعشية بسيرورة تنظيمية، تبدومتقطعة، لكنها سلسلة تبدأ مع تنظيم الإخوان المسلمين، وانتشار الوهابية، وظهور جماعة الهجرة والتكفير، وجماعة التوحيد والجهاد، وتنظيم القاعدة، وتنظيم قاعدة الجهاد في بلاد الرافدين، ومجلس شورى المجاهدين، ودولة العراق الإسلامية، وأخيراً الدولة الإسلامية في العراق والشام / داعش/ ٢٠١٣، والدولة الإسلامية ٢٠١٤.

إن داعش ليست ظاهرة غريبة عن المنطقة العربية والإسلامية لأنها ولدت من رحم ضياعها التاريخي، ولا عن العرب والمسلمين عموماً لأنهم حواملها، إنما هي نبتة محلية تعيش في تربة صالحة لنموها، وتتغذى على الاستبداد الشرقي ومؤسساته وأفهامه، وعلى الدين الإسلامي ومؤسساته وأفهامه. وطالما هي كذلك فإنها تنظيم مفتوح يسهل اختراقه من كل أجهزة المخابرات التي تتحسبه.

المبحث الثاني: دولة داعش الهشة

تتميز الدولة الحديثة في عصر العولمة بالانفتاح على الداخل والانفتاح على الخارج. فهي تنفتح على الداخل من خلال:

ـ النظام الديمقراطي الذي يؤمن أوسع مشاركة شعبية في إدارة الدولة عبر مؤسسات المجتمع.

ـ سيادة القانون واحترام حقوق الإنسان التي نصت عليها المواثيق الدولية وأهمها الميثاق العالمي لحقوق الإنسان.

ـ احترام الإنسان باعتباره قيمة لا تعلوعليها قيمة أخرى وتوفير البيئة المواتية التي تنمي قدراته ومهاراته الفردية وتحفز مواهبه وإبداعاته.

ـ إدارة الاختلاف في مؤسسات الدولة بالطرق السلمية والقانونية مع تأمين فضاءات التعبير عن الرأي بحرية تامة.

ـ وقوف الدولة على مسافة واحدة من جميع مكونات المجتمع وتشكيلاته ونبذ التطرف والطائفية الدينية والتعصب الديني والعرقي والسياسي.

وهي تنفتح على الخارج من خلال:

ـ احترام السيادات الوطنية النسبية والاعتراف المتبادل بالحقوق المشروعة.

ـ بناء العلاقات على أساس تكافؤ الفرص وتوازن القوى الطبيعي.

ـ المساواة على قاعدة تبادل المصالح التي تؤمن منافع مشتركة.

ـ تسوية المنازعات بين الدول بالطرق القانونية والدبلوماسية.

في ظل هذا المناخ العام تختلف الدول الحديثة في مستوى انفتاحها باختلاف سيروراتها ومكانتها فيه. أما الدول ما قبل الحداثة فهي تغلق على نفسها داخلها وخارجها، فلا داخلها ينعم بالدينامية اللازمة للتغيير وبناء الذات الوطنية إنما تغلب عليه الديناميات الارتدادية، ولا علاقتها بخارجها علاقة الند للند تقوم على تبادل المصالح واحترام السيادات النسبية إنما هي علاقة تبعية وخضوع من طرف واحد.

إن كل دول المنطقة الإسلامية الممتدة من أفغانستان شرقاً حتى المملكة المغربية غرباً والتي أطلقت عليها سابقاً منطقة الفالق الإسلامي الهش منغلقة على ذاتها داخلياً وتابعة خارجياً. وهذه المنطقة منقوصة السيادة والإرادة بسبب عجزها عن استيعاب أسرار الثورة المعرفية ـ التكنولوجية،

وعدم رغبتها ولوج العولمة خوفاً من دفع أثمانها مقابل الحصول على ميزاتها، أوخوفاً على ذواتها من السقوط لأن العولمة تدفع بظهور عالم جديد إلى الوجود على أنقاض الدول الوطنية المستبدة.

فالبنية السياسية الاجتماعية لهذه المنطقة، تشكل فالقاً زلزالياً واحداً لا تمنع الجغرافية أي اهتزاز فيه، في أي مكان، من تحرك أواهتزاز القشرة السياسية الاجتماعية في الأماكن الأخرى. هذا الفالق عميق عمق التاريخ بمشاكله وصراعاته السياسية والدينية والاجتماعية مع ما يصاحبها من تشققات واهتراءآت في البنية الاجتماعية تؤدي إلى إزاحات في القشرة الطبقية على جانبي الفالق في الظاهر على حساب الطبقة المتوسطة، مع تشققات سياسية ودينية بلغت درجة الغلوفي الصراعات الداخلية والبينية تتلبس لبوساً دينية ومذهبية وتستند إلى أفهام دينية ملتبسة وإلى خلافات ماضوية لا معنى لها. لكن تحت القشرة لاتزال البنية الطبقية التي ازدادت شقوقها تنوعاً وبخاصة الطبقة المتوسطة، من حيث الاصطفاف الاجتماعي الاقتصادي ومن حيث وعي ذواتها، تتمظهر بشكل طاقة محبوسة تحت القشرة. كل شَق في هذه البنية، له اهتراؤه، ويشكل صفيحة مجتمعية أودينية أوسياسية تتموضع في هذا الفالق الجيواجتماعي كحصن منيع لكنه شديد الهشاشة، وربما تطلق هشاشته الطاقة المحبوسة على شكل اندفاعات ثورية إما انتقالية أودورانية أوكلاهما[3].

إن الثورة المعرفية ـ التكنولوجية تضعف قدرة هذه الدول على التحكم في عملية تدفق المعلومات إلى داخلها، وتشكيل الوعي الجمعي الداخلي وضمان ولائه المطلق، كما تضعف أيديولوجياتها الشعبوية الفكرية والسياسية والدينية. وبالتالي تهميش دورها المجتمعي مع ما يصاحبه من تهميش كبير لدورها الاقتصادي.

لم يكن ينقص هذه المنطقة قيام دولة جديدة على أنقاض دول سابقة، أوعلى أجزاء من أراضي دول سابقة تعيش حياة فوضى وتهالك. لأن قيام هكذا دولة محكوم بأيديولوجيات المنطقة وعبثها وانغلاقها على ذواتها المنعزلة، ولن تكون هذه الدولة سوى جزء، وربما أسوء جزء، في الفالق الإسلامي الهش. وفي ظل موجة الإرهاب التي تجتاح المنطقة فإن نشوء دولة ثيوقراطية من مجاميع إرهابية يزيد طين المنطقة يباساً وتشققاً.

"داعش" هوالتنظيم الوحيد من بين الجماعات الإرهابية تمكن من بناء هيكلية تنظيمية أقرب إلى الدولة، فقد شكل الدواوين (الوزارات) أوالسلطة التنفيذية، وهي " ديوان القضاء والمظالم، ديوان الدعوة والمساجد، ديوان التعليم، ديوان الزراعة، ديوان الفيء والغنائم، ديوان الحسبة، ديوان الزكاة، ديوان الأمن العام، ديوان الصحة، ديوان الركاز، وديوان الخدمات "[4] ومجلس شورى المجاهدين أوالسلطة التشريعية، والمحاكم الشرعية أوالسلطة القضائية، كما عمل على جباية الضرائب وصك النقود واعتماد عملة خاصة به. مع ذلك لا يختلف تنظيم "داعش" عن باقي التنظيمات الإرهابية التي تحلم بقيام دولة الخلافة، إنما هوامتداد طبيعي لها، نشأ وتوسع في ظل الفوضى التي تلت ثورات الربيع العربي، واستخدم استخداماً مزدوجاً من قبل الحكومات المعنية

[3] ـ مهيب صالحة، فالق جيواجتماعي سياسي والزلزال الكبير ـ شبكة جيرون الإعلامية، ٢٥ تموز / يوليو/٢٠١٧

[4] زياد سالم، محمد علي، دولة البغدادي بلا دواوين، العربي، ١٣ كانون أول/ يناير ٢٠١٩. https://www.alaraby.co.uk/politics/2019/1/12

ومن قبل الخارج في تسعير نيران الثورات المضادة لحرف ثورات الربيع العربي عن مساراتها الوطنية الديمقراطية، وفي الوقت ذاته ضرب الجماعات الإسلامية المعارضة ببعضها.

لم يكن نشوء دولة داعش سوى جزء مهم من مشكلات المنطقة، وأحد كواشف هشاشة دولها وفشلها الذريع في ولوج عصر التنوير والحداثة.

إن كل متر مربع كانت تقضمه داعش، خلال خمس سنوات من عمرها، من دولة العراق الهشة والدولة السورية الهشة، كانت تقرب من أجل دولتها الهشة أيضاً.

في التاسع والعشرين من حزيران/ يونيوعام٢٠١٤ أعلن تنظيم داعش عن إقامة "دولته الإسلامية "على مناطق قضمها من سورية والعراق، تعادل مساحة بريطانيا. فرض عليها خلال خمس سنوات قوانينه المتشددة وأيديولوجيته الدينية المتخلفة. وفي كانون الثاني/ يناير انتزع التنظيم مدينة الرقة شمالي سورية من شقيقته جبهة النصرة التابعة لتنظيم القاعدة. وسيطر أيضا على قسم كبير من محافظة دير الزور على الحدود مع العراق وكذلك على مواقع في محافظة حلب. وفي القلمون وجنوب العاصمة دمشق ووادي اليرموك. وفي العراق سيطر التنظيم خلال هجوم كاسح شنه في ١٠ حزيران/ يونيوعلى الموصل ثاني أكبر مدن البلاد، وعلى قسم كبير من محافظة نينوى. وتحولت بذلك الرقة والموصل إلى "عاصمتي دولة الخلافة". وفي الرقة ارتكب تنظيم الدولة الإسلامية العديد من الفظاعات بينها قطع رؤوس وإعدامات جماعية وعمليات اغتصاب وخطف وتطهير عرقي. وعمد التنظيم إلى رجم النساء بشبهة الزنى. في العراق استولى التنظيم على المعقل التاريخي للإيزيديين في جبال سنجار شمالي العراق، وجنّد أطفالا، وقام بسبي آلاف النساء والفتيات واستعبادهن جنسياً.

في أيلول/ سبتمبر ٢٠١٤ شن التحالف الدولي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية أولى ضرباته الجوية ضد تنظيم الدولة الإسلامية في سورية، بعدما كان استهدفه في العراق. في ٣١ آذار/ مارس ٢٠١٥ استعادت القوات العراقية تكريت (شمال بغداد). وسلطت العملية الضوء على الدور الأساسي الذي تلعبه قوات الحشد الشعبي التي تهيمن عليها فصائل شيعية. وفي ١٣ تشرين الثاني/ نوفمبر استعادت القوات الكردية مدعومة من التحالف الدولي سنجار. في ٢٦ كانون الثاني/ يناير ٢٠١٥ طردت القوات الكردية بدعم من التحالف الدولي، تنظيم الدولة الإسلامية من كوباني (عين العرب) الواقعة على الحدود التركية. وفي ٢٠١٦ تم طرد تنظيم الدولة الإسلامية من الرمادي، كبرى مدن الأنبار، ثم الفلوجة. وفي آب/ أغسطس ٢٠١٦ طردت قوات سورية الديموقراطية، وعمودها الفقري وحدات حماية الشعب، تنظيم الدولة الإسلامية من منبج. وسيطرت فصائل معارضة مدعومة من الجيش التركي على مدينة جرابلس ثم الباب في محافظة حلب في شباط/ فبراير ٢٠١٧ وفي آذار/ مارس استعاد النظام السوري بدعم من حليفته روسيا، بشكل نهائي مدينة تدمر الأثرية التي كان سيطر عليها تنظيم الدولة الإسلامية مرتين منذ ٢٠١٥ودمر عناصر داعش في المدينة قسما من الآثار المدرجة على لائحة التراث العالمي لليونيسكو. وفي ١٠ تموز/ يوليو٢٠١٧ تم تحرير الموصل في نهاية هجوم استمر تسعة أشهر شنته القوات العراقية بدعم من التحالف الدولي. وفي آب/ أغسطس سيطرت القوات العراقية على تلعفر وكامل محافظة نينوى.

وفي ١٧ تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠١٧ خسر تنظيم الدولة الإسلامية الرقة التي سيطرت عليها قوات سورية الديموقراطية. وفي ٩ كانون الأول/ ديسمبر من العام ذاته، أعلن العراق النصر على تنظيم الدولة الإسلامية. وفي أيلول/ سبتمبر ٢٠١٨ شنت قوات سورية الديموقراطية بدعم من التحالف الدولي هجوما للسيطرة على آخر جيب للتنظيم في محافظة دير الزور، الباغوز. وفي ٢٣ آذار/ مارس ٢٠١٩ أعلنت قوات سورية الديموقراطية "القضاء التام" على دولة داعش[5].

وفور إعلان انتهاء "دولة الخلافة" المزعومة بعد نحوخمس سنوات من القتال ضد التنظيم، أعلنت قوات سوريا الديمقراطية بدء مرحلة جديدة في قتال تنظيم داعش في سوريا بالتعاون مع التحالف الدولي، بهدف القضاء الكامل على الوجود العسكري السري لتنظيم داعش المتمثل في خلاياه النائمة.

المبحث الثالث: الإرهاب والشعبوفوبيا.. الأمل المفقود

مفهوم الإرهاب من أكثر المفاهيم غموضاً في التداول السياسي اليومي في النزاعات الداخلية والدولية، فكل طرف يتهم الطرف الآخر بالإرهاب لتبرير ممارساته في القتل التي تبلغ مستوى جريمة حرب وجريمة ضد الإنسانية حسب القانون الدولي الإنساني. ويراد دائماً من هذا الالتباس المفاهيمي تبرير ممارسات دولة قوية ضد دولة ضعيفة، وممارسات دولة احتلال ضد دولة محتلة أوشعب تحت الاحتلال، وممارسات سلطة متغولة ضد شعبها، وممارسات جماعة أيديولوجية مسلحة على عامة الناس العزل، وترك دائماً مساحات واسعة لإثارة الصراعات وتأجيج مشاعر الحقد والكراهية عوضاً عن مشاعر الوئام والسلام.

لقد التصق مفهوم الإرهاب بالإسلام تزامناً مع تفكك الاتحاد السوفيتي وانتهاء الحرب الباردة والقطبية الثنائية وتفرد الولايات المتحدة الأمريكية بقيادة العالم. ولم يكن تبني منظمة القاعدة صدم طائرتين مدنيتين ببرجي مركز التجارة العالمي في منهاتن وصدم ثالثة بمبنى البنتاغون عام ٢٠٠١ من قبيل الصدفة، إنما كانت عملية إرهابية عملانية لترسيخ مفهوم عن نهاية التاريخ كما يراه فرانسيس فاكوياما ـ وهومنظر السياسة الخارجية الأمريكية عقب انهيار المعسكر الشيوعي من أصل ياباني ـ فحواه الانتصار النهائي لليبرالية الغربية بجناحيها الأطلسي والآسيوي في مقابل قفلة الماركسية للتاريخ بالشيوعية. لقد بدأت قصة الإرهاب من ههنا وتحديداً من إعلان فاكوياما حرب الليبرالية الغربية، بعيد انهيار الشيوعية، على عدوها الوحيد الباقي وهوالإرهاب الإسلامي دون تحديد ما هوالإرهاب وأي فعل ينطبق عليه هذا الوصف.

الإرهاب بجملة واحدة هو" كسر إرادة فرد أوجماعة أودولة أوشعب من قبل فرد أوجماعة أودولة أوشعب بواسطة ما يملك من فائض قوة ". لذلك فإن الاستخدام الضبابي لمصطلح الإرهاب خارج إطار هذا المفهوم يقود حتماً إلى مساواة غير عادلة بين طرفي أي صراع أحدهما يملك فائض قوة والآخر يملك عجز قوة. وبالنظر إلى معادلات الإرهاب التي أحد طرفيها (إسلامي) منذ إطلاق

[5] هل انتهت دولة داعش ، عرب ٤٨، ٢٣ آذار / مارس ٢٠١٩. ahttps://www.arab48.com

قصة الإرهاب والإسلاموفوبيا نجد أن الطرف الإسلامي هوالطرف الذي يملك عجز قوة في مواجهة فائض قوة يملكه الطرف الآخر.

مما يثير التساؤل، لماذا اختيرت القاعدة ـ وهي في الأساس تنظيم إسلامي، صناعة أمريكية، وجد لتعبئة المسلمين في مواجهة رياح الشيوعية القادمة إلى العالم الإسلامي من بوابة أفغانستان ـ كي تبدأ معها الألفية الثالثة بقصة الإرهاب والإسلاموفوبيا بزخم أشد من زخم اجتياح العراق للكويت الغنية بالنفط والذي تزامن مع نهاية تاريخ فاكوياما وانتهى بعد عمليات الحادي عشر من سبتمبر باحتلال العراق وشنق صدام حسين عشية عيد الأضحى العيد الكبير عند جميع المسلمين، وقلب نظام الحكم فيه من سني عروبي إلى شيعي إيراني؟؟!!!

لم يكن انهيار النظام الشيوعي على أعتاب الألفية الثالثة مجرد نتيجة منطقية لاختلال ميزان القوة بين معسكرين إبان الحرب الباردة أونتيجة مؤامرة عليه، إنما هونتيجة منطقية لحالة استعصاء تاريخي بلغها الاستبداد الشرقي في أبشع صوره في الاتحاد السوفيتي بانفضاح لبوسه " الإنسانية " التي حَمَّلَها على ماركسية نظرية وأسقطها عن منهجها العلمي المستند إلى جدلية التطور. هذا الاستبداد هوذاته مسلط على رقبة شعوب الفالق الإسلامي الذي يحمل بصمة جيواجتماعية واحدة تنذر بانفجار محتوم نظراً لحاجة شعوبه للتحرر من نير الاستبداد وتبعاته التدميرية للذات الوطنية. وربما من قبيل صدف التاريخ أن تكون أفغانستان مجمع المتناقضات، الليبرالية والشيوعية والإسلام، يبدأ التاريخ فيها قصته الإرهاب والشعبوفوبيا، وليس الإسلاموفوبيا، ويختمها على نحوسبر تراجيدي في الربيع العربي السني والربيع الإيراني الشيعي (الثورة الخضراء).

إن الصراع بين الشرق والغرب لم يأخذ صبغة أيديولوجية بقدر ما تأثر بالمصالح الاقتصادية والجيوسياسية، وكانت خيارات الشعوب بين الشيوعية والليبرالية والإسلام ثانوية في أولوية المنافع والمصالح والمكاسب للدول والحكومات. كما كانت تحالفات الدول تقوم بالظاهر على أيديولوجية مشتركة لكنها في الباطن على مصالح مشتركة، وما أن تتغير المصالح حتى تتغير التحالفات، ولا يبقى من التحالفات السابقة سوى أيديولوجية مشتركة تقبع تحت قشرة المصالح، تتحين أية فرصة تتغير فيها التحالفات لكي تخرج إلى السطح من جديد. إن كل اشتراكيات الشرق تشبه الحمل الكاذب خارج رحم الشيوعية السوفيتية، وكل ليبرالياته تشبه الولادات المتعسرة لأجنة تولد مشوهة من رحم الليبرالية الغربية، وكل إسلامياته ماضويات دينية عدوة للتنوير والحداثة. فلا الماركسية استطاعت إنتاج اشتراكيات قابلة للحياة في بيئات خارج منظومة المركزية الأوروبية، والتي ماركس نفسه كان يقدر أن التناقض بين علاقات الإنتاج وقوى الإنتاج يأخذ مداه في واحدة أوأكثر من دولها ويقود حتماً إلى الانتقال نحوالشيوعية، مع أن التناقض عندما يبلغ مداه قد لا يولد تشكيلة اقتصادية ـ اجتماعية جديدة إنما قد يطور التشكيلة السائدة نفسها. ولا الليبرالية تمكنت من إنتاج رأسماليات تشبه رأسماليات المركزية الأوروبية لأنه في الحالتين لم تقم في دول الفالق الإسلامي نهضة صناعية تتيح تطور قوى الإنتاج باتجاه أي من العلاقات الإنتاجية الاشتراكية أوالرأسمالية على عكس دول أوروبا الشرقية مثلاً، التي كانت شعوبها تواقة للتحرر من الاستبداد السوفيتي وفي الوقت ذاته تنشد التغيير الديمقراطي، ولديها قاعدة صناعية بنتها قبل وبعد تموضعها في حلف وارسوالشيوعي، عدا عن مجاورتها اللصيقة لأوروبا الغربية وما يعنيه احتواؤها من أهمية

استراتيجية لأوروبا كونها امتداد طبيعي لها، وفي الوقت نفسه تفصلها عن روسيا التي فشلت في أن تكون ليبرالية. وبقيت دول هذا الفالق تزاوج بين الإسلام والدولة إلى حد امتناع أي من المؤسسات الدينية الرسمية، كالأزهر ودور الإفتاء، من إصدار ولوتصريح واحد أوبيان واحد ضد دولة الخلافة الموهومة وممارساتها القذرة، التي تسيء للدين الإسلامي قبل أن تسيء للبغدادي وغلمانه الصغار.

ومن سخريات مفهوم الإرهاب آنف الذكر أن الدول التي تمتلك فائض قوة عسكرية وسياسية ـ ڤيتوفي أعلى سلطة دولية "مجلس الأمن " تمارس إرهاب الدولة عندما تستعمل فائض قوتها إما لتحقيق مصلحة لنفسها أومنع مصلحة عن غيرها وبالتالي من غير المأمول أن يقف إرهابي ضد الإرهاب أويحرك دعوى جنائية ضد إرهابي آخر يرتكب جرائم حرب وجرائم ضد الإنسانية... إلا إذا توافقت مصالح الڤيتويين الخمسة، فعندها ربما تصبح حمامة سلام في نظرهم إرهابية بامتياز، وإرهابي بامتياز حمامة سلام. وهنا بالتحديد تكمن خطورة اللعب بالجماعات الإسلامية الإرهابية ـ داعش وجميع أخواتها ـ من قبل دول لديها فائض قوة وأجندات جيوسياسية تحول دون تطور منطقة الفالق الإسلامي الهش.

في الفالق الإسلامي، وأمام هذه اللوحة الكاريكاتيرية، بقي الإسلام الموروث الثقافي الوحيد منتج أصلي لا يبرح ذهنية المسلمين حتى أولئك الذين يحملون أيديولوجية أخرى ماركسية كانت أوليبرالية أوقومية أوغيرها. وعند أول خطر شيوعي على بلد مسلم تمكنت الليبرالية الغربية من تعبئة المسلمين في تنظيم القاعدة لمواجهة خطر الشيوعية التي صُوِّرَتها للمسلمين على أنها بديل للإسلام، مثلما تمكنت الدولة الوطنية الاستبدادية من تعبأتهم في داعش وغيرها من الجماعات الإسلامية لحرف المسار الوطني الديمقراطي لثورات الربيع العربي. ولا تعفى الشيوعية السوفيتية من مسؤوليتها عن تثبيت هذه الصورة النمطية في الذهنية الدينية عموماً والإسلامية على وجه الخصوص نتيجة ممارساتها العدوانية تجاه الأديان، كما لا تعفى الدولة الوطنية المستبدة من تثبيت الصورة ذاتها ولكن ضد الحرية والديمقراطية والعَلْمانية بدعمها اللامحدود للأديان.

لقد انتصرت الليبرالية الغربية في معركتها الحضارية مع الشيوعية السوفيتية، وسر نجاحها يكمن في اعتمادها على المنهج العلمي المستند إلى جدلية التطور التي تتيحها ديمقراطيتها وتؤمنها ديناميأتها في التغيير رغم عدم ماركسيتها، ولكنه فضل ليس من عند الله بل من عند الفلسفة الألمانية (من جدل هيجل وحتى جدل ماركس) لا ينكره التراث الفكري الإنساني، هذا عدا عن تجنبها السقوط في أسر دغمات نظرية تجاوزها الزمن. بهذا الانتصار لم يعد ثمة خطر شيوعي، فتوجهت أنظار الاستراتيجيين الغربيين إلى خطر الإسلام السياسي، القاعدة وتفرعاتها من باب الإرهاب، والإسلام الديني من باب الرهاب (إسلاموفوبيا). وفي الحالتين الهدف هوصناعة عدوحتى لوكان من لدن صديق لإبقاء المنطقة تدور في دوامة الخيارات غير المحسومة، ويبقى ارتباطها عضوياً بالمصالح الغربية سواء الاقتصادية (نفط ـ سوق ـ عقول ـ تكنولوجيا..) أوالجيوسياسية (موقع ـ إسرائيل ـ تسليح ـ تحالف..). والإرهاب والرهاب الإسلاميان أداتان نافذتان تستخدمهما الليبرالية الغربية لإعاقة شعوب الفالق الإسلامي من دخول نادي الليبرالية، بعد إغلاق نادي الشيوعية، تحرمها إمكانية التفاوض معها على المصالح بندية. وفي الوقت ذاته تؤدي شيطنة

الإسلامويين إلى خيبة أملهم في قيام حاكمية الشريعة كما يتصورونها كنهاية لتاريخ أمتهم الإسلامية.

لقد أصبح من شبه الثابت استخدام الإرهاب غير المعرف دولياً لتعطيل أية ديناميات للتغيير في دول الفالق الإسلامي سواء من قبل الليبرالية الغربية لتخوفها من أي تغيير على مصالحها أومن قبل الاستبداد الشرقي الذي يُؤْثر التعايش مع مصالح دولية متضاربة على حساب مصالح شعوبه. وكما انساقت الأنظمة الصديقة للشيوعية السوفيتية في الحرب الباردة ضد الخطر الشيوعي تنساق الأنظمة الصديقة لليبرالية الغربية في الحرب الساخنة ضد الليبرالية في دول الفالق الإسلامي. وبين الإرهاب كفعل فردوي أوجماعوي أودولوي، والرهاب من ردة فعل الشعوب الطامحة للتغيير الديمقراطي تفقد الليبرالية الغربية وهجها في منطقة الفالق الإسلامي كما فقدته الشيوعية قبلها، ولربما يبلغ الوضع منعرجاً قد ينذر في المستقبل بارتدادات جيواجتماعية بلبوس دينية وعرقية على طول الفالق ما لم يحدث تغيير جوهري في الوعي الجمعي لليبرالية الغربية بعلاقتها مع الإسلام وشعوب المنطقة ليس من باب قصة الإرهاب السمجة ولا من باب الشعبوفوبيا التي تتناقض كلية مع جوهر الليبرالية، إنما من باب حق هذه الشعوب التنعم بالحرية، السياسية والاقتصادية، وبالعدالة الاجتماعية، وبالكرامة الإنسانية، التي تنعم بهما شعوب الليبرالية الغربية بجناحيها الأطلسي والآسيوي. ومن جهة أخرى لا تستطيع شعوب المنطقة حسم خياراتها التي تراعي خصوصياتها إلا في بيئة ليبرالية وتشاركية ليس فيها إقصاء أوإلغاء، أوالعيش في الماضي.

إن الليبرالية الغربية، بتنوعها وديناميأتها، هي الوحيدة القادرة على فرض أوتسهيل تغيير جوهري في منظومة الاستبداد الشرقي وإلا فإن الإرهاب والرهاب الإسلاميين اللذين تغذيهما سيطعنانها بالظهر في عقر دارها الأطلسي والآسيوي. وفي الوقت ذاته مدعوة إلى ترك أبواب التاريخ مشرعة كي يتوزع من خلالها النور في جميع الاتجاهات الزمكانية كي تتمكن شعوب منطقة الفالق الإسلامي الهش من إيجاد أملها المفقود في الحياة[6].

المبحث الرابع: الدولة والاقتصاد صنوا الحداثة

تعرف الدولة بأنها " شعب وسلطة وأرض ". وأعتقد أنه من المفيد، منهجياً واصطلاحياً، إضافة ركن رابع إلى الدولة لا يقل أهمية عن أركانها الثلاث في التعريف، وهوالاقتصاد. فكلاهما، الدولة والاقتصاد، خطان متوازيان يلتقيان، في عصر العولمة والثورة المعرفية ـ التكنولوجية، في فضاء الحداثة، ولهما جذر تسارعي واحد في ديناميات التغيير والتطوير. وفي الوقت ذاته هما منتجان أساسيان لروافع ارتقاء الشعب والسلطة على درجات الحضارة، وسياجان قويان لصون الأرض ووحدتها. وفي سياق الجدل البنائي للدولة والاقتصاد، فإن الاقتصاد هوأس الدولة، وأن الدولة هي عامود الاقتصاد. فلا دولة بدون اقتصاد ولا اقتصاد بلا دولة.

إن الدولة، أية دولة، بحاجة إلى اقتصاد يقوم باستغلال مواردها الاقتصادية (أرض وعمل ورأسمال وتنظيم) من أجل إشباع حاجاتها المتزايدة من السلع (الاستهلاكية والإنتاجية) والخدمات

[6] راجع: مهيب صالحة، الإرهاب والشعبوفوبيا. تاريخ بلا نهاية ـ شبكة جيرون الإعلامية، ٢ نيسان / أبريل ٢٠١٨.
https://geiroon.net/archives/114962

بكافة أنواعها. والدولة البدائية هي تلك الدولة التي تستغل مواردها بأبشع صورة وبأقل كفاءة (كفاءة فنية وكفاءة اقتصادية) ولا يكون الاقتصاد أسها ولا هي عاموده، وتتعطل بالتالي جدلية الدولة والاقتصاد البنائية في عملية التغيير والارتقاء. وتصبح الدولة ذاتها قوة ضغط تسحق ذاتها، وتتغول السلطة، التي تتماهى إلى حد الطباق مع الدولة، على كل من الشعب والأرض والاقتصاد. ويصير، عندئذٍ، تماهي سلطة أمنية مع دولة استبدادية أبشع صور حد الطباق، وأكثرها تعبيراً عن بدائية الدولة وهشاشتها واهترائها.

وكما لاحظنا كيف تنفتح الدولة الحديثة على الداخل وعلى الخارج، فإن اقتصادات الدول الحديثة أيضاً صارت أكثر انفتاحاً وتبادلية على دواخلها وعلى خوارجها، بما تمتلكه من دينامية وكفاءة وتنوع وتنافسية وابتكار وقوة جذب للاستثمارات وللعقول وقابلية التجدد والتغيير. فالاقتصادات الحديثة تتميز اليوم بهويات واضحة صلبة، وتتسم بالمرونة العالية والقدرة على التكيف مع المتغيرات السوقية والإنتاجية والتكنولوجية، وتمتلك كل مقومات استيعاب نتائج الثورة المعرفية ـ التكنولوجية، والمساهمة الحثيثة فيها. بينما الاقتصادات الهشة فهوياتها رخوة رجراجة، وتعتمد على ريعية متغيرة، من مواردها الطبيعية أومن مواردها الخدماتية، لا تتحكم فيها إنتاجاً وتسويقاً وعائدية لأنها لا تقوم على قاعدة صناعية ـ معرفية وطنية. وبسبب هشاشتها، بدائيتها، تعاند الثورة المعرفية ـ التكنولوجية، وترفض فكرة الحداثة في الاقتصاد كما في الدولة، وتضع العراقيل في طريقها. مع أنها في الظاهر، كلها، أوبعضها، تخدع مجتمعاتها بإجراء خطوات حداثوية لكنها في قشرة العلاقات الاقتصادية ـ الاجتماعية، ونظم الاقتصاد وروافعه، وليس في جواهرها، فتبدواقتصادات صلبة في الظاهر ولها هوياتها ولكنها في الواقع اقتصادات فيزيوقراطية شديدة الرخاوة وبلا هويات واضحة.

إن عمر هذه الاقتصادات من عمر استقلال دولها، الذي لا يتعدى وسطياً نصف قرن. أما دولة الخلافة الداعشية واقتصادها فعمرهما، من ولادتها حتى موتها، لا يتجاوز خمس سنوات، وهي أشد هشاشة ورخاوة لأنها تأسست على مفاهيم خرافية وقيم متخلفة عصية في أساسها عن الحداثة. إن عدم قيام دول حديثة باقتصادات حديثة في الفالق الإسلامي يعود إلى ذلك الحد الطباقي الذي تتماهى فيه سلطة أمنية مع دولة استبدادية تتغول على أركان الدولة الأخرى، في حين دول أخرى استقلت معها أوبعدها كالصين والهند وأستراليا وكوريا الجنوبية وسنغافورا وماليزيا وفيتنام ودول أوروبا الشرقية والبرازيل والأرجنتين. طورت حداثتها بنفسها، وبإرادتها الحرة، وبمستويات مختلفة، وبوسائل متعددة ومتنوعة، مكنتها من اللحاق أومواكبة الدول السباقة في الحداثة. ودولة مثل الصين تمكنت خلال فترة قصيرة نسبياً من أن تمتلك اقتصاداً هوالثاني بعد اقتصاد الولايات المتحدة الأمريكية، وتشير جميع التوقعات إلى أنه قد يحتل المرتبة الأولى مع منتصف القرن الحالي. وبالبحث عن سر تحول اقتصادات هذه الدول من البدائية إلى الحداثة لا يستغرب المرء توحدها على تقديم مواردها البشرية (رأس المال البشري والمعرفي) باعتبارها العامل الأساس في النموالاقتصادي وفي حداثة الاقتصاد والدولة. وهذا العامل أخر ما تفكر فيه دول الفالق الإسلامي الهش، بل تعمل كل ما بوسعها لتخريبه بمنظومات الجهل والتخلف والاستبداد، أوتطفيشه إلى الدول والاقتصادات الحديثة، أودفنه في مدافن تتفنن في بنائها لدفن كل إنجازات الحضارة والرقي

والجمال. أما دولة الخلافة فكل مواردها البشرية معطلة بالجهاد، رجالها مشاريع انتحارية طمعاً بحوريات الجنة، ونساؤها حورياتهم على الأرض.

المبحث الخامس: اقتصاد دولة الخلافة الرخو

من لا يتذكر كيف مارس الإعلام الغربي وبجريرته الإعلام العربي، في وقت لم تكن وسائل التواصل الاجتماعي قد انتشرت، الخديعة والتضليل بشيطنة العراق ورئيسه صدام حسين وجيشه واقتصاده وقدراته؟؟ وقتها حتى الإعلام والبرابغندا العراقية انساقت في اللعبة دون أن تدرك عواقبها، التي انتهت بدمار العراق واحتلاله، وإعادة دولته واقتصاده إلى ما قبل البدائية. الشيء ذاته تكرر مع تنظيم داعش ودولته واقتصاده وزعيمه البغدادي وغلمانه وكل تفاهاته. دولة على مساحة تزيد عن مساحة بريطانيا (الإمبراطورية التي كانت لا تغيب عنها الشمس)، وتستحوذ على معظم الثروة النفطية للعراق وسورية، ومعظم أراضيهما الصالحة للزراعة، وتستولي على مئات ملايين الدولارات من البنك المركزي في الموصل وعشرات الأطنان من الذهب، وتبيع آثار كل الحضارات التي مرت على بلاد الشام وبلاد ما بين النهرين في سوق الآثار الدولية، ويؤسس بنك إسلامي وله تعاملات محلية ودولية، ويصك عملة معدنية على قاعدة المسكوكات الذهبية وليس على قاعدة الذهب، وكلاهما لم يعد موجوداً ولا مستحباً في النظم النقدية. وجيش عرمرم يجري استعراضات بأحدث الأسلحة والناقلات والعربات، ويمارس أبشع أنواع القتل والسبي والتعذيب والترهيب... ويكرر التنظيم ذات الانسياق الرخيص والغبي لعملية التضليل والخداع بمجاراته الإعلام الغربي من خلال إعلامه المتخلف والتافه (وكالة أعماق) ومواقعه على الإنترنت، وعشرات المحطات الفضائية والمواقع الإلكترونية الدينية التي تبث السموم وتجتر الكذب والتضخيم والتهريج...

إن منهج هذا البحث يملي على الباحث عدم أخذ الوقائع والأرقام الخاصة باقتصاد دولة الخلافة الهشة على أنها حقائق، بل مشكوك في مصداقيتها ومدلولاتها ـ لأن ما يبنى على باطل هوباطل ـ إلى أن يثبت العكس بالبرهان وبالدليل القاطع.

يخطئ من يظن أن الاقتصاد هومجرد مال أوسلع أونقود.. إنه قبل وبعد كل شيء هومنظومة علاقات إنسانية، وكلما زاد تشيؤه كلما ابتعد عن جوهره الإنساني. فقد يكون الاقتصاد كثير المال والسلع والنقود لكنه لا يخدم الإنسان إنما يستهدف أغراض أخرى أبعد ما تكون عن الإنسانية. وهذا فعلاً ما تقع في براثنه الاقتصادات الرخوة في الدول الهشة. إن اقتصاد دولة الخلافة الداعشية ربما امتلك في بعض الأحايين مالاً كثيراً مما اغتنمه في حروبه القذرة أوسرقه من بيوت ومؤسسات ومن خيرات طبيعية، أوباعه من آثار، أوفرضه من ضرائب وزكوات وإتاوات.. وربما تحصل على نقود كثيرة بمختلف العملات من بيع النفط والآثار وسرقة بنوك وتبرعات وتجارة بالبشر، وتحصل على سلع وخدمات من هنا وهناك مقابل نقوده أولأغراض سياسية... لكنه لم يؤسس لمنظومة علاقات اقتصادية ـ اجتماعية لأنه وجد أساساً من ضمن حاجات دويلة عصبوية هشة ويقوم على السلب والنهب وغنائم الحرب والإرهاب.

من هذا المنطلق نتحفظ على مصطلحي " دولة " و" اقتصاد " على ما أنجزه تنظيم داعش الإرهابي سواء في التنظيم السياسي أوالاقتصادي، وكلاهما لا يرتقيان إلى جوهر مفهوم الدولة والاقتصاد. وإن استعملا ههنا فإنما لضرورات البحث من أجل البرهان على صحة الشك فيهما. وفي الوقت ذاته لا نجد مندوحة من أن نبحث في أهم المؤشرات والمعطيات الاقتصادية لدولة داعش المزعومة للتعرف على مدى قوة اقتصادها في ذروة حياتها، وتدهوره التدريجي مع سيرورة تراجعها وهلاكها. والبحث أيضاً في تداعيات كل ذلك على المناطق التي كانت تحت سيطرتها، وعلى الدول التي قضمت منها أراضيها، والدول التي ينتشر فيها شتات التنظيم الداعشي بعد زوال دولته شديدة الهشاشة ومعها اقتصادها الرخو.

المبحث السادس: مصادر الدخل الرئيسة لدولة الخلافة الإسلامية

تتنوع مصادر دخل دولة الخلافة الداعشية بسبب سيطرتها على رقعة واسعة ومهمة اقتصادياً من العراق وسورية، وفيها كثافة سكانية وعمرانية كبيرة وتنوع مواردها الطبيعية والتاريخية بالإضافة إلى خصوبة أراضيها الزراعية وتنوع مواردها المائية.. وأهم هذه المصادر:

ـ عائدات سيطرة داعش على الأراضي: البنوك، النفط والغاز والكهرباء، الزراعة، الضرائب، الابتزاز وسرقة الأصول المادية، تجارة الآثار.

ـ الخطف وتجارة البشر مقابل فدى مالية باهظة.

ـ تجارة المخدرات.

ـ التبرعات.

أشارت مؤسسة راند عام ٢٠١٤ إن ميزانية تنظيم داعش في الفترة من ٢٠٠٥ حتى ٢٠١٠ لم تتجاوز ٥% من التبرعات وخاصة الأجنبية، أما باقي الميزانية فهي من داخل التنظيم. وترسل الخلايا النائمة ما يصل إلى ٢٠% من الميزانية من خلال عمليات الاختطاف والابتزاز وغيرها من الأنشطة. كما حصلت المخابرات العراقية في منتصف عام ٢٠١٤ على معلومات من داعش بينت أن لديها أصول بقيمة ملياري دولار منها ٤٢٩ مليون دولار نهبت من البنك المركزي والباقي عملات أجنبية وعراقية وسبائك ذهب سرقت أيضاً من بنوك أخرى في الموصل[7].

والسؤال الذي يطرح نفسه: طالما المخابرات العراقية قادرة على الوصول إلى هذه المعلومات فلِمَ لم تمنع داعش من السيطرة على ثاني أكبر مدينة في العراق، عاصمة الشمال الموصل؟ ولِمَ لم تنبه الحكومة العراقية بمخاطر هجوم داعش على الموصل من أجل إخلاء أصول الدولة من البنوك والمؤسسات؟. في تقديرنا، أن الغرض الرئيس من مزاعم الحكومة العراقية ومجاراتها من قبل تنظيم داعش هوتضخيم قوة داعش، وتأمينها للسيطرة على المناطق السنية، التي كانت تعيش حالة غليان تنذر بالانفجار في وجه حكومة تتحكم فيها الأحزاب الشيعية التابعة لإيران. والسيناريونفسه

[7] تمويل تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) https://ar.m.wikipedia.org/wiki

تكرر في مدينة الرقة وتدمر السوريتين. وبذلك تكون داعش قد أطبقت سيطرتها على المناطق السنية ذات الكثافة السكانية العالية في كل من العراق وسورية، وقبرت الربيع العربي فيها.

ـ عائدات النفط

وفي عام ٢٠١٤ كانت معظم أموال تنظيم داعش تأتي من إنتاج وبيع الطاقة؛ خاصة وإنه سيطر على حوالي ٣٠٠ بئر نفط في العراق وحده، ثم سيطر في وقت لاحق على ٣٥٠ بئراً لكنه خسرمنها ٤٥ بئراً جراء الضربات الجوية الأجنبية. سيطر التنظيم أيضا على ٦٠% من إنتاج النفط السوري في منطقة الجزيرة. وتشير التقديرات إلى أن مبيعات داعش من النفط الخام يومياً بلغت حوالي ثلاثة ملايين دولار عبر السوق السوداء إلى تركيا ثم يصدر قسم منها عبر تركيا إلى دول أخرى، وأيضاً إلى الحكومة السورية.

كما تُؤكد الكثير من المصادر أن تنظيم داعش بسيطرته على محطات توليد الكهرباء في الشمال السوري كان يحصل على أموال كثيرة لقاء بيعه الطاقة الكهربائية للحكومة السورية[8].

من الواضح أن أحد أهداف تسهيل توسع داعش هوسيطرته على أكثر ما يمكن من الثروة النفطية في العراق وسورية لحرمان الشعوب من استغلالها في ثورتها ضد الأنظمة، ولكن على الرغم من سيطرة داعش فعلياً على كميات كبيرة من احتياطات النفط والغاز والطاقة ومرافقها الإنتاجية إلا أنها تفتقر إلى الموارد والقدرات البشرية التشغيلية والتقانية، مما يمنعها من الاستفادة من هذه المصادر بشكل فعال من غير مساعدة الحكومات المعنية والمجاورة، تركيا وإيران، والجزء الذي كانت تستثمره داعش كان يتم بطرق بدائية (حراقات مصنوعة محلياً) وهي ملوثة للبيئة وإنتاجيتها من المشتقات محدودة للغاية. لذلك فإن المبالغة في حجم تمويلات دولة الخلافة من الطاقة هوأيضاً يأتي في سياق تضخيم قوة اقتصادها أمام الرأي العام لتبرير ما سيلحق من دمار للمنشآت النفطية والتجمعات السكانية الواقعة تحت هيمنة داعش عند تحريرها.

ـ بيع التحف

تُعد مبيعات القطع الأثرية ثاني أكبر مصدر تمويل لداعش، خاصة وأن ثلث العراق كان قد خضع لسيطرة التنظيم مما مكنه من نهب قطع أثرية تعود للقرن التاسع قبل الميلاد في القصر الكبير للملك الآشوري أشور ناصر بال الثاني في كالح. كما نهب عناصر التنظيم مجموعة من المخطوطات بيعت بمئات الملايين من الدولارات[9]. بالإضافة إلى بيع آثار سورية من محافظة الرقة تعود إلى العهد العباسي. كما قام تنظيم داعش بتدمير قسم من الآثار المدرجة على لائحة التراث العالمي لليونيسكوفي مدينة تدمر الأثرية، وبيع قسم آخر من آثارها. وغالباً ما كان يتم تهريب القطع الأثرية المسروقة إلى تركيا والأردن. ومن السذاجة بمكان تصديق أن بيع آثار العراق وسورية في السوق السوداء يمكن أن يتم دون معرفة حكومات البلدين وحكومات دول العبور ودول السوق. والمبالغة بحجم التمويلات الآتية من بيع الآثار هي أيضاً في سياق التضخيم والتأثير على الرأي العام شديد

[8] تمويل تنظيم الدولة الإسلامية (داعش)، المرجع السابق.
[9] تمويل تنظيم الدولة الإسلامية (داعش)، المرجع السابق.

الحساسية تجاه التراث الإنساني، ولاسيما أن المناطق التي تسيطر عليها داعش من أهم المناطق الأثرية والتاريخية في العالم، وتحريرها من قبضة داعش سيلحق بها الدمار بلا أدنى شك.

ـ الضرائب والابتزاز

قام التنظيم بفرض ضريبة الجزية على المسيحيين والأجانب. كما أصدر ضريبة الخمس على الأصول التي " يغتنمها" مقاتلوه في الحرب، وضرائب على الممتلكات، وضرائب زكاة، على المهن المرافقة للجهاد تصل إلى ٢،٥% من إجمالي الأصول. كما وضع تعريفات جمركية على الواردات والصادرات داخل كل الأراضي التي يسيطر عليها، بالإضافة عمليات الابتزاز من خلال مطالبة سائقي الشاحنات والحافلات بالمال أوالتهديد بتفجيرها. وتجدر الإشارة إلى أن الكثير من المصادر ادعت أن الحكومتين العراقية والسورية كانتا تُمولان داعش بشكل غير مباشر من خلال دفع رواتب موظفيهما في المناطق التي تسيطر عليها[10].

ـ تجارة المخدرات

إن «داعش» أعتمد منذ البداية على تجارة المخدرات، لتمويل عملياته. فقد ذكرت صحيفة "الديلي ميل" البريطانية، أن داعش كان يقوم بزراعة "الحشيش" في ريف الرقة شمالي سوريا، ومن ثم بيعه، للحصول على عائدات كبيرة. كما ذكرت الوكالة الفيدرالية الروسية لمكافحة المخدرات، إن تجارة المخدرات تدر على التنظيم عائدات كبيرة للغاية، إلى حد أن "داعش" يقوم بتغذية الأسواق الأوروبية بنصف وارداتها من الهيروين، وقدرت الوكالة عائدات داعش من تجارة المخدرات بحوالي مليار دولار سنوياً[11].

مما لا شك فيه أن مختلف الجماعات الإسلامية، السنية والشيعية، تعتمد على تمويل عملياتها من عائدات تجارة المخدرات وزراعتها. فطالبان والقاعدة تعتمد على هذا المصدر، وكذلك حزب الله اللبناني وغيرها، ولكن أيضاً لا تجوز المبالغة في حجم العائدات التي حصلت عليها داعش من تجارة وزراعة المخدرات لأن حدود دولة خلافتها مضبوطة من جميع الاتجاهات من العراق وسورية، ومن الدول المجاورة تركيا وإيران والسعودية والأردن ولبنان، إلا إذا كان ثمة تواطؤ بين حكومات هذه الدول ودولة الخلافة الداعشية؟؟!!

وعموماً فإن تقديرات الوكالة الفيدرالية الروسية لمكافحة المخدرات مبالغ بها وتحمل تهديداً سياسياً مبطناً لأوروبا يأتي في سياق الخلاف السياسي بين روسيا والاتحاد الأوروبي في ملفات الشرق الأوسط وأوكرانيا والدرع الصاروخي والعقوبات الاقتصادية وغيرها من الملفات.

ـ الزراعة:

[10] تمويل تنظيم الدولة الإسلامية (داعش)، المرجع السابق.

[11] داعش اعتمد على تجارة المخدرات لتمويل عملياته / الإثنين ٥ آذار / مارس ٢٠١٨.
https://www.albawabhnews.com/2975910

تُنتج المساحة الزراعية بين دجلة والفرات نصف محصول القمح السنوي في سوريا وثلثه في العراق. وتُقدر قيمة الناتج الزراعي من تلك المنطقة بحوالي مائتي مليون دولار. يسيطر تنظيم داعش على نحوثلث إنتاج العراق من القمح[12]. كما تمكن التنظيم من التحكم بمخزون كبير من القمح بسيطرته على صوامع عين عيسى والبوعاصي في الريف السوري الشمالي قبل تحرير قوات سورية الديمقراطية (قسد) لها، يقدر بنحو٦٠٠ ألف طن. وكان التنظيم يبيع كميات محدودة من القمح السوري لمناطق الحكومة السورية وكذلك لمناطق سيطرته في العراق بالإضافة إلى أنواع أخرى من المنتجات الزراعية، ناهيك عن فرض الضرائب على المزارعين مقابل الإنتاج[13].

ـ سك عملة خاصة

قام التنظيم في عام ٢٠١٦ بسك عملات جديدة لتكون العملة الرسمية لدولة الخلافة، وهي عملات معدنية من ثلاث فئات وهي الدينار الذهبي والدرهم الفضي والفلس النحاسي ويزن الدينار الذهبي الواحد ٤،٢٥ غراماً من الذهب وبسعر ١٩٢،٥ دولاراً، والخمسة دنانير بـ ٦٩٤ دولار، والدرهم الفضي يضاهي دولاراً واحداً، والعشرون فلس يقارب ١٣ سنتاً[14]. وتفيد الأنباء الواردة من تنظيم داعش أنه رصد ٥٠٠ مليون دولار من الذهب لسك عملته الجديدة، إضافة إلى ١٠٠ مليون دولار أخرى لمسكوكات الفضة والنحاس ونفقات تصنيع العملة وتغطية حاجة المناطق التي يحتلها[15].

ربما أراد تنظيم داعش من اختياره للمعادن الثمينة، الذهب والفضة، في سك عملته توجيه رسالة يؤكد من خلالها استقراره التنظيمي والاقتصادي، وأن عملته، على خلاف عملات دول المنطقة، ستحافظ على قيمتها من التضخم، وهذا بحد ذاته مؤشر يراد منه طمأنة سكان المناطق التي يحكمها. ولكن ما هي قدرة التنظيم الفعلية على إنشاء نظام نقدي خاص به يعتمد المعادن الثمينة؟ وكيف ستتم التعاملات اليومية بهذا النقد في السوق النظامية في الدول التي يتعامل معها، وفي السوق الموازية التي أوجدها للتعاملات غير النظامية، أوغير المشروعة وغير المنظورة؟ ربما قام التنظيم بسك العملة من المعادن الثمينة ولكن، بتقديرنا، بكميات محدودة الغرض منها الدعاية وكسب المناصرين، ولترك أثر ما يذكره به التاريخ.

ـ التبرعات الخارجية

يشاع أن دول الخليج العربي وخاصة قطر والسعودية كانت تقدم تبرعات لتنظيم داعش، لكن لا توجد أدلة دامغة حول ذلك، وبقيت مجرد إشاعات أوادعاءات غير مؤكدة. إلا أنه من المؤكد أن

---

[12] علي بكر، التداعيات المحتملة للتحالف الدولي على اقتصاد داعش ، مجلة السياسة الدولية ـ ٢٠ / ١ / ٢٠١٥ . http://www.siyassa.org.eg/News

[13] حمود الموسى ، كيف استفاد " داعش " من اقتصاد الرقة ـ خاص الرقة تذبح بصمت ـ ١١ تموز /يوليو ٢٠١٦ . https://www.raqqa-sl.com/?p=3255

[14] تمويل تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) https://ar.m.wikipedia.org/wiki

[15] مؤشرات اقتصادية خطيرة لإصدار مسكوكات تنظيم داعش ، صحيفة العرب ـ السبت ٢٧ / ٦/ ٢٠١٥ https://alarab.co.uk.

داعش استفادت من تبرعات ضخمة عن طريق منظمات غير ربحية في معظم الدول العربية والإسلامية ترسلها إلى أفراد من التنظيم بأسماء مستعارة يصعب تعقبها ومنعها.

وتجدر الإشارة إلى أن حروب داعش في حلب وريفها منذ آب ٢٠١٣ حتى آب ٢٠١٥ تزامنت مع قيام مجموعات متطرفة غير معروفة ومدربة بتفكيك آلاف المنشآت الصناعية من مختلف الأحجام والأنواع من مدينة حلب الصناعية، ثاني مدينة سورية وعاصمة الشمال السوري، وأخذها إلى تركيا على مسمع ونظر الحكومة التركية، التي كان يرأسها آنذاك رجب طيب أردوغان. ونظراً إلى تورط تركيا في دعم الجماعات الإرهابية، وخاصة داعش، والمجموعات الإسلامية المسلحة المعارضة لحكومة دمشق، فإنه من غير المستبعد، أن تكون تركيا هي من قامت بتنسيق عمليات نهب المنشآت السورية، وتركيبها في تركيا لتشكل مصدر تمويل لداعش وللجماعات الإرهابية، ومصدر فرص عمل لأفرادها أوللتابعين إليها.

وهذا المصدر من جهة يساعد هذه الجماعات اقتصادياً، وخاصة في مراحل سيطرتها الأولى وهي بأمس الحاجة للتمويل ومن جهة أخرى حرم الاقتصاد السوري، وخاصة القطاع الخاص، وبالتالي الشعب السوري من أهم منشآته الاقتصادية. ومن جهة ثالثة أعفى الحكومة التركية، التي تدعي أنها تدعم الشعب السوري بالمال والمساعدات والعمل، من تحميل ميزانياتها هذه الأعباء، وفي الوقت ذاته تغش العالم، وخاصة أوروبا، وتورطها بدفع مليارات الدولارات لها على سبيل المساهمة في أعباء اللاجئين السوريين التي تتحملها تركيا.

لم تنشئ دولة الخلافة الموهومة مؤسسات اقتصادية، باستثناء مصرف إسلامي، لقبول الودائع ومنح القروض الاجتماعية الصغيرة كقروض الزواج وشراء سيارة وأثاث... ولتلافي انتشار العملة الورقية التالفة، واحتواء أكبر كمية من العملات الصغيرة، فضلاً عن مواجهة انتشار ظاهرة السرقة التي صار سكان مناطقها يتذمرون منها. كما أصدر بطاقات تموينية في العراق عوضاً عن بطاقات الحكومة، تحمل شعارها، ولكنها أوكلت للتجار مهمة توزيع المواد التموينية للأسر مقابل ثلاثة آلاف دينار (٢،٦ دولار)[16].

فضلاً عن ذلك لم تتمكن داعش من تثبيت منظومة علاقات اقتصادية ـ اجتماعية، باستثناء اعتمادها الشريعة الإسلامية في بعض المسائل الاقتصادية مثلها مثل دول المنطقة، وإنما بقيت منظومة علاقاتها الاقتصادية ـ الاجتماعية تقوم على السلب والنهب والهيمنة والإرهاب.. وهكذا علاقات يستحيل أن تبني اقتصاداً يقدر على البقاء كحد أدنى أوالتشبه باقتصادات المنطقة على الأقل، واستيعاب منجزات الحداثة كحد أعلى، أوحد طبيعي. وكل مصادر التمويل السابقة لم تكن موجهة لبناء دولة حقيقية واقتصاد حقيقي، بل لتغطية عمليات التنظيم الإرهابية وتمويل حروبه القذرة التي أخذت المنطقة إلى المكان الأسوأ عوضاً عن المكان الأفضل الذي توخته صحوة شعوبها في الربيع العربي، الذي لم يزهر بعد.

[16] عبدالعزيز الطائي، أول مصرف لداعش يهدد الاقتصاد العراقي – العربي الجديد 1 / كانون أول / يناير 2015

المبحث السابع: التداعيات الاقتصادية لدولة الخلافة وزوالها

لاشك في أن قيام " دولة " داعش الدينية الهشة على أنقاض بعث قومي في دولتين عربيتين مهمتين، العراق وسورية، تتجاوران مع دول عربية مهمة لا تتفق مع بعثهما القومي، دول الخليج العربي والأردن ولبنان، ومع ثلاثة دول إقليمية مهمة، إسرائيل وتركيا وإيران، لدى كل منها مشروعه القومي، بغض النظر عن مرتكزاته وأهدافه، فهي ذونزعة عدوانية على أساس الهيمنة أوتقاسم النفوذ على / في منطقة الشرق الأوسط، وتتكئ على خرافة تاريخية خاصة بها. ومع غياب أي مشروع عربي، وطني أوقومي، ذي نزعة حداثوية ـ نهضوية، يحد من نزعة هذه الدول، أتت دولة الخلافة الداعشية الهشة التي لا تشبهها بشيء إلا بخرافتها الماضوية القائمة على أوهام دينية، والجدير بالذكر أن كل دول المنطقة تعاملت معها، اقتصادياً، بشكل أوبآخر سواء بالاتفاق معها من تحت الطاولة، أوتيسير ممرات لها للتجارة غير المشروعة وللتجارة غير المنظورة.

عندئذٍ من الطبيعي جداً أن يترك زوال دولة الخلافة تداعيات اقتصادية على المنطقة كلها، ولكن بدرجات متفاوتة. فإسرائيل تعاملت مع جيش اليرموك التابع لتنظيم داعش على حدودها مع هضبة الجولان المحتلة، ولكن توقف ذلك مع نقل منتسبيه إلى البادية السورية باتفاق رعته روسيا. وتركيا تعاملت مع داعش، وكانت حدودها مع دولة الخلافة في المناطق السورية التي تسيطر عليها مفتوحة أمام البضائع والأشخاص والخدمات والسلاح والمجندين والمرتزقة وعملاء أجهزة مخابرات الدول. ومستوى تعامل إيران مع داعش في العراق وفي شمال غرب سورية والقلمون وريف دمشق الجنوبي لا يقل عن مستوى تعامل تركيا. ودول الخليج والأردن ولبنان لم تكن خطوطها مغلقة مع داعش فقد وفرت لها ممرات آمنة لنقل الأموال والأشخاص والمسروقات والمهربات. والحكومتان العراقية والسورية لم تتوانا للحظة عن التعامل اقتصادياً مع دولة البغدادي وخاصة في مجال توريدات النفط والطاقة والحبوب. أن كل دول المنطقة كانت تعزف على وتر إسقاط فكرة المشروع الوطني الديمقراطي، المحمول على صحوة شعبية عارمة انطلقت من تونس الخضراء وكادت تعم كل المنطقة العربية، بنقيضه فكرة الخلافة الساقطة حتماً.

بعيد انهيار دولة الخلافة، وتشتت عناصر تنظيم داعش، لا حديث في العالم إلا عن اقتصاد داعش. وأين ذهبت أموال الدولة الإسلامية؟ وما هي التداعيات الاقتصادية لزوال دولة الخلافة على دول المنطقة، وسكان المناطق التي كانت تسيطر عليها؟؟

لا شك أن قيام دولة داعش المزعومة، وتباطؤ المجتمع الدولي في القضاء عليها، وتواطؤ حكومات ومؤسسات ومنظمات من دول المنطقة، ومن خارجها، قد خلقت سوقاً موازية وشبكة واسعة من الوسطاء والوكلاء التجاريين. وزوال دولة داعش لا يعني زوال هذه السوق. بل إن حاجتها الاقتصادية لما تبقى من داعش، ولجماعات إرهابية وجماعات مصالح أخرى، سوف تستمر لفترة طويلة، وربما تبقى السوق تتغذى من بعض الدول ريثما تحقق مصالحها أوتستقر أوضاع المنطقة بالكامل.

صحيح فقدت داعش سيطرتها على الأرض، وفقدت معها أهم مصادر دخلها، لكن تفكيك نموذجها الاقتصادي هوالدور الأصعب الذي يتطلب القيام به تعاون جميع دول المنطقة والمجتمع الدولي.

ومما لا شك فيه أن تنظيم داعش الذي اكتسب خبرة طويلة، كدولة معلنة لها أرض وشعب وسلطة واقتصاد، وكتنظيم سري يعمل تحت الأرض، لن يستسلم بالسهولة التي يتوقعها البعض، وهذه طبيعة الجماعات المتطرفة، لكنه سوف يغير تكتيكاته ويعود للعمل السري، وستكون السوق الموازية وشبكة الوسطاء والوكلاء سنده الأساس في البقاء والحركة.

لم يزل التمويل هوأساس اقتصاد داعش، ولتأمين موارد مالية سيركز التنظيم، بعد انهيار دولته، على إيجاد كيانات مشروعة تدار من قبل أطراف إما مدفوعة بالتربح المالي أوممن انتسبوا للتنظيم إبان دولته وغير معروفين. وهؤلاء سيكونون من ذوي المصالح بغض النظر عن جميع انتماءاتهم الدينية والعشائرية والسياسية، واختلاف جنسياتهم. ووفقاً لمصادر مطلعة وموثوقة، فإن تنظيم داعش يستخدم الوسطاء لغسل احتياطاته النقدية من خلال شراء مشروعات تجارية متنوعة في بغداد ومدن أخرى، ومن خلال شراء الدولار الأمريكي من السوق المحلية ومن المزايدات التي يجريها البنك المركزي العراقي لدعم استقرار سعر صرف دينارة[17].

ومن غير المستبعد أن يعتمد التنظيم على الوسائل ذاتها في سورية وفي مناطق الإدارة الذاتية على وجه الخصوص. إلى جانب توجهه إلى المناطق الساخنة التي لا يزال فيها ربط نزاع مع جماعات إسلامية متطرفة مثل ليبيا وشبه جزيرة سيناء وأفغانستان، والتي تشكل بيئة مواتية لنشاطاته الإرهابية.

ووفق مسؤول أمني عراقي كبير فإن الجزء الأكبر من أصول التنظيم تم تحويله إلى تركيا. وبعض هذه الأموال يحتفظ به نقداً من قبل أفراد في تركيا، بينما يتم استثمار جزء منها في الذهب، وهناك سابقة لأنقرة بأنها تغض الطرف عن نشاط المنظمات الإرهابية على أراضيها[18].

إن جميع المناطق التي حررت من قبضة داعش في سورية والعراق إما دمرت بالكامل أوصارت شبه مدمرة، وتتطلب عملية إعادة إعمارها، عدا عن الخسائر الكبيرة التي تحملها البلدان وسكان هذه المناطق، جهوداً كبيرة وأموالاً ضخمة، وإذا لم تكن عملية إعادة الإعمار شفافة وتشاركية ومنضبطة بين الحكومات والمجتمعات المحلية والقطاع الخاص والمانحين وشركات الإعمار الأجنبية، فإن داعش سوف يستفيد، من خلف الستارة، مما قد يشكل عمليات فساد كبيرة ومنظمة، وتحرم تلك المناطق من جزء كبير من موارد إعادة الإعمار، وتسهل عودة داعش إلى الواجهة من جديد.

من جهة ثانية فإن تنظيم داعش يحتفظ بسجلات دقيقة لنحوما يقرب من ٧ إلى ٨ ملايين شخص كانوا يعيشون تحت حكمه، وبإمكانه استخدامها لابتزاز العراقيين والسوريين[19]. وإعادة تنظيم صفوفه في المناطق التي تحررت من قبضته.

---

[17] علاء الدين آغا ، داعش واقتصاد الحرب الجديد ، مركز البديل للتخطيط والدراسات الاستراتيجية ـ ٢٨ حزيران / يونيو / ٢٠١٧.https://elbadil-pss.org

[18] اقتصاد داعش يتهاوى .. والرقة أولى نكساته ، ١٧ / ٢ / ٢٠١٦ .-https://arabic.rt.com/news/811503

[19] اقتصاد داعش يتهاوى , المرجع السابق .

إن تخفيف واستيعاب تداعيات ظهور دولة الخلافة وزوالها على المنطقة يرتبط بطبيعة وجوهر الحلول السياسية لمشاكلها المعقدة والمركبة، ومدى تفهم المجتمع الدولي لحاجاتها للتنوير والحداثة في سيرورة تطورها، ومساعدته لها، لا شدها القهقرة إلى الخلف بدعمه لأنظمة الاستبداد السياسي والديني فيها، أوالاكتفاء بإبداء مشاعر القلق والحزن حيال مشكلاتها.

المبحث الثامن: التنوير والحداثة.. مخرج لابد منه

لقد عرت صحوة شعوب منطقة الفالق الإسلامي الهش والمحنة التي أنتجتها الثورة المضادة لهذه الشعوب خفايا المجتمع التقليدي وميوله الدينية، ومشاكله، وعجزه عن مواجهة أية تحديات تواجهه، ووقوعه لقمة سائغة للإرهاب والظلامية والتفكير الماضوي، وتغليب المنطق الخرافي في رؤية العالم والأمور والأشياء من حوله. كما عرت سوءات الدولة الاستبدادية وانحيازها وعدم قدرتها لعب دور الضامن الحيادي في النزاعات الداخلية، وعجزها عن تحديث مجتمعها ليواكب روح العصر. وفي الوقت ذاته فإن الصحوة والمحنة قد أظهرتا الحاجة الماسة إلى تنوير المجتمعات وعصرنتها، وتطوير العقل الجمعي واستعادة حيويته المفقودة لبناء وعي جمعي مختلف ومغاير.

إن بنية العقل العربي المنتجة للوعي لا تزال تعيش حالة من التناقض قديمة قدم القبيلة العربية، بين انغلاقها على ذاتها بحكم وعيها لذاتها فقط، وبين انفتاحها على الآخر بحكم الضرورة الملحة، أنتجت في الماضي- عندما غلّبت الانفتاح على الانغلاق انفتاحاً على الداخل والخارج- فلسفةً عريقة ساهمت في خلق وعي جمعي لمشكلات المجتمع العربي آنذاك، من حيث معرفتها بالمشكلات ومعالجتها، وقد أثمر هذا الوعي دينامية مجتمعية موحدة، في وقت كان العالم يعيش حالة من التقهقر والتشظي[20].

وتأتي أهمية التنوير والحداثة في هذه المنطقة من حاجتها للوحدة الوطنية في إطار تعددية لامركزية حداثوية علمانية ديمقراطية تضمن حق المواطنة لجميع أفرادها، والحرية والعدالة الاجتماعية والتقدم العلمي والتقاني والمعرفي، وتعزيز الوعي الوطني من حيث الانتماء والهوية.

ورسالة التنوير والحداثة هي:

أولاً: كحقل فكري معرفي في مواجهة الاستبداد السياسي والإرهاب والظلامية والامتثال للماضي والخضوع لتصوراته الرجعية في النظر إلى العالم، ومواجهة الجمود الفكري والأيديولوجي والتخلف المعرفي.

ثانياً: كحقل حداثوي للاشتباك مع تحديات التحرر والتقدم والتنمية المستدامة وفك الارتباط بالتبعية لإعادة الاعتبار لإعمال العقل الفلسفي في نشر الوعي عبر ثقافة التنوير والحداثة في مختلف جوانب الحياة.

[20] مهيب صالحة، تشظيات الوعي وأزمة النظام العربي، شبكة جيرون الإعلامية، ١٧/ أكتوبر /٢٠١٧. https://geiroon.net/archives/98398

ثالثاً: توفير البيئة المجتمعية المواتية من مؤسسات وحريات وحقوق وسيادة القانون لتغيير نمطية التفكير والسلوك السائدة، وصون الحريات والحقوق الإنسانية لإذكاء روح العلم والبحث العلمي والتجديد والإبداع في التفكير والتعبير وتقدم الجوانب المختلفة للمجتمع.

رابعاً: الحوار باعتباره الوسيلة الوحيدة للإجابة عن الأسئلة التي يطرحها المجتمع في سياق تطوره وتقدمه، وكيفية وضعه على سكة التنوير والحداثة باعتبارهما غاية ووسيلة في آن، من خلالهما، تعي مؤسسات إنتاج العقل الفلسفي دورها التاريخي في تمجيد العقل، في إذكاء جذوته لا إخمادها، ويصيران، التنوير والحداثة، حالة مجتمعية، تنبع من لدن المجتمع وتتغلغل في خصوصياته وتتفاعل معها ولا تكون حالة نخبوية تتعالى عليه وترطن بلغة غير لغته.

وأهم أهداف التنوير والحداثة، الفكرية والثقافية والفلسفية والعلمية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، هي:

١ ـ نشر فكر تنويري حداثوي يتسلح بأدوات التحليل والتركيب والنقد لتحرير الفكر والعقل الجمعي من الأوهام التي تكبله والتحرر من أية سلطة معرفية تعمل على كبح جماحه وتعطيله عن تحفيز الفكر وإثارة السؤال، انطلاقاً من أن النزعة العقلانية تجسد التقدم والتحرر الفكري والاجتماعي والاقتصادي والسياسي.

٢ ـ إثارة القضايا والمشكلات المتعلقة بالتقدم العلمي والتقاني واحتياجاته إيماناً بقدرة العقل البشري على التطور والتغيير والتقدم نحوالأفضل للسيطرة على قوى الطبيعة وتسخيرها لمصلحة المجتمع. وتعزيز السلوك الإنتاجي وتحفيز الاكتشاف والاختراع والإبداع والتميز.

٣ ـ القطع مع الماضي وعدم ترحيل مشاكله وقضاياه إلى الحاضر، والنظر إلى الحاضر والمستقبل نظرة علمية واقعية في تطبيق التحولات البنيوية والاجتماعية والفلسفية والثقافية والسياسية انطلاقاً من روح العصر وموجباتها.

٤ ـ ترسيخ الحريات الفردية والعامة وحقوق الإنسان العالمية في الاستخدام العلني للعقل الإنساني وفي جميع الأمور.

٥ ـ الإدارة السلمية للتغيير ونبذ العنف عبر تحالفات وطنية واسعة تهدف إلى إحلال مجتمع ديمقراطي أكثر حرية وعدالة.

٦ ـ الشعب هوالمصدر الوحيد لكل السلطات، وهوأيضاً المصدر الوحيد للتشريع في ظل دولة الحق والقانون.

٧ ـ تعزيز منظومة القيم الأخلاقية الإنسانية القائمة على حب الخير والتعاون والسلام والتسامح واحترام وقبول الآخر ونبذ أي شكل من أشكال التعصب والطائفية.

٨ ـ عودة الفلسفة من خلال جعل العقل المصدر الوحيد للمعرفة وليس المقدس سواء القديم منه أوالحديث، ووضع جميع الأشياء والأمور في مجال الشك وعلى محك العقل للكشف عن أسباب

نشوئها المنطقية وسيرورتها، وفك الارتباط بين الديني والسياسي، وأن تكون الفلسفة شعبوية لا نخبوية، عمومية لا أكاديمية فحسب.

٩ ـ الفرد هوالخلية الأساسية وهوشريك في بناء الوطن والدولة، حيث لا قداسة لسلطة سياسية أومقولات أوممارسات فكل ذلك يحتمل النقد والتغيير.

١٠ ـ وحدة الشعب وسيادة الدولة الوطنية على كامل ترابها الوطني من خلال الاعتراف بحقوق الأفراد والمكونات الأثنية والاجتماعية والثقافية والسياسية، في إطار دولة لامركزية ديمقراطية.

إن الأخطار الوجودية التي تحيق بوحدة الدولة الوطنية وبكل مكون من مكوناتها، من تقسيم وتفتيت وفتن داخلية وإرهاب، تستوجب الإسراع بالاتفاق السياسي بين مكوناتها عبر حوار وطني شفاف لإنتاج تفاهمات مشتركة لتطوير المجتمع وتحديث الدولة والاقتصاد. وفي الوقت ذاته فإن التنوير والحداثة وإن هما معنيتان بالشأن الوطني العام فلا يجب أن تهملا خصوصية كل بلد وكل منطقة أوكل مكون من حيث القضايا والمشكلات والحقوق التي تميزها / وتميزه.

إن قيام حركة / أوحركات تنوير وحداثة كجزء من حركة المجتمع وديناميّاته الفكرية والثقافية والسياسية والاقتصادية، من شأنه بناء شراكات وطنية حقيقية قادرة على تحقيق تطلعات الشعوب المشروعة في التقدم والتنمية المستدامة والارتقاء الحضاري، وتجاوز ما أصاب نسيجها الاجتماعي من تقرحات وانتهاكات وتهتكات بفعل ممارسات الاستبداد الشرقي بجناحيه السياسي والديني، والذي تجسد في أبشع صوره بدولة الخلافة الداعشية المزعومة.

الخاتمة

من سخريات الجدل أن تتوحد كل متناقضات العالم على أرض خلافة وهمية، تتجاوز مساحتها مساحة دولة لم تكن تغيب عنها الشمس حتى منتصف القرن العشرين، دونما أي صراع بينها، إنما تتفق كلها مع وضد هذه الخلافة. معها لأن لها وظيفة محددة، تخريب الصحوة الشعبية التي في غالبيتها سنية، وحرف مساراتها التي اتجهت في بدايتها الوجهة الوطنية الديموقراطية، عبر شعبوفوبيا تلاقت تحت ظلالها ليبرالية غربية (موجهة) في الخيارات مع استبداد شرقي (حر) في التصرفات!!! فصارت دولة البغدادي دينامو الثورة المضادة. وضدها حيث أريد لها أن تكون مجمع التطرف الإسلامي في العالم، فمن جهة يسهل التخلص من، ومن جهة أخرى يترسخ عالمياً مفهوم الإرهاب ـ الإسلاموفوبيا أكثر فأكثر. وفي المحصلة تُضْرَبُ الثورة الوطنية الديمقراطية المدنية السلمية بالثورة الإسلاموية الإرهابية، وتدمر أهم دولتين عربيتين في منطقة الشرق الأوسط، العراق وسورية، وتتحولان إلى دولتين فاشلتين تتقاسم النفوذ فيهما دول عظمى وإقليمية. وفي الوقت ذاته مشاغلة مصر وتونس، وترك ليبيا، في دوامة الإسلاموفوبيا، حديقة خلفية لدولة الخلافة الداعشية بدون حوريات.

في فترة قصيرة لم تتجاوز خمس سنوات، وهي تساوي عمر طفل لم يبدأ وعيه بالتشكل بعد، تولد دولة وتموت، وثمة من يريد أن نصدق أنها دولة قوية، لكن الشمس لاتزال تشرق وتغرب عليها، ذواقتصاد قوي تتجاوز قوته اقتصادات بعض دول المنطقة؟؟!!! فأي هراء هذا.. وأية كذبة تلك،

وقد أثبتنا بالأدلة القاطعة أن كل دول الفالق الإسلامي من أفغانستان شرقاً وحتى المملكة المغربية غرباً هي هشة ولا تملك أي مشروع نهضوي حداثوي لا الآن ولا في المستقبل، باستثناء إيران الشيعية وتركيا السنية اللتين يحمل مشروعهما بذرة موتهما المحتوم طالما لم تتحررا من قبضة الاستبداد الشرقي السياسي والديني ـ وإن بدرجتين مختلفتين لاختلاف نشأتهما وتطور البلدين ـ وأن كل اقتصادات هذه المنطقة رخوة بلا هويات واضحة وتستند إلى ريعية طبيعية وخدماتجية. ولن تكون دولة البغدادي واقتصادها، وهما يقومان على خرافات دينية أكل عليها الدهر وشرب، إلا أشد هشاشة ورخاوة، ووجودهما له وظيفة أداها في بلاد ما بين النهرين، وفي بعض المناطق غربها وشرقها.

وبكل تأكيد سوف نصدق أن بقايا دولة الخلافة ـ والدول اليوم لا تتبخر مهما كانت درجة غليانها ـ لها وظيفة لأن دور تنظيم داعش لم ينتهِ بعد طالما سخونة المنطقة كلها بدرجة الغليان، والعالم كله بشرقه وغربه يريد تبريدها كما يحلوله.

دولة خرافية، لا يؤمن شعبها بها، وأرضها كما تعطى لها تؤخذ منها، وسلطتها إرهابية، واقتصادها يقوم على النهب والسلب والجزية والزكوات والإتاوات والفدى المالية وتجارة الممنوعات.. ووجوه رجالها ونسائها غير معروفة إلا لضباط المخابرات من كل حدب وصوب. دولة كهذه وظيفتها مفضوحة ودورها مكشوف، لم تنشأ من فراغ، إنما هي وليدة الضياع الذي عمره من عمر المنطقة منذ أنْ قسَّم هارون الرشيد دولته بين ولديه، بين عرب وعجم، بين سنة وشيعة، ومنذ صار الخلفاء يحرقون كتب الفلسفة ويقطعون أوصال الفلاسفة والعلماء والمفكرين والإصلاحيين والتنويريين، ويقدمون كتب الشعوذة ورجال الدين والفاسدين عن سواهم.. وطالما المنطقة لا تتقبل التنوير والحداثة، فإن فكرة الخلافة الإسلامية باقية، وربما تعود عند كل منعطف تاريخي حقيقي لتلعب الدور نفسه كي تبقى المنطقة العربية ـ الإسلامية خارج التاريخ، ولكنها تجتر ماضٍ بلا نهاية.

الصراع الأمريكي الروسي في سوريا وتأثيراته على روج آفا

اعداد: مركز روج آفا للدراسات الاستراتيجية

بعد تفكك الإتحاد السوفييتي على يد الرئيس ميخائيل كورباتشوف في 26 ديسمبر عام 1991 تحولت العلاقة بين الولايات المتحدة وروسيا الإتحادية في عهد الرئيس الروسي السابق بوريس يلتسين الى ما يشبه التعاون الإستراتيجي حيث تم في شباط عام 1992 التوقيع على وثيقة التعاون بين البلدين، وساد الإعتقاد بانتهاء زمن الحرب الباردة بين االدولتين إلا أن التفاهم لم يستمر بما هو مرسوم له فمع إنتهاء عهد الرئيس يلتسن وتسلم الرئيس بوتين زمام السلطة في روسيا تغيرت المعادلة وأصبحت روسيا تبحث عن مواقع نفوذها السابقة، وعادت أجواء الحرب الباردة لتحكم العلاقة بين روسيا وامريكا من جديد خاصة مع وصول الرئيس ترامب إلى رأس الحكم في البيت الأبيض، ورغم وصف ترامب للرئيس بوتين بالزعيم القوي والثناء عليه في أكثر من مناسبة إلا أن العلاقات بين الطرفين لم تكن على الدوام على ما يرام خاصة بعد قمة هلسنكي في يوليو عام 2018 حيث فرضت موسكو نفسها بقيادة الرئيس بوتين كقوة فاعلة إقليميا ودوليا.

ونستطيع القول أن الخلافات بين الطرفين ليس من قبيل الخلافات التكتيكية وإنما هي تناقضات هيكلية واستراتيجية يصعب تجاوزها في المدى المنظور.

" إن مسار العلاقات بين البلدين منذ تولي ترامب السلطة والوثائق المختلفة الصادرة عن البيت الأبيض والبنتاغون تؤكد أن التوتر بين الجانبين ليس من قبيل الخلافات العابرة وإنما تناقضات جوهرية وهيكلية يصعب تجاوزها في المدى المنظور"[1]

ويمكن تقسيم التناقضات الجوهرية بين الطرفين في ثلاثة محاور رئيسية تمثل مسرحا للمواجهة بين البلدين[2] وهي:

- التنافس الإستراتيجي وصراع المكانة بين واشنطن وموسكو.
- الإختلاف حول القضايا الإقليمية.
- التنافس في سوق الطاقة العالمية.

ويؤكد على هذا الرأي ايضا باحث في مركز الدراسات الإستراتيجية الأمريكية[3]:

"هناك صراع بين واشنطن وموسكو في كل مناطق العالم تقريبا في فنزويلا وبشكل خاص في الشرق الأوسط حيث يتمتع الشرق الأوسط لاعتبارات جيوإستراتيجية وجيوبوليتيكية بمكانة كبيرة".

[1] الشيخ نورهان-العلاقات الروسية الامريكية من الحرب الباردة الى السلام البارد-الصادر عن المكتب العربي للمعارف.
[2] المصدر السابق .
[3] بارفي باراك - باحث في مؤسسة أمريكا الجديدة .

لا شك إن الصراع الأمريكي - الروسي يلقي بظلاله على المشهد السياسي الدولي برمته في الوقت الحاضر ورغم إن المصالح الاستراتيجية لكل من أمريكا وروسيا تتقاطع في بعض المجالات وتختلف في مجالات أخرى فإن الكرة الأرضية كلها باتت مسرح الصراع بين واشنطن وموسكو.

ويظهر الصراع الأمريكي – الروسي بوضوح على الأرض السورية، وحتى نفهم طبيعة صراع الدولتين على سوريا (باعتبارهما اللاعبين الاساسين في الازمة السورية) يجب ان نعرف طبيعة العلاقة بين موسكو وسوريا وبين واشنطن وسوريا في العقود الأخيرة والاهداف الاستراتيجية والجيوبوليتيكية لكل منهما و خريطة محاورهما وتحالفاتهما في سوريا والشرق الأوسط.

1 – العلاقة بين روسيا وسوريا

في 2019/7/21 تبادل الرئيسان بوتين وبشار الأسد برقيات التهنئة بمناسبة الذكرى 75 للعلاقات الدبلوماسية بين البلدين وهذا يعني إن العلاقات والروابط المشتركة بين الطرفين قديمة، الأمر الذي يجعلنا نستذكر ما قالته القيصر كاترين الثانية في النصف الثاني من القرن الثامن عشر:

"مفتاح قصري موجود في دمشق " هذه المقولة تعكس مدى عمق العلاقات التاريخية بين البلدين.

وعزز البلدان علاقاتهما بإتفاقية الصداقة والتعاون في تشرين الأول عام 1980 ومدتها 20 عاما و إحتوت الإتفاقية على ضمانات أمنية متبادلة.

(والإتفاقية ما زالت سارية المفعول حتى الوقت الحاضر وتتجدد تلقائيا كل خمس سنوات).

وتحتفظ روسيا منذ أيام الاتحاد السوفييتي بقاعدة بحرية في طرطوس ونظرا لأهمية القاعدة المذكورة تعتبر موسكو طرطوس بوابة استراتيجية لها ليس على البحر المتوسط فحسب بل على المحيط الاطلسي عبر مضيق جبل طارق والبحر الأحمر عبر قناة السويس.

وتحسنت العلاقات أكثربين سوريا وروسيا الإتحادية عندما وصل الأسد الإبن إلى سدة الحكم في سوريا حيث وقع البلدان في عام 2005 ستة إتفاقيات مهمة للتعاون وشطبت روسيا على أثرها ثلاثة ارباع ديونها المستحقة على سوريا (نحو 13،4 مليار دولار).

وضمن هذه العلاقات المميزة فإن بقاء الدولة السورية وعدم إنهيارها أصبحت مسألة حياة أو موت بالنسبة لروسيا وإن خروج روسيا من سوريا لأي سبب كان يعني الخروج من كل المنطقة العربية وفضلا عن ذلك فان سوريا (حسب موسكو) تشكل بوابة العبور الروسية الى المياه الدافئة وعالم البحار المفتوحة وصولا الى أوربا.

ووفق الرؤية الروسية فإن الإستقرار في سوريا يعزز الاستقرار في المناطق الجنوبية من روسيا ذات الأغلبية السكانية المسلمة، فثمة دوافع خفية تتمثل بالقلق الروسي من تنامي الجماعات السلفية والمتطرفة والارهابية، وتخشى موسكو من استيلاء تلك الجماعات على السلطة في سوريا وهذا في الواقع أهم أسباب دعم موسكو للنظام السوري بشكل مباشر.

وهناك جملة من المصالح الاقتصادية والعسكرية والاستراتيجية المشتركة بين البلدين.

و المستجد في الاندفاعة الروسية نحو سوريا هو أن القادة الروس أرادوا ان يتخذوا من الازمة السورية فرصة للخروج إلى مستوى أوسع عالميا لتأكيد دور روسيا على المستوى الإقليمي و الدولي وكلاعب رئيسي في الأزمات الدولية في مواجهة تجاهل وإستخفاف أمريكا والغرب، وإنطلق الفهم الروسي في هذا الإتجاه من زاوية أن حجم تأ ثير ودور القوى الإقليمية والدولية المنخرطة في الأزمة السورية سوف ينعكس بالتأكيد على قدرات هذه الأطراف على لعب أدوار في رسم ملامح النظام الإقليمي والدولي على المستوى العالمي لاحقا.

وعلاوة على ذلك فإن وجود روسيا في سوريا يشكل النواة للتوسع والتمدد الروسي المحتمل في المنطقة والوصول الى الخليج العربي ودول الشرق الأوسط، ورأينا كيف هيأ هذا الوجود الفرصة امام الروس لمغازلة تركيا – العضو البارز في الحلف الأطلسي - في فرصة مناسبة وسانحة لإضعاف حلف الناتو- ونجحت روسيا كذلك في صياغة معادلة صعبة بإقامة علاقات قوية مع اطراف متناحرة في الشرق الأوسط او متخاصمة مثل ايران والسعودية وايران واسرائيل.

ووفق الدكتورعمر الديب المحاضر في جامعة نيجني نوفغورود الروسية:

" فإن الإدارة الامريكية تقف امام قوة لديها أحلام عودة الإمبراطورية ويظهر ذلك في التحركات الروسية في سوريا وأوكرانيا وليبيا.

وضمن هذه الإيديولوجية تعمل موسكو على تحقيق أهدافها الجيوبوليتيكية على ارض الواقع بكافة السبل ومن خلال الوكلاء والتحالفاوالمحاورالإقليمية التالية:

- محورموسكو– طهران

تعمل موسكو على إستغلال الخلافات السياسية بين أمريكا وإيران و تنظر إلى طهران كشريك وحليف إستراتيجي حيث تعمل كل من روسيا وطهران على إضعاف التواجد الأمريكي في الشرق الأوسط و إضعاف حلف الشمال الأطلسي وضمن هذه الإسترتيجية تغض روسيا الطرف عن التمدد الايراني في البلاد العربية وسوريا...الخ.

- محور موسكو – انقرة

بالرغم من المواجهة التي حصلت بين موسكو وانقرة في الأزمة السورية (بعد أن أسقطت تركيا الطائرة الروسية في أواخر عام 2015) توصل الطرفان إلى التفاهم وقررتا التعاون والتنسيق في سوريا، ويظهرالتعاون والتناغم بينهما جليا في الاتفاقيات العسكرية التي تقضي بشراء انقرة منظومة الدفاع الروسية اس 400 والتي قد استلمتها انقرة رغم معارضة واشنطن.

2 - العلاقة بين امريكا و سوريا

لا شك إن إرثا من النفور والعداوة وعدم الثقة تحكم العلاقات الامريكية السورية منذ وصول حزب البعث الى السلطة عام 1963 ويعود السبب في ذلك إلى وجود عوائق مهمة أمام قيام علاقات صحيحة ومفيدة للجانبين فمن وجهة نظر واشنطن تقوم سوريا بدعم حركات المقاومة

الفلسطينية واللبنانية والحركات الراديكالية والارهابية، وتمارس تأثيرا كبيرا على الحركات الجهادية الفلسطينية وحزب الله، وتعتبر الحليف العربي الأهم لإيران.

ومن وجهة نظر دمشق فإن أمريكا تحتفظ بأجندة إقليمية لا تتناسب مع التطلعات والمصالح السورية.

ومرت العلاقات الأمريكية السورية منذ الغزو الأمريكي للعراق سنة 2003 بأسوأ مراحلها في عهد الرئيس جورج بوش الذي دأبت ادارته على تحميل سوريا مسؤولية زعزعة الامن والاستقرار في العراق.

مع إنطلاق قطار الربيع العربي سنة 2011 اتجهت أمريكا في عهد الرئيس أوباما (منذ بداية الازمة السورية) للدخول في تطورات الأوضاع بسوريا من خلال استراتيجية تمكين المعارضة لتكون بديلا عن الأسد وتنفيذا لتلك الإستراتيجية قامت أمريكا بتقديم مساعدات عسكرية واسلحة للمعارضة المسلحة السورية وتواجدت مجموعة من الاستخبارات الامريكية في تركيا للتأكد من عدم وصول تلك الأسلحة ليد تنظيم القاعدة،او داعش والتي وصلت حقيقة بعد انضمام تلك المجموعات لتنظيم داعش

وبشكل عام فان لأمريكا مجموعة من الأسباب والأهداف الإستر اتيجية للدخول في الأزمة السورية وهي:

- الدفاع عن المصالح الإسرائيلية ودرء المخاطر عنها واستبدال الصراع العربي الإسرائيلي بالصراع العربي الإيراني.
- حماية المصالح الأمريكية عبر حماية الأنظمة والحكومات والدول المنتجة للنفط وتحديدا دول الخليج العربي وإستكمال عملية إستقطاب دول المنطقة في إتجاه النفوذ الأمريكي والعمل على دعم الأنظمة السياسية الحليفة لواشنطن.
- محاربة القوى الإرهابية والراديكالية والاصولية وخاصة داعش والقاعدة لعدم تكرار سيناريوهات ومشاهد احداث 11 أيلول عام 2001.
- محاربة النفوذ الروسي والإيراني في المنطقة والحيلولة دون توسعه وانتشاره.

ونتيجة لهذه الدوافع والأهداف تسعى أمريكا لإحكام سيطرتها على المنطقة و إقامة نظام إقليمي شرق اوسطي جديد تحتل فيه إسرائيل مركز الريادة والقيادة وإعادة رسم الملامح والخصائص السياسية في دول المنطقة كي تصبح أكثر انفتاحا والحيلولة دون ظهور تيارات راديكالية او قوى سياسية مناوئة لأمريكا.

وحسب العديد من المحللين المتابعين لازمات المنطقة فإن ما حدث من تحولات في المنطقة العربية (ثورات الربيع العربي) إنما يدخل في سياق بناء مشروع الشرق الأوسط الجديد وفق نظرية الفوضى الخلاقة التي تعد أهم أعمدة الاستراتيجية الامريكية لرسم الخريطة الجديدة لمنطقة الشرق الأوسط وضمن هذه الإستراتيجية تأتي تحالفات أمريكا مع إسرائيل والسعودية وتركيا.

- تحالف أمريكا و إسرائيل:

من المؤكد ان إسرائيل ولدت على يد بريطانيا وهذا جعلها تحظى بالدعم والمساندة من قبل الدول الغربية ولاسيما أمريكا التي رجحت كفة إسرائيل في الصراع العربي – الإسرائيلي وأثبتت إسرائيل انها قوة إقليمية قادرة على خدمة المصالح الامريكية والغربية وهذا هو السبب الأساسي الذي دفع أمريكا للتحالف مع إسرائيل خاصة اثناء الحرب الباردة حيث كان ينظر لإسرائيل على إنها الحائط القوي ضد النفوذ السوفييتي في الشرق الأوسط

وتتعاون الدولتان حول التهديدات الأمنية ومكافحة الإرهاب في الشرق الأوسط ومنع الإنتشار النووي والتعاون في مسائل تتجاوز القضايا الأمنية التقليدية[4].

- تحالف امريكا و السعودية:

يتميزالعالم العربي وعلى رأسه المملكة العربية السعودية لإعتبارات بشرية وجغرافية وسياسية واقتصادية بموقع مهم في الإستراتيجية الامريكية.

وحسب ماكيندر صاحب نظرية " قلب العالم ":

" فان العالم العربي من الأماكن الإستراتيجية المركزية في الكرة الأرضية والتي يوؤدي السيطرة عليها إلى السيطرة على العالم "

وهذا الرأي صحيح لعدة أسباب أهمها:

- إن العالم العربي يشكل البوابة التاريخية لمنطقة غربي آسيا
و نقطة الإنطلاق الإستراتيجي نحو أوراسيا.
- إن العالم العربي يطل على المضائق المتحكمة في حركة الملاحة البحرية الأهم في العالم و المتجهة من الشرق الأوسط إلى أوربا – مضيق هرمز - باب المندب - قناة السويس، حيث تشكل هذه المضائق عاملا حاسما و مهما في واقع الجغرافيا السياسية للعالم العربي كونه يقع في ملتقى القارات الثلاث ويتحكم في أهم طرق التجارة العالمية برا وبحرا وجوا الأمر الذي جعل الوطن العربي موقعا مهما للتنافس بين القوى العظمى ليس هذا فحسب بل إن غنى العالم العربي بالموارد البشرية والإقتصادية والغاز والبترول يعطيه أهمية أكبر بالنسبة لأمريكا والغرب.
- تحالف أمريكا وتركيا

تحتل تركيا موقعا أساسيا في الإسترتيجية الأمريكية بصفتها عضو مهم في الحلف الأطلسي ومقر لقاعدة إنجرليك الأمريكية (أكبر قواعد أمريكا في الشرق الأوسط) وكونها بمثابة الخط الأول في مواجهة القوة البرية والبحرية الروسية والتمدد الروسي باتجاه الغرب، ليس هذا فحسب بل أن تركيا تسيطرعلى أهم الممرات البحرية في البوسفور والدردنيل وهو الممر الذي يجعلها في قلب اهم بحار العالم بالإضافة الى أهمية العامل التاريخي والديني بوصفها وريثة الخلافة العثمانية.

3 - انعكاسات الصراع الأمريكي - الروسي على القضية الكردية في روجافا

[4] بولوك - مايكل آيزنشتات - مدير برنامج الدراسات العسكرية والأمنية في معهد واشنطن

لا شك يشعر الكرد بالقلق الكبير على مصيرهم في ظل الصراع الدائر بين واشنطن وموسكو والتعقيدات التي تمر بها الأزمة السورية لاسيما مع إنسداد أي أفق للحل في سوريا.

ولكي تكتمل الصورة يجب أن نبحث في تداعيات وانعكاسات الصراع على القضية الكردية في روجافا وشرق الفرات بشكل عام وهو مربط الفرس في هذا البحث.

واذا تتبعنا التفاصيل عن قرب سوف نجد اوجه التباين والاختلاف بوضوح بين سياسة كل من الدولتين تجاه الكرد وقضيتهم السياسية في سوريا.

4 - سياسة روسيا الحالية تجاه الكرد في روجافا:

تؤكد الحكومة الروسية بإستمرارعلى العلاقة التاريخية الجيدة مع الشعب الكردي، وتتحدث عن الحقوق القانونية للكرد في الدستور السوري وتكشف بين حين وآخر عن وساطات بين الكرد والنظام السوري والتواصل مع ممثلي الجانبين في محاولة لتشجيع الحوار بينهما، ولكن في الواقع تستغل موسكو ظروف الكرد في سوريا وتفرض وجودها كوسيط بينهم وبين الحكومة السورية من اجل إعادتهم الى بيت الطاعة السوري وابعادهم عن أمريكا، وحذر لافروف (وزير خارجية روسيا) الكرد في اكثر من مناسبة من المراهنة على واشنطن.

واذا تعمقنا أكثر في تاريخ العلاقة بين روسيا والكرد وخاصة في المنعطفات التاريخية الهامة حيث كان على روسيا المفاضلة فيها بين علاقاتها مع تركيا او ايران وبين علاقاتها مع الكرد سنجد انها كانت تفضل الأولى ولم يحصل العكس ابدا إلا في إستغلال وإستخدام الكرد لمضايقة تركيا او ايران و بصورة مؤقتة وظرفية.

ورغم المكاسب التكتيكية البسيطة المؤقتة في الأزمة السورية لم يستفد الكرد من الروس بل على العكس تماما – في أوائل عام 2018 قتل مئات المدنيين من الكرد نتيجة عملية ما تسمى ب "غصن الزيتون " التي قامت بها تركيا في عفرين وهو احتلال لم يكن من الممكن ان يحصل دون موافقة موسكو وترتيبها.

5 – سياسة أمريكا الحالية تجاه الكرد في روحافا:

بدأ التدخل الأمريكي في الأزمة السورية في أيلول عام 2014 مع تنفيذ ضربات جوية ضد تنظيم داعش الإرهابي بالاعتماد على وحدات حماية الشعب YPG كقوة كردية برية فاعلة في مواجهة خطر داعش المتصاعد وزودت امريكا القوات الكردية بالأسلحة والغطاء الجوي والدعم في معركة كوباني ضد داعش من خلال وحدات أمريكية خاصة ومن ثم عزز الجيش الأمريكي وجوده من خلال تأسيس نقاط عسكرية وقواعد في المناطق التي سيطرت عليها القوات الكردية.

ورغم السياسة الأمريكية المواربة في عهد الرئيس ترامب (تجاه الشعب الكردي السوري) فان التأييد الكردي الكبير لنموذج الديمقراطية الأمريكية أحد جوانب القوة الناعمة الامريكية البالغة الأهمية في العلاقة الكردية – الامريكية.

ويعتبر الكرد أنفسهم حلفاء لأمريكا غير إن هذا الموقف لا يخلو من المخاطر والأثمان في منطقة الشرق الأوسط حيث ينتشر العداء تجاه أمريكا.

وتختلف أمريكا بالنسبة لمعظم المثقفين الكرد وأصحاب الرأي عن غيرها من القوى العالمية التقليدية بالنسبة للقضية الكردية اذ تولي واشنطن أهمية كبيرة لمفهوم الشعب في ثقافتها ومؤسساتها ودستورها وخاصة نهج ويلسون في السياسة الخارجية الامريكية معتبرين ان رؤية ويلسون هي تقليد امريكي رسمت معالم السياسة الخارجية الامريكية لغاية يومنا هذا.

ويرى الكرد أن تركيز أمريكا على الديمقراطية والحق في تقرير المصير يتواءم بشكل خاص مع مساعيهم الطويلة الأمد من اجل انشاء إدارة ذاتية معترف بها.

ووفقا لتحليل معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى الذي يحمل عنوان:

إدارة التحول في العلاقات بين الولايات المتحدة وأكراد سوريا

فإن أهمية الحفاظ على علاقة الطرفين تنبع من رغبة واشنطن في:

" ممارسة النفوذ في سوريا ومنع نشوب صراعات عرقية في المنطقة بعد مرحلة داعش ومواجهة الهيمنة الإيرانية التي تهدد المصالح الإقليمية للولايات المتحدة ".

وتؤكد أمريكا وباستمرارعلى لسان مسؤوليها الكبار على أهمية التحالف الأمريكي – الكردي وتعمل على تطمين و ترميم الجانب النفسي للعلاقة

خاصة بعد الهجوم التركي الأخير على سرى كانيى ووكرى سبي والشعور بالغبن الذي لحق بالكرد جراء احتلال المدينتين، وإعلان الانسحاب الأمريكي السريع من سوريا (بعيد اتصال الرئيس دونالد ترامب بنظيره التركي في السادس من تشرين الأول 2019.)

لقد ترك قرار الانسحاب بشكل خاص صدمة واثرا مؤلما على عامة الشعب الكردي الامر الذي فتح نقاشا مطولا حول أسباب الموقف الامريكي. ورغم التطمينات لا يزال علينا الانتظار لمعرفة ما اذا كانت أمريكا قادرة على ترميم الجانب النفسي للعلاقة بينها وبين كرد روجافا.

6 - النتائج والتوصيات (روسيا)

هناك نقاشات كثيرة حول النجاحات التي حققتها السياسة الروسية في سوريا وكذلك الاخفاقات التي منيت بها. والحقيقة إن الكرملين يواجه تحديات متزايدة وهو يرسم ملامح خطواته في سوريا حيث تبرز خريطة واسعة من التعقيدات وعلى رأسها مسألة المحافظة على النظام وعلى وحدة سوريا والدفع نحو عملية سياسية مقبولة ولكن غياب الرؤية الشاملة لما تريده موسكو في المحصلة من الحرب السورية مازال يشكل معضلة خاصة مع ضعف القدرة على تحقيق إنجازات سياسية سريعة تواكب التقدم الميداني الذي أحرزته خلال السنوات الماضية والسبب هو إمعان واشنطن في تجاهل الدعوات الروسية لفتح قنوات حوار حول الوضع النهائي للتسوية الممكنة في سوريا وتجاهل أمريكا لجهود موسكو في اطار مسار استانة.

وبالمقابل ليس ثمة شك في أن موسكو حققت نصرا تكتيكيا في إنخراطها المباشر في سوريا ولكن من المبكر جدا الحكم على نتائج هذه الخطوات واثرها على الازمة السورية وعلى موقع روسيا ودورها في العالم.

وبصورة عامة ثمة احتمالان رئيسيان لمآلات الانخراط الروسي العسكري والسياسي في سوريا:

الاول – ان يساعد التدخل الروسي على الحل السياسي.

الثاني – ان يصب التدخل الروسي في اتجاه المزيد من تعقيد الازمة وتصاعد حدة الصراع وهو الاحتمال الأقوى.

وثمة ما هو اكثر تعقيدا وهو احتمال الصدام التركي – الروسي في ادلب.

والحقيقة ان النجاحات الروسية رغم اهميتها فإنها لا تمثل سوى مكاسب تكتيكية محدودة لعدة أسباب أهمها:

- تتجنب روسيا تقديم التعهدات أو الالتزامات القاطعة للدول والجهات التي تتقارب معها سواء لعدم قدرتها على الوفاء بأعباء هذه الإلتزامات أو لعدم وجود مصلحة حقيقية لها في التورط في أزمات لا مصلحة كبرى لها.
- تستخدم روسيا قدرات عسكرية كبيرة في الأزمة السورية ولكنها لم تمنحهم قوة سياسية بالمقابل بل على العكس أوقعتهم في مأزق كبير فلا هم قادرين على وقف المعارك ولا هم قادرين على فتح باب السياسة، ومع كل عائق يقابلهم يلجأ الروس الى النظام وايران وتركيا فتكون روسيا الكبيرة أسيرة أطراف محلية وإقليمية.

وعلى هذا الأساس فان التغلغل الروسي في الشرق الأوسط وسوريا محكوم بسقف لاتقدر على تجاوزه.

وللتذكير هناك إعتقاد شائع بين المحللين السياسيين الأمريكيين حول التمدد الروسي في الشرق الأوسط هو أن موسكو تحصد مكاسب التراجع المتواصل لأمريكا وإنحسار إهتمامها ونفوذها في المنطقة خاصة في عهد الرئيس ترامب، غير إن مؤسسة راند البحثية الامريكية الشهيرة لها رأي آخر يقول:

" إن التغلغل الروسي في المنطقة وإن كان مزعجا إلا أنه يجب أن لا يخيف او يقلق واشنطن أكثر من اللازم لأنه محكوم بحدود وقيود لايمكن تجاوزها بالنهاية "

2- النتائج والتوصيات (أمريكا):

نشر مركز القرن الواحد والعشرين للأمن والإستخبارات التابع لمعهد بروكينجز الأمريكي دراسة تحت عنوان " تفكيك سوريا "

واعد هذه الدراسة مايكل اوهانلون مدير برنامج السياسة الخارجية في المعهد المذكور.

تناول الكاتب في هذه الدراسة تطور السياسة الخارجية الامريكية تجاه الازمة السورية على إنها سلسلة من سوء التقدير.

قد يكون هذا الرأي صحيحا في عهد الرئيس ترامب.

ولكن إذا دخلنا في عمق المشهد السوري سنجد ملامح السياسة الأمريكية بشكل واضح، فالضغوط الأمريكية المتعددة الاتجاهات على النظام السوري بغرض إركاعه و إنهاكه وتطويعه بما يخدم تخليه عن برامج وشعارات المقاومة وإدخاله في منظومة التسوية السلمية وفق القرار الاممي رقم 2254 لم تتوقف لحظة.

وفي الوقت نفسه ثمة توافق امريكي – إسرائيلي على عدم اسقاط النظام في دمشق أو تغييره دون إيجاد البديل المناسب.

ونظرا لعدم وجود البديل فإن بقاء النظام ضعيفا (اشبه بالحالة اللبنانية) ولومن دون الأسد يظل خيارا مناسبا لواشنطن.

وبشكل عام تبدو الحلول التي يتجه إليها الأمريكيون للأزمة السورية متوافقة مع مسارات الإضعاف والتقسيم الداخلي وهي حلول تتوافق الى حد ما مع الاقتراح الروسي بالحل الفيدرالي في سوريا، ويبقى خيار التقسيم مفضلا لدى إسرائيل كذلك.

وتصب طروحات مركز راند للدراسات في الإتجاه نفسه فقد نشر دراسة في كانون الأول 2015 بعنوان " خطة سلام لسوريا " تجعل الأولوية لوقف اطلاق النار وتقسيم سوريا إلى أربع مناطق بحيث تكون هناك منطقة تحت نفوذ النظام الحالي ومنطقة ثانية تحت نفوذ المعارضة ومنطقة ثالثة تحت نفوذ الكرد ومنطقة رابعة دولية.

3 - التدخل الروسي في روجافا:

- النتائج والتوصيات:

على الأرجح لن يتغير كثيرا الموقف الروسي المؤيد للنظام السوري ولن تضغط روسيا على النظام السوري (من اجل فرض حكم الذاتي او فيدرالي للكرد) وتعرض مصالحها مع تركيا وايران للخطر.

ولكن المواقف السياسية للدول ليست ثابتة دائما وخاصة الموقف الروسي الذي يتبدل ويتغير بإستمرار وفقا للمصالح السياسية والإقتصادية والعسكرية ورأينا كيف لجأ الكرملين في السابق الى إدراج ورقة الفيدرالية الكردية في مشروع الدستور السوري المقترح لإغراء الكرد بالتحالف مع النظام السوري.

والجديد في الموقف الروسي في الفترة الأخيرة هوالسعي والضغط على النظام السوري باتجاه حل الأزمة والتسريع في عملية الإنتقال السياسي قبل الإنهيارالإقتصادي المتوقع لمؤسسات الحكم.

وضمن هذا الإتجاه يأتي الاتفاق الأخير بين مجلس سوريا الديمقراطية (مسد) والسيد قدري جميل رئيس حزب الإرادة الشعبية الذي تم توقيعه في 31 / 8 / 2020 في موسكو و تحت المظلة الروسية وبمباركة من السيد لافروف وزير الخارجية.

والحقيقة أن الموقف الروسي الجديد هذا ربما يكون وليد الخلافات المتفاقمة بين الروس والنظام السوري في المدة الأخيرة لعدة أسباب أهمها تعنت الأخير وعدم انصياعه للإنخراط في العملية السياسية وفق القرار الأممي رقم 2254 والرؤية الروسية ولهذا فمن المستبعد ان يكون مناورة روسية من اجل الضغط على النظام والحصول منه على تنازلات كبيرة.

و من المؤكد ان لهذا الموقف علاقة بالوضع الراهن لمناطق سيطرة قسد وأهميتها من الناحية الجغرافية (تشكل أكثر من 30 % من مساحة سوريا) والإقتصادية (تحتوي على معظم ثروات البلاد من الغاز والبترول والحبوب والمياه والسدود الكهرمائية) والسياسية (الشعب يمارس سلطته المباشرة في هذا الجزء من خلال إدارة ذاتية تدير شؤون أكثر من خمسة ملايين مواطن سوري) وفوق هذا فإن المنطقة تحت النفوذ الأمريكي.

ووفق الرؤية الروسية فان بقاء هذه المنطقة وبقاء ثرواتها خارج سلطة دمشق يهدد وحدة سوريا ولايساعد على حل الأزمة وهذا هو الموضوع الأهم الذي تحاول موسكو افهامه للنظام السوري. والمخرج المناسب لهذه المعضلة - بنظر الروس - هو إيجاد حل ديمقراطي عادل للقضية الكردية يقوم على منح الكرد حكما فيدراليا ثقافيا مقابل عودة المنطقة الى الحضن السوري (نظام لا مركزي في دمشق و حكم فيدرالي ثقافي للكرد بحسب الدستور الروسي المقترح لسوريا قبل عدة سنوات).

وهذا السيناريو ربما يكون وليدا لتفاهم امريكي – روسي أوقد يحظى بالدعم الأمريكي والدولي. وعلى هذا الأساس فإن الاتفاق بين مسد والسيد قدري جميل يحظى برعاية موسكو وهو يختلف عن كل ما سبقه من تفاهمات من حيث المضمون والتوقيت.

وانطلاقا من كل ماسبق يمكن ان يشكل الاتفاق تطورا سياسيا مهما وخريطة طريق على صعيد العلاقة بين موسكو والكرد في سوريا وهو يحتوي في طياته استعداد الروس لتدارك الموقف و كسب ود الكرد و إشراك مجلس سوريا الديمقراطية (مسد) في العملية السياسية واللجنة الدستورية والمباحثات الدولية الخاصة بالأزمة السورية في جنيف والتزاما بالقرار2254 كسبيل لحل الأزمة السورية.

4 – التدخل الأمريكي في روجافا:

- النتائج والتوصيات:

لاشك أن موقف أمريكا تغير على نحو كبير تجاه روجافا في الفترة الأخيرة تحضيرا لوجود طويل خاصة بعد ان استنتجت ان الحراك العسكري الروسي في شرق الفرات يتطور باتجاه يخل بثوابت الامن الاستراتيجي للولايات المتحدة الامريكية، وضمن هذه الاستراتيجية الجديدة ترعى واشنطن المفاوضات الكردية – الكردية بين أحزاب الوحدة الوطنية الكردية وأحزاب المجلس

الوطني الكردي، وضمن هذه السياسة تقوم أمريكا بخطوات هامة في شرق الفرات لبسط نفوذها وتمتينه خاصة في المناطق النفطية عن طريق الاتفاق البترولي بين قسد وشركة دلتا الامريكية، وتستند الاتفاقية الأمريكية مع الإدارة الذاتية على عوامل مهمة أهمها تعزيز أمريكا لوجودها في شرق الفرات وترسيخ تواجدها الدائم ليكون لها اليد الطولى في رسم الخريطة الجيوسياسية الجديدة في سوريا مستقبلا.

ولكي تضمن أمريكا تأثيرها الفعال في رسم الخريطة المذكورة يجب ان تعمل مع جميع الأطراف على الاعتراف بمنطقة الإدارة الذاتية على انها منطقة اتحادية سورية لا منطقة انفصالية كما تزعم العديد من الجهات المعادية لوجود الشعب الكردي.

وضمن هذه الاستراتيجية الجديدة ومن اجل ثبيت مواقعها وتقوية نفوذها وتقوية شركائها الكرد والاستقرار في روجافا تعمل أمريكا بجدية وتساعد على ترتيب البيت الكردي عبر إيجاد صيغة تضمن التفاهم بين الأطراف الكردية وفق المشروع الوحدوي الذي طرحه الجنرال مظلوم عبدي قائد قسد وتقوم أمريكا خلال هذه الإيام بلقاءات ماراثونية بين الطرفين لإيجاد صيغة توافقية تضمن اقتناع جميع الأطراف للمشاركة في الإدارة السياسية والمحلية ضمن مناطق نفوذ الكرد، وآخرها كانت اللقاءات التي أجراها المبعوث الأمريكي الخاص إلى سوريا وليم روباك مع قيادات وممثلي مجموعة من الأحزاب الكردية في سوريا.

ونجحت أمريكا إلى حد كبير في هذا المسعى حتى الآن وتمخضت اللقاءات والاجتماعات عن الاتفاق بين الطرفين الكرديين (بوساطة وضمانة أمريكية) على وثيقة مبادئ سياسية ووثيقة المرجعية الكردية العليا لمستقبل سوريا والمنطقة الكردية الأمر الذي يجعلنا نتبين ونتلمس الإهتمام والسعي الجدي في الموقف الأمريكي لإنجاح سير المفاوضات.

امام هذه المعطيات الإيجابية الحقيقية يأمل الأكراد في روجافا أن يحققوا (بالاعتماد على انفسهم وبمساعدة الشريك الأمريكي والطرف الروسي والأصدقاء الاوربيين) تغييرات مفصلية ومستقبلية تساهم في تقوية نفوذهم السياسي و العسكري وتحقق أهدافهم المشروعة في سوريا قوية وموحدة.

المصادر:

- المرصد السوري لحقوق الانسان.

- باتريك سيل – الصراع على سوريا – دار الانوار الطبعة الأولى – بيروت 2012.
- معهد واشنطن لسياسة الشرق الأوسط - مصالح روسيا الكثيرة في سوريا 28/ 11 / 2001.
- عمر نجيب – الصراع الأمريكي - الروسي -هل هو عودة الى الحرب الباردة موقع العرب.كوم 8 / 12 / 2013.
- بول سالم – تنافس القوى العظمى على مستقبل الشرق الأوسط - جريدة الحياة موقع ارابيك 21 / 12 /2013.
- عماد شعيبي – الصراع على سوريا والشرق الأوسط - صحيفة البناء العدد 1318 – الاثنين – 14 – تشرين الثاني 2013.
- محمد الرميحي - سر العقدة الروسية في الشرق الأوسط - صحيفة الشرق الأوسط - العدد12611 – 8 – حزيران - 2013.
- عادل خليفة عودة روسيا الى الساحة الدولية عبر البوابة السورية - جريدة الاخبار - العدد 1746 لبنان – 12 / 7 / 2012.
- زايدعبد الله – مصباح السياسة الخارجية – دار التالة - الطبعة الثانية – طرابلس 1999.
- انا بوسيفكايا - روسيا في الشرق الأوسط - دراسة صادرة عن معهد واشنطن شباط 2016.

الدولة التركية و "الدولة الإسلامية في العراق والشام"

اعداد: مركز روج آفا للدراسات الاستراتيجية

عانت شعوب كثيرة من أنظمة الحكم الاستبدادية التي هيمنت على حياتها الاقتصادية والاجتماعية والعسكرية والثقافية، لقد كان لهذه الأنظمة هدف رئيسي مركّب يتمثل باستعباد الشعوب وتكديس الثروات إشباعاً لنزوات شخصية مريضة تبحث عن المجد والرفاهية المطلقة، لعل أفظع هذه الأنظمة هو النظام الثيوقراطي[1] الذي يوظف أفكاراً طوباوية وميثولوجيه لترسيخ سلطته على الناس، فهو يُفسر ويبرر السلطة السياسية عن طريق تدخل سلطة غيبية. لقد ترسخ هذا النظام في الشرق الأوسط كون جذوره يمتد لآلاف السنين منذ قيام أول دولة في سومر[2]،ويبدو أنَّ ثقافة التوحش المتمثلة باستباحة دم البشر وقطع الرؤوس وأسواق النخاسة والاستعباد والسلب لا تزال راسخة في ذهنية الكثيرين من النخب السياسية ولو كانت بأشكال مختلفة.

يعد تنظيم داعش الإرهابي النسخة الأحدث عن هذا النظام الهمجي، ويمكننا القول بأنه كيان يختصر ثقافة التوحش ونموذج حي للأنظمة الثيوقراطية السيئة الصّيت، كون هذا التنظيم لم يجلب إلى المناطق التي تواجد فيها سوى الخوف والألم والنهب والقتل والدمار والتشرد والفقر وسلب الحقوق والتخلف والتلوث البيئي والإبادة الثقافية؛ لقد اتخذ من ذلك استراتيجية له لتحقيق أجنداته في أيَّ منطقة من العالم يصل إليها مرتزقته أو أيديولوجيته؛ وهذا ما شكَّل في المقابل دافعاً قوياً لتوحد شعوب العالم لمحاربة هذا التنظيم وبالفعل هذا ما تم، وانهار كيان التنظيم القائم في سوريا والعراق بعد تكاتف شعوب المنطقة بقيادة قسد في شمال وشرق سوريا؛ وبقيادة الجيش العراقي والقوات الرديفة له في شمال وغرب العراق؛ وكان للدعم القوي والمساندة المستمرة من قبل التحالف الدولي لمحاربة الإرهاب الدور الكبير في ذلك الانتصار.

إنَّ التداعيات التي خلّفها التنظيم على الديمقراطية والتنمية والاستقرار في المنطقة يدفعنا إلى البحث عن العوامل الرئيسية التي أدت لظهور وتمدد هذا التنظيم، وتماديه في أعماله الإرهابية. فمن المعروف إنَّ مثلث القوة لأي كيان يتحدد في القوة العسكرية والاقتصادية والإيديولوجية؛ وبالنسبة لتنظيم داعش فإنَّ مثلث القوة الخاص به لم يكن ليتطور ويتنامى لولا ثقافة الكراهية التي

---

[1] ثيوقراطية: كلمة (ثيو) في اللغة اليونانية تعني (ديني)، و(كراتيس) تعني (حكم)، وهي شكل من أشكال الحكم تكون السلطة الدينية والمدنية فيه بيد مرجع واحد (كنظام الخلافة الإسلامية على سبيل المثال لا الحصر). وتعرف الثيوقراطية بأنّها مذهب سياسي يفسر قيام الدولة على أساس ديني اعتقادي، وهو القول بأنَّ السلطة مصدرها الله، وأنَّ الملوك يختارهم الله بطرق مباشرة وغير مباشرة، وهو ما يُعرف بالتفويض الإلهي.... د. وضاح زيتون، معجم المصطلحات السياسية، دار أسامة للنشر والتوزيع (عمان- الأردن)، الطبعة الأولى 2010م، ص112.

[2] انظر: عبد الله أوج آلان، من دولة الكهنة السومرية نحو الحضارة الديمقراطية (المرافعات المقدمة إلى محكمة حقوق الإنسان الأوروبية)، الجزء الأول، ص20.

تنتهجها بعض القوى السياسية في هذه المنطقة والتي توّظف الدين خدمة لأهداف سياسية، ويبدو أنها تستمد طاقتها من الذهنية الدوغمائية والشوفينية والفاشية المترسخة في أفكار الكثيرين من الأفراد والمجموعات، وتأتي الدولة التركية بقيادة نظام أردوغان على رأس هذه القوى، فلولاه لما اكتسب التنظيم قوة اقتصادية وعسكرية وانتشاراً إيديولوجياً في المنطقة والعالم، من خلال الدعم المباشر للتنظيم عبر شبكة من العلاقات الاستخباراتية والاقتصادية غير الرسمية، والدعم غير المباشر من خلال إعاقة الديمقراطية ودعم ظاهرة تنامي الفكر الأصولي الرجعي (الإسلام السياسي والذي يشكل أحد أقطابه حزب العدالة والتنمية التركي AKP بزعامة رجب طيب أردوغان)، ومعاداة القوى التي تحارب إرهاب تنظيم داعش على الأرض، وتوجيه التهديدات ضد قسد لدى كل انتصار تحققه على الميليشيات المرتزقة والتنظيمات الإرهابية، حتى أنَّ سلاح الجو التركي نفذ غارات على مواقع عسكرية لقسد، وبحسب المراقبين العسكريين فإنَّ احتلال إقليم عفرين من قبل الجيش التركي والمجموعات المرتزقة التابعة له كانت ردة فعل على الانتصارات التي حققتها قسد على التنظيمات الإرهابية والمرتزقة في منبج ومناطق شرقي نهر الفرات، وكان هذا الموقف سبباً في بطء العمليات المُكرسة للقضاء على التنظيم الذي كان يستفيد من ذلك لالتقاط أنفاسه وإعادة تنظيم قواته. وفيما يلي نورد معلومات تتناول تلك العلاقات.

العلاقة العضوية بين أردوغان والجماعات الإرهابية (داعش).

مايكل روبن: من المستحيل هزيمة "داعش" إذا ظل "أردوغان" في السلطة.3

لا يمكننا أن نرى بمحض الصدفة تقلد أردوغان لنظام الحكم في تركيا وبروز داعش والجماعات الإرهابية الأخرى على ساحة المنطقة التي حولت المنطقة إلى أطلال وخرائب نتيجة تشبعهم بالأفكار السامة المحضة على الكراهية والتدمير، فعندما يتم تعقب الماضي القريب لأردوغان وهذه الجماعات الإرهابية يظهر بأن الاثنين يربطهما علاقة إيديولوجية وعضوية تامة، ولهما نفس الأحلام الطوباوية المتمثلة في خلافة إسلامية بمختلف تسميتها يتربع على عرشها السلطان العثماني الجديد أردوغان الذي يعرف بخلفيته الإسلامية الإخوانية.

فأردوغان درس في ثانوية الأئمة والخطباء وتشبع بالأفكار الإسلامية الراديكالية ليقوم بتطبيق هذه الأفكار عبر دعم الجماعات التي تشاركه نفس الفكر، وأراد أردوغان عبر هذه الجماعات من استعادة بعض من أضغاث أحلامه العثمانية، ومن الجدير بذكره تشابه المواد الدراسية لمدارس الأئمة والخطباء بمواد داعش التي تم تدريسها في سوريا والعراق، ومواد المدارس هي "اللغة العربية، السيرة، الحديث، الفقه، التفسير، القرآن الكريم و غيرها من العلوم الدينية"[4]، وجميع هذه المواد التي تدرس في مدارس الإمام الخطيب في تركيا ودرسها أردوغان (مع العلم أن معظم خريجي هذه المدارس يعملون في مجال الإمامة و الخطابة في المساجد التركية[5] إلا أردوغان الذي

[3] مايكل روبن: من المستحيل هزيمة "داعش" إذا ظل "أردوغان" في السلطة، 03-11-2019م، الرابط http://www.nlka.net/news/details/927

[4] الدراسة في مدارس الإمام الخطيب التركية، 7 اكتوبر، 2018م، http://turkeyforarabs.com/study

[5] المرجع السابق.

أصبح رئيساً لتركيا وهذه لا يمكن أن تكون محض صدفة)، تم تدريسها في مدارس تنظيم داعش المهزوم منذ إعلان الخلافة المزعومة 2014م وإنشاء جيل كامل على هذه المناهج المحضة على ثقافة الكراهية والقتل، وكما يقال في المثل الشعبي **"من شب على شيء شاب عليه"** فأردوغان بحكم تتلمذه في مدارس الإمام الخطيب بدأ ينضم إلى الأحزاب ذات النزعة الإسلامية مثل حزب السلامة الوطنية، الرفاه، الفضيلة، وأخيراً حزب العدالة والتنمية [6]، وكون أردوغان ذات خلفية إسلامية رجعية قام في عام 1997م بنشر أبيات شعر من قصيدة للسياسي التركي ضياء كوك ألب، تضمنت أبياتاً غير موجودة في النص الأصلي، وهي **"المساجد ثكناتنا، القباب خوذاتنا، والمآذن حرابنا"**[7] وعلى إثرها تم سجن أردوغان لحوالي عشرة أشهر كون تركيا دولة علمانية وترفض المبادئ الإسلامية في الدولة وتعارض المادة /312/ من الدستور التركي التي تمنع كل شخص يحاول التشجيع على الكراهية العنصرية أو الدينية[8]، إلا أن أردوغان تابع مسيرته بالإيديولوجية الإسلامية إلى أن عين رئيساً لتركيا في 28 أغسطس 2014م ولم يكن صدفة تسلم أبو بكر البغدادي خليفة لتنظيم داعش الإرهابي قبل أردوغان بشهر فقط، إن لم يكن بتزكية تركية وبالتحديد من أردوغان كونهما يتقاسمان نفس الإيديولوجية الإسلامية المتطرفة وكذلك الحلم في استعادة الخلافة.

لذا ومن أجل تهيئة أرضية للجماعات الإرهابية في المنطقة وللإسلام السياسي بدأ أردوغان بالعديد من التغييرات في بنية الدولة التركية العلمانية من أجل تخطي الحدود التركية الحالية والسيطرة على العديد من الدول العربية عبر توظيف هذه الجماعات الإرهابية، وبهذه السيطرة يكون أردوغان السلطان العثماني الجديد قد تربع على إمبراطورية تركية عثمانية جديدة مترامية الأطراف، وبغية تحقيق هذا الحلم بدأ أردوغان بسلسة من التغييرات والتحركات في تركيا:

دعم الجماعات الإرهابية في جميع دول المنطقة بحثاً عن السيطرة على هذه الدول واحتلالها، فبدأ أردوغان بدعم الإخوان في مصر (تصنف جماعة الإخوان المسلمين جماعة إرهابية في مصر والسعودية والإمارات وقد اتخذت هذه الجماعات تركيا ملاذاً آمناً لنشاطهم) ودعم عمر البشير الإخواني الذي تمت الإطاحة به من قبل الجيش السوداني، ودعم حكومة الوفاق الإخوانية عسكرياً واستخباراتياً ومرتزقتها من جبهة النصرة وداعش وأنصار الشريعة في ليبيا ووصل الأمر بتركيا إلى عقد مذكرة تفاهم حول التعاون الأمني والعسكري بين البلدين، وحول السيادة على المناطق البحرية، ودعم جميع الجماعات الإرهابية في سوريا وبالأخص داعش الذي وصل التعاون بينهما إلى تعيين سفير لداعش في تركيا وحتى دعمت الجمعيات الإسلامية المتطرفة في الداخل التركي، بحيث أصبحت تركيا على أثرها محور الإرهاب والشر في العالم والمنطقة، وحولت تركيا هذه الجماعات الإرهابية إلى ورقة ابتزاز وتهديد لدول المنطقة والعالم، وتحدث أحمد ياپلا، الذي عمل

[6] 15 عاماً في السلطة.. كيف غيّر أردوغان علمانية تركيا؟، اسماعيل عزام، 14.03.2018، https://www.dw.com/ar

[7] 15 عاماً في السلطة.. كيف غيّر أردوغان علمانية تركيا؟، اسماعيل عزام، 14.03.2018 https://www.dw.com/ar/15

[8] هل يؤمن أردوغان حقا بالعلمانية؟، 28 يوليو، 2016م، أحمد سليمان https://www.alhurra.com/a/erdogan-and-secularism-/316368.html

لمدة 20 عاماً في مكتب مكافحة الإرهاب في الداخلية التركية، إن الرئيس التركي، كان **«يطمح في 2010 لتأسيس دولة إسلامية كبرى، وأنه وجد هدفه على وشك أن يتحقق عندما عمت الاضطرابات في سوريا». وأضاف «أردوغان كان يرى أن دعمه للجماعات المتطرفة سيقود في النهاية إلى سيطرته على سوريا»**[9].

القيام بانقلاب مدبر بين أردوغان والمخابرات التركية MIT من أجل تصفية المؤسسات والجنرالات القادرين على تهديد حكم أردوغان مستقبلاً، إضافة إلى الانتقال من الحكم البرلماني إلى الحكم الرئاسي من أجل الحكم الشمولي والسلطة المطلقة، بذلك يكون أردوغان قد سار بثبات على خطى جده محمد الثالث الذي تسلم الكرسي صباحاً وأخرج 19 تابوتاً لأشقّائه الأمراء ظهراً[10]، زد على ذلك فأردوغان لا يؤطر نفسه رئيساً لتركيا فقط إنما خليفة لجميع الجماعات الإرهابية في دول المنطقة التي تتزمل عباءة الدين من أجل التسلق إلى السلطة.

قيام أردوغان بتغيير المناهج المدرسية أثناء تسلمه الرئاسة كي تتماشى مع حلمه ألا وهو التربع على العرش العثماني وذلك عن طريق دعم الجماعات الإرهابية، فعلى أثر ذلك قام أردوغان بإدخال المواد العثمانية للمناهج الدراسية في تركيا ومن أجل تبرير ذلك صرح أردوغان **"من المؤسف، أننا أعددنا تاريخنا الرسمي لسنوات، بالشكل الذي أراده البريطانيون"، مضيفاً: "مناهج كتب التاريخ في تركيا، ناقصة"، مشدداً على أن "الذين يشرحون التاريخ التركي القديم، وينتقلون مباشرة إلى تاريخ الجمهورية، متجنبين، ذكر تاريخ حقبة زمنية استمرت 600 عام (في إشارة إلى الدولة العثمانية)، هم أعداء لنا"**[11]، وتزامناً مع صعود داعش الإرهابي قام أردوغان بدعم ثانويات الأئمة والخطباء التي ذكرناها في البداية بأن المواد التي يتم تدريسها تشبه مواد داعش الإرهابي إن لم تكن مناهج داعش مستخلصة من ثانويات الأئمة والخطباء، التي ارتفع عددها من 537 إلى 1605 مدرسة ويلحقها أكثر من 620 ألف طالب ثانوية في مدارس ـ إمام خطيب[12] رغبة من أردوغان بصنع جيل تقي في تركيا يضاهي أشبال الخلافة لدى داعش الإرهابي، إضافة إلى إحياء التقاليد والشعارات العثمانية في اللقاءات مع الوفود والرؤساء وظهر ذلك غداة استقبال أردوغان لنظيره الأذربيجاني إلهام علييف 2016م على أنغام موسيقى النشيد العثماني "المارش" وبمواكب الخيول.

---

[9] أنقرة تضع يدها في يد داعش ضد أكراد سوريا، سبتمبر 04 2019م، https://ahvalnews.com/ar/anqrt-td-ydha-fy-yd-dash-dd-akrad-swrya/trkya-wdash

[10] أشهر 8 سلاطين عثمانيين قتلوا أبناءهم وأشقّاءهم خوفاً على الكرسي من بينهم "كوسيم"، 12-12-2016، شوقي عصام https://yallafeed.com/ashhr-8-slatyn-athmanyyn-qtlwa-abnaahm-washq-aahm-khwfaan-ala-alkrsy-2131

[11] أردوغان يقترب عملياً من تغيير مناهج التعليم ويبدأ بإزالة «المصطلحات الأجنبية» من معالم الجمهورية 30 - مايو – 2017م https://www.alquds.co.uk/

[12] المدارس التركية ـ التربية الدينية على حساب المستوى العلمي؟، 12.08.2019، الرابط https://www.dw.com/ar

جنود يرتدون زي المحاربين الأتراك وفقا للتقليد العثماني أثناء استقبال أردوغان نظيره الأذربيجاني[13]

استخدام أردوغان للمصطلحات والعبارات الدينية بكثرة في خطاباته والتي تتشابه مع زعماء داعش وجبهة النصرة بغية جمع عدد غفير من المرتزقة حوله يشاركونه القتل والتدمير والإرهاب ومنها تصريحه قبل احتلال عفرين الآمنة **"الزيتون مباركٌ في عقيدتنا و الله عز وجل ذكره في القرآن الكريم ومن أجل أن يكون بشرى لجنودنا"**[14]، وقبل احتلال مناطق شمال وشرق سوريا غرد أردوغان على توتير **"أقبّل كافة أفراد الجيش المحمدي الأبطال المشاركين في عملية نبع السلام من جباههم، وأتمنى النجاح والتوفيق لهم ولكافة العناصر المحلية الداعمة، والتي تقف جنباً إلى جنب مع تركيا في هذه العملية، وفقكم الله وكان في عونكم"**[15]، إلى جانب قراءة 90 ألف مسجد لسورة الفتح قبل الغزو وكذلك قيام الجنود الأتراك والمرتزقة من داعش وجبهة النصرة القادمين من عفرين وإدلب لنصرة إخوانهم الأتراك في قتل واحتلال مناطق شمال وشرق سوريا بتلاوة الآيات القرآنية.

ولأن الإنسان غير قادر على التهرب من تبنيه لإيديولوجية معينة وكون لا يوجد شيء من فراغ إنما عن قناعة تامة فترى زوجة أردوغان وفتياته جميعاً مغطاة الرؤوس وهذا خير دليل على خلفية أردوغان الإخوانية الرجعية المرتبطة بالجماعات الإرهابية التكفيرية في المنطقة وقد أكد ذلك أكاديمي إيطالي لورينزو فيدينو **"تعود علاقات الرئيس التركي رجب طيب أردوغان بالإخوان إلى سبعينيات القرن الماضي، عندما كان من أكثر التلاميذ السياسيين الموثوق بهم لنجم الدين أربكان، رائد الحركة الإسلامية في تركيا"** وأضاف **"إن جماعة الإخوان المسلمين في تركيا هي**

---

[13] هكذا يُقدم أردوغان "العثمانية الجديدة" للعالم، 2018/10/30
https://www.aljazeera.net/news/reportsandinterviews/2018

[14] التطرف "الضروري" لحملة "أردوغان" على عفرين.. داعش أو قاعدة جديدة؟
الأربعاء 07-02-2018م، د. بدرخان علي
http://www.nlka.net/news/details/571

[15] أردوغان يحوّل الحملة التركية إلى فتح إسلامي #الجيش_المحمدي عنوان جذاب لحشد التابعين في العالم العربي.
السبت 12/10/2019 https://alarab.co.uk

المجموعة الوحيدة المسؤولة عن بلد في هذه العائلة الكبيرة. إنهم يقودون دولة كبيرة مزدهرة، ويساعدون أقاربهم الآخرين. إنهم يلعبون دور العم الغني، الذي يتمتع بالقوة، والذي يتطلع إليه جميع أبناء أخيه بحثًا عن الثناء[16]".

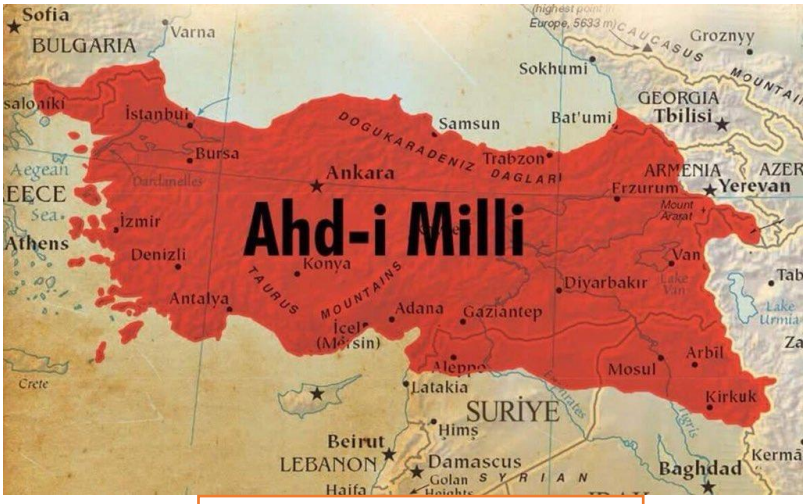

خارطة الميثاق الملّي

عوامل الجذب بين الدولة التركية وداعش.

تأتي علاقات الدولة التركية مع تنظيم داعش في سوريا كامتداد لعلاقات الدولة التركية مع الميليشيات الإسلامية التي نشطت في المنطقة وفي سوريا بعد أزمتها عام 2011م، حيث استطاع نظام أردوغان الذي عزّز صعود الإسلام السياسي في الدولة التركية من استمالة تلك الميليشيات؛ خاصة بعد تبني استراتيجية جديدة للدولة التركية تركزت على العالم الإسلامي والبحث عن دور قيادي ومؤثر فيه بشكلٍ يكسب الدولة التركية نفوذاً وتأثيراً وثقلاً سياسياً وعسكرياً واقتصادياً في القضايا الإقليمية والدولية ويحقق المجد والثروة لأردوغان، وذلك عبر توظيف الدين خدمة لذلك. تشير السياسة التركية الجديدة وتصريحات المسؤولين الأتراك إلى محاولة إعادة إحياء الميثاق الملّي[17]الذي يعتبر مناطق تحررت من قبضة السلطنة العثمانية، أراض تركية، وتشمل شمال سوريا وشمال العراق وأجزاء من أرمينيا واليونان وكأنَّه إعادة لإحياء السلطة العثمانية التي قضى عليها الأتراك أنفسهم بقيادة أتاتورك عام 1922م، ويبدو أنَّ الدولة التركية بقيادة أردوغان تصرُّ

[16] اكاديمي إيطالي: هكذا أصبحت تركيا أكبر داعم للإخوان بالعالم، الأحد 29 رمضان 1440 هـ - 02 يونيو 2019م، https://www.alarabiya.net/ar/arab-and-world/2019/06/02

[17] تم التوقيع على ما يعرف بالميثاق الملّي في 28شباط من عام 1920م بعد هزيمة السلطنة العثمانية في الحرب العالمية الأولى وفقدانها للكثير من المناطق التي كانت تحتلها، ووقع على الاتفاق مجلس المبعوثين العثماني والذي كان يشبه البرلمان حالياً، حيث كان يضم في مجمله قيادات إقطاعية تركية وكردية الساعية وراء ضمان سلطتها على عامة الشعب،

على هذا الميثاق، فقد أكّد إحدى قياديي داعش "أبو منصور المغربي" المسجون حالياً في العراق والذي كان ينسق العلاقة بين الدولة التركية وتنظيم داعش في مقابلة مع صحيفة Homeland Security Today الأمريكية بأنَّ المسؤولين الأتراك في أحد الاجتماعات أخبروه بأنَّ شمال سوريا وحلب والموصل أراضٍ عثمانية وقال "... **تحدثنا عن إعادة تأسيس الإمبراطورية العثمانية. كانت هذه رؤية تركيا..."**([18])؛ وفي سياق تنفيذ هذه الرؤية أقدمت الدولة التركية على إنشاء قواعد عسكرية في شمال العراق بلغت عددها 20 قاعدة أكبرها قاعدة (بامرني) شمال مدينة دهوك[19] وأقامت نقاط وقواعد عسكرية في غربي نهر الفرات في سوريا إلى جانب الهيمنة الاقتصادية على تلك المناطق، ولم يبق أمامها سوى مناطق شرقي الفرات والتي تهددها الدولة التركية باستمرار، فالاستراتيجية التركية ليست من أجل الدفاع عن الأمن القومي التركي المزعوم، بل هي إعادة احتلال المناطق والاستمرار بعمليات التطهير العرقي والتغيير الديمغرافي ضد الكرد والمسيحيين، إلى جانب السعي للهيمنة على ثروات المنطقة.

وبغية تنفيذ مخططه في احتلال مناطق شمال وشرق سوريا وتحقيق الميثاق الملّي، رأى أردوغان أن الأزمة السورية جاءت في الوقت المناسب لتنفيذ ذلك حيث تحولت الدولة التركية إلى قاعدة لوجستية ومعبر لآلاف المقاتلين الأجانب الراغبين بالقتال في سوريا، إلى جانب دعمها العسكري والسياسي والاقتصادي الذي تلقته تلك المجموعات الرجعية على اختلاف مذاهبها كجماعة الإخوان المسلمين وجبهة النصرة وداعش في سوريا.

هناك علاقات فاضحة بين الجماعات الإرهابية وتركيا حتى قبل ظهور داعش كخلافة مزعومة إلا أن العلاقات بين الخليفتين أردوغان والبغدادي بعد إعلان الخلافة من قبل البغدادي في الموصل على منبر "جامع النوري" بتاريخ 4 تموز 2014م أصبحت شبه رسمية وكان بإمكان أي شخص مشاهدة ماذا يحصل على الساحة بين الدولة التركية وداعش، وهنا سنذكر بعض أوجه العلاقات بين الدولة التركية وداعش التي ظهرت للعيان وشاهدها الجميع وفضحها الإعلام الإقليمي والدولي والمحلي.

قيام داعش بالقبض على مواطنين من الدول الغربية وإعدامهم، وظهر ذلك عندما قام داعش بإعدام الصحفي الأمريكي جيمس فولي عام 2014م، إلا أن داعش لم تتعرض ولم تلحق أية أذى للدبلوماسيين الأتراك الذين تم القبض عليهم في الموصل وحينها صرح أردوغان **"عندما أطلق «داعش» الرهائن الأتراك الـ49 «عملية إنقاذ نفذتها القوات الخاصة» لكن أوغلو قال: إنه لم تدفع أي فدية ورفض الكشف عن تفاصيل العملية وأشار إلى أن الاستخبارات حاولت 6 مرات تحريرهم لكنها فشلت، وقد منع الرهائن من الإدلاء بأي تصريح، وبدا واضحاً أنه لم تحصل أي**

[18] The ISIS Ambassador to Turkey. March 18، 2019. Anne Speckhard and Ardian Shajkovci
/https://www.hstoday.us/subject-matter-areas/terrorism-study/the-isis-ambassador-to-turkey

[19] 20 قاعدة عسكرية تركية في كردستان العراق. الاثنين - 21 جمادى الأولى 1440 هـ - 28 يناير 2019 مـ رقم العدد [14671]. موقع جريدة الشرق الأوسط. الرابط ــ https://aawsat.com/home/article/1564681

عملية عسكرية لتحريرهم وإلا كنا شاهدنا عمليات قطع للرؤوس، ثم إنهم نقلوا في حافلات من الموصل إلى تركيا أي مسافة 500 كيلومتر وربما بمواكبة «داعشية»[20]

تحولت تركيا من دولة علمانية ذات موقع استراتيجي وقوة عسكرية كبيرة إلى ممر آمن لعبور الإرهابيين من جميع أصقاع العالم أو ما يسمى ببوابة الجهاد كما يطلق عليها داعش ففي مقابلات أجراها مركز روج آفا للدراسات الاستراتيجية خلال أذار عام 2019م مع بعض عائلات من مخيم الهول أكدت جميع هذه العوائل بأن تركيا كانت تساعدهم وتستضيفهم في فنادق من أجل عبورهم بسلام إلى سوريا وكانت الحدود مفتوحاً على مصراعيه للعوائل القادمة من البلدان الأخرى، و**"قدرت مجلة "إنتليجنس أون لاين"، المتخصصة في شؤون الاستخبارات، عدد الأجانب الذين انضموا الى صفوف داعش عبر البوابة التركية بنحو 30 ألف متطرف أجنبي، على الرغم من زعم تركيا وقوفها في صف التحالف العالمي لمناهضة إرهاب داعش"**[21].

رئيس اللجنة السياسية للمتوسط في البرلمان الأوروبي كوستاس مافريديس قال "إن أردوغان ونظامه دعم منظمات إرهابية مثل داعش والنصرة والإخوان المسلمين مقدما لها العون اللوجستي والعسكري وكذلك السياسي في المحافل الدولية.[22]

عدم مشاركة تركيا في التحالف الدولي لمحاربة الإرهاب التي بدأت عملها بتاريخ 2015م من أجل استهداف مواقع التنظيم الإرهابي، كون تركيا ترى داعش حليفتها وذراعها الضارب من أجل السيطرة على المنطقة ومحاربة الكرد نيابة عنها، زد على ذلك كانت تركيا لا تشتكي من داعش عندما كانت على حدودها بل كانا في حالة وئام ومصالح مشتركة كمحاربة الكرد، وكانت تتحجج دائماً بأن سبب عدم مشاركتها في هذا التحالف الدولي يعود إلى أن رهائنها في قنصلية الموصل في قبضة التنظيم المتطرف ولا يمكنها المشاركة في هذا التحالف، ولكن غداة إطلاقهم من قبل داعش أيضاً لم تشارك تركيا في الضربات ضد داعش، وعندما أعلنت مشاركتها في التحالف الدولي لمحاربة الإرهاب لم تنل مواقع داعش بأي قصف من قبل تركيا، إنما قامت بخداع التحالف الدولي بقصف مواقع قوات سوريا الديمقراطية من أجل دعم حليفتهم داعش.

قامت تركيا بدعم داعش من أجل القضاء على الوجود الكردي في الأجزاء الثلاثة من كردستان (باكور وباشور وروج أفا)، فعندما تتابع مجريات الأمور منذ ظهور داعش نرى بأن داعش لم يحارب أحداً على الساحة السورية والإقليمية لا النظام السوري ولا إسرائيل ولا تركيا مع العلم بإن إسرائيل والنظام السوري وتركيا من وجه نظر داعش بلاد الكفر ويجب محاربتهم، بل على العكس توجه داعش منذ نشأته إلى المناطق الكردية وبدأ بارتكاب المجازر والإبادات وشاهدنا ذلك في شنكال التي تعتبر من أكثر المجازر دموية في القرن الواحد والعشرين، وتلاها كوباني وجميع

---

[20] تركيا و«داعش» بالجرم المشهود؟ السبت - 3 ذو الحجة 1435 هـ - 27 سبتمبر 2014 مـ، راجح الخوري، https://aawsat.com/home/article/189641

*موقع العين الإخباري؛ داليا عريان؛ خبير عسكري لـ"بوابة العين": 5 أدلة تثبت دعم تركيا لـ"داعش"؛ تاريخ النشر 2017/12/21م؛ الرابط: https://al-ain.com/article/turkey-support-isis

[21] https://www.europarabct.com/

[22] كيف لأوروبا أن تقبل ما يفعله أردوغان؟، علي قاسم، الخميس 20/02/2020، https://alarab.co.uk/

المناطق الكردية في غرب وجنوب كردستان، هذه الحرب الشاملة ضد الكرد لا تأتي من فراغ إنما من تخطيط استخباراتي تركي مسبق الصنع فعندما احتل داعش كوباني بدأت تركيا تطبل وتزمر من شدة الفرح وصرح أردوغان آنذاك عوضاً عن الناطق الرسمي باسم داعش بأن **" كوباني على وشك السقوط".**

فيبدو للمتابع بأن أردوغان كان متابعاً لتحركات داعش في المدينة بشكل كبير عن طريق استخباراته الذين كانوا مشاركين مع داعش في الهجوم بشكل أو بآخر، زد على ذلك قامت تركيا باستخدام داعش حتى في داخل تركيا من أجل القضاء على الحلم الكردي في الوصول إلى البرلمان وممارسة حقوقه السياسية والثقافية المشروعة، فغداة قيام حزب الشعوب الديمقراطي بعقد اجتماعات واحتفالات من أجل التحضير للانتخابات بدأت الاستخبارات التركية وبالتنسيق الكامل مع عناصر داعش داخل تركيا بحبك المؤامرات من أجل القيام بتفجيرات في حشود الكرد المؤيدين لحزب الشعوب الديمقراطي قبيل انتخابات عام 2015م التي حصل فيها الحزب 13% من الأصوات و80 مقعداً في البرلمان، وقامت الاستخبارات التركية في 5 يونيو - حزيران قبيل الانتخابات التي جرت في 7 يونيو- حزيران بالتعاون مع عنصر داعشي يدعى (أورهان كوندر) كان متواجداً في تركيا وتحت غطاء الاستخبارات التركية بوضع قنبلة بين الجماهير العارمة في آمد (ديار بكر) المحتفلين قبيل الانتخابات البرلمانية، مما أدى إلى استشهاد 5 مواطنين وجرح 300، والجدير بذكره بأن منفذ العملية كان على صلة بالاستخبارات التركية، وكانت تعرف بأمره وهذا ما أكده ابن عمه في مقابلة مع القناة الألمانية التي تسمى إذاعة صوت ألمانيا أو دويتشه فيله (Deutsche Welle واختصارها DW أي الموجة الألمانية) أثناء قيام القناة بعمل فيلم وثائقي بعنوان " تركيا محور الإرهاب"، وصرح ابن عم أورهان للقناة **"عثرنا على مكان ابن عمي قبل الاعتداء وكنا في منطقة حدودية تدعى " اكتشكال" وقال لنا التجار هناك أنهم يعرفونه (أورهان) وكان يدخل إلى سوريا ويعود من هناك، إذا فالتجار كانوا يعرفون ذلك، فكيف للدولة التركية لا تعرف ذلك حقاً نحن متأكدون بأن الدولة ليست بريئة من هذا الأمر وكانت الدولة التركية تتعاون مع تنظيم الدولة الإسلامية"**[23]، إضافة إلى تفجيرات أخرى تعد الأكثر دموية في تاريخ تركيا وكلها كانت موجهة ضد الكرد وبالتنسيق الكامل بين الاستخبارات التركية وداعش الإرهابي وهذا ما أكده عندما **"قدم عضو البرلمان التركي عن حزب الشعب الجمهوري في اسطنبول علي شكر أيضاً تحقيقاً في 6 سبتمبر(أيلول)، مشيراً فيه إلى علاقة جهاز المخابرات (ميت) مع الإرهابي إلهامي بالي. وأكد علي شكر، على وجود تعاون وثيق بين جهاز مخابرات النظام التركي وتنظيم داعش الإرهابي، لافتاً إلى أن هذا الجهاز كان على علم بالعمليات الانتحارية التي نفذها التنظيم في تركيا ولم يوقفه كما وجه علي شكر سؤال لجهاز المخابرات قائلاً: "هل الإرهابي إلهامي بالي كان تحت المراقبة؟ ولماذا لم تتخذ المخابرات الاحتياطات اللازمة ضد المجازر والهجمات الإرهابية التي قام بها؟"، مضيفاً "وهل خضع المسؤولون عن الفشل في تنفيذ تدابير لوقف المجازر والهجمات التي دبرها ونفذها داعش في البلاد لتحقيقات إدارية أو قضائية؟" والتحقيق**

[23] تركيا محور الإرهاب وثائقي القناة الالمانية DW-tv، 2016/07/11م، الرابط https://www.youtube.com/watch?v=U6yuAS0YfY8

الذي قدمه علي شكر، أشار إلى وجود معلومات تؤكد أن رئيس جهاز المخابرات هاكان فيدان استضاف مسؤول تنظيم داعش في تركيا الإرهابي إلهامي بالي في أحد فنادق أنقرة في الوقت الذي كان فيه عناصر التنظيم الإرهابي يقومون بأعمال انتحارية في أنقرة وديار بكر وسوروج وغازي عنتاب خلال الفترة بين يوليو (تموز) و أكتوبر (تشرين الأول) 2015.

وقال شكر: "خلال هذه الفترة كانت المخابرات تتنصت على اتصالات أحد الانتحاريين مع شقيقه ما يعني أنها كانت على علم مسبق بالعمليات الانتحارية التي أودت بحياة 110 من المواطنين في أنقرة و33 في سوروج و55 في غازي عنتاب"[24].وتأكيداً على التحقيقات والاتهامات الموجهة لحزب العدالة والتنمية بالوقوف خلف التفجيرات التي حصلت ضد الكرد في تركيا، صرح داؤود أوغلو عضو حزب العدالة والتنمية السابق الذي قدم استقالته بعد مضايقة أردوغان له **"إن فتح دفاتر مكافحة الإرهاب سيؤدي إلى "سواد وجوه كثيرة"، وأن لديه الكثير من الأسرار إذا أخرجها للعلن فستجبر أردوغان وحزبه على الخجل من النظر في وجه الأتراك، وتحدث تحديدا عن الفترة ما بين 7 يونيو (حزيران) والأول من نوفمبر (تشرين الأول) 2015 وهي الفترة التي شهدت تطورات سياسية مكثفة" وصرح أيضاً "بعد كل عملية انتحارية تزداد شعبية حزب العدالة والتنمية"[25]**، وأكده أيضاً عناصر داعش الموقوفين في سجون قوات سوريا الديمقراطية ففي مقابلات لمركز روج آفا للدراسات الاستراتيجية مع بعض العناصر أكدوا قيامهم بالمشاركة في تفجيرات ضد الكرد وحزب الشعوب الديمقراطي ودعم الاستخبارات التركية لهم والتواصل معهم ومنهم **سافاش يلدز: الملقب بأبو جهاد التركي، تركي الجنسية تولد 1983 م مسؤول القسم الأمني لفرع داعش في تركيا، أكّد على مشاركته وتنفيذه للتفجيرات التي استهدفت تجمعات لحزب الشعوب الديمقراطي HDP في أضنة ومرسين في عام 2015م، وعلى أنَّ الهجوم على كوباني كان بموجب مؤامرة لقتل الكرد وتصفية المجاهدين الأجانب، ويعتقد بأنَّ ذلك كان بتوجيه من أردوغان، حيث أكّد على أنّ حجم القوة التي هاجمت كوباني كانت كافية للسيطرة على الشام، وكان التنظيم سيحقق مكاسب أكبر وأكّد على أن تفجيرات سروج وأنقرة وآمد خدمت كثيراً مشاريع أردوغان وقوى دولية أخرى، ومن جانبه أيضاً أكد أبو عبيدة التركي (تركي الجنسية تولد عام 1989 من إسطنبول، كان داعية ومنظراً للسلفية الوهابية) على أن التفجيرات التي استهدف تجمعا لحزب الشعوب الديمقراطي HDP كان بعلم المخابرات التركية التي دققت في هويات منفذي العملية قبل المباشرة بتنفيذها، ولم تحذر HDP باحتمال تعرضه لتفجيرات، واعتبر أن العلاقات بين التنظيم والاستخبارات التركية كانت بشكل غير مباشر وعبر قنوات خاصة وأشخاص محددين.[26].**

---

[24] العمليات الانتحارية تفضح علاقة مخابرات أردوغان بداعش، شادية سرحان، الثلاثاء 10 سبتمبر 2019م، الرابط https://24.ae/article/524976

[25] المرجع السابق.

[26] العلاقات بين الدولة التركية AKP وتنظيم داعش، 2019م، مركز روج آفا للدراسات الاستراتيجية، http://www.nrlsrojava.com/wp-content/uploads/2019

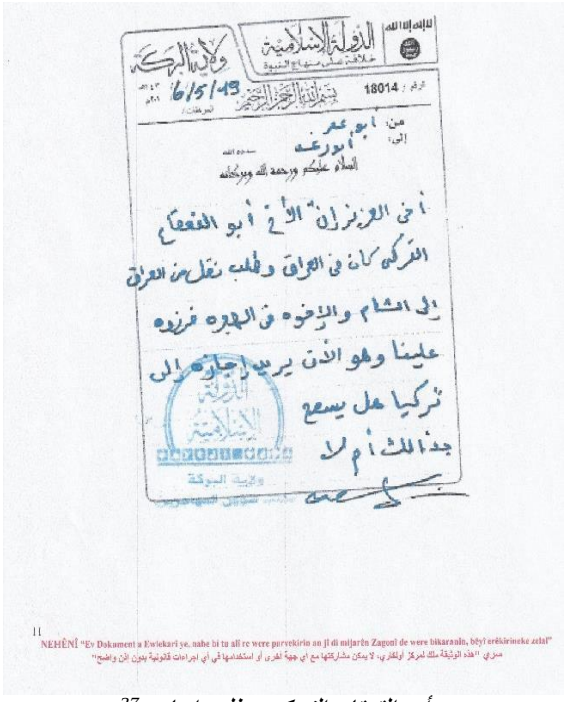

أبو القعقاع التركي يطلب إجازة.[27]

وثيقة ضبطتها قوات الأساييش يظهر تلقي تنظيم داعش أجهزة استطلاع أمنية عبر الحدود التركية.

كلمة السيسي في مؤتمر ميونخ للأمن يجب "تضييق الخناق على الجماعات والتنظيمات التي تمارس الإرهاب، أو الدول التي ترى في غض الطرف عنه -بل وفي حالات فجة تقوم بدعمه- وسيلة لتحقيق أهداف سياسية ومطامع إقليمية"، قائلا إن مصر استضافت، قبل نحو مئة سنة، الأرمن بعد المذابح التي تعرضوا لها، في إشارة إلى تركيا[28].

[27] *من أرشيف YPG*

[28] السيسي يدعو أوروبا لمراقبة المساجد.. ويتذكّر الأرمن، 17 فبراير 2019م، https://arabi21.com/story

دعم تركيا لداعش داخل تركيا وخارجها، ففي الخارج اعتمدت تركيا على إمداده بالمواد اللوجستية والعسكرية والاستخباراتية في معاركه ضد قوات سوريا الديمقراطية وهذا ما أكده المركز الأوروبي لدراسات مكافحة الإرهاب والاستخبارات **"تلقى تنظيم "داعش بقيادة "البغدادي" منذ ظهوره نهاية 2014 الدعم المالي واللوجيستي من السلطات التركية، وأصبح داعش الذراع التركية في منطقة الشرق الأوسط، كما قامت المخابرات التركية بتوجيه داعش في بداية 2014 للانفصال عن تنظيم القاعدة، وإنشاء معاقل رئيسية له في الأراضي السورية والعراقية[29]"** وأيضاً فضحتها صحيفة جمهور بيت والتي على إثرها سجن الصحفي المعروف جان دوندار غداة قيامه بنشر صور للأسلحة المرسلة إلى داعش في يناير كانون الثاني 2014م حيث أدعت تركيا بأنها مواد غذائية للتركمان لكن عند تفتيش الشاحنات وجدت فيها ذخائر من أجل داعش وأكد ذلك **"كليجدار أوغلو بأنه يملك نسخة لمقابلة مصورة مع سائق شاحنة أوصل السلاح لتلك المجموعات. الحكومة التركية بدورها ادعت بأن الشاحنة كانت لإيصال المساعدات الإنسانية للتركمان، لكن التركمان قالوا بأنه لم تَصِل أي مساعدات إنسانية[30]"**، وقامت تركيا بشراء النفط والقطن (على سبيل المثال كشف مركز تحليل الإرهاب بقيام تركيا بشراء القطن من داعش في عام 2015م، وتشير الأبحاث إلى أن داعش باعت 12000 طن من القطن العام الماضي - معظمها للمشترين في تركيا[31]) من أجل قيام داعش بتمويل معاركه وإرهابه وقد انخرط فيها صهر أردوغان البيرت بيراق بهذه التجارة مع داعش حيث **"أظهرت عشرات الآلاف من الرسائل الإلكترونية، التي نشرها موقع ويكيليكس، أن صهر أردوغان دخل في علاقة مع "داعش" عن طريق وسطاء من شركة "باور ترانس"، التي تورطت في تهريب نفط التنظيم الإرهابي إلى تركيا[32]** وأكد أيضاً العميد خالد عكاشة، الخبير العسكري ومدير المركز الوطني للدراسات الأمنية **"أن تركيا الدولة الوحيدة التي استطاعت شراء البترول القادم من آبار النفط في سوريا والعراق بعد سقوطهما تحت سيطرة داعش، موضحاً أن هذا النشاط يعد جريمة دولية[33]"**، أما داخلياً فقامت تركيا بغض النظر والمساهمة في انضمام الشباب من تركيا إلى داعش حيث **"قال كمال كيليجدار اوغلو، في تصريح له خلال شهر تشرين الأول 2014، بأن مكاتب خاصة بتنظيم "داعش" في إسطنبول وغازي عنتاب، قامت بتجنّيد المقاتلين. في سياق متصل قال المُفْتي الخاص بمدينة قونيا، بأنه انضم 100 شخص من المدينة إلى التنظيم وذلك بتاريخ الـ10 من**

---

[29] "جهاديون" ارتبطوا بأجهزة إستخبارات غربية ... أبو بكر البغدادي، نوفمبر 3، 2019م، https://www.europarabct.com/

[30] العلاقات بين تركيا وتنظيم "داعش"!، 20 كانون2/يناير 2015م، http://web.nlka.net/index.php/2014-07-10-22-06-37/10-2014-07-10-22-02-52/183-2015-01-20-11-27-13

[31] Jose ،ISIS MAKES UP FOR LOST OIL CASH WITH RISING TAXES AND FEES Pagliery، 31 May، 2016، http://cat-int.org/index.php/2016/06/02/isis-makes-up-for-lost-oil-cash-with-rising-taxes-and-fees/

[32] عقوبات أميركا ضد صهر أردوغان.. متورط مع داعش وتهريب نفط، 2 ربيع الأول 1441 هـ - 30 أكتوبر 2019م، https://www.alarabiya.net/ar/arab-and-world

[33] خبير عسكري لـ"بوابة العين": 5 أدلة تثبت دعم تركيا لـ"داعش"، داليا عريان، الخميس 21/12/2017، https://al-ain.com/article/turkey-support-isis

تشرين الأول 2014[34]**"**، إلى جانب قيامها بتشجيع أمراء داعش كخالص بايانجوك الملقب (أبي حنظلة) المتواجدين في تركيا والمرتبطين بالاستخبارات التركية بعقد اجتماعات وندوات ضخمة يضم المئات من الأشخاص من أصحاب الذهنية الداعشية المتطرفة، حتى تم إرسال البعض منهم إلى سوريا لمحاربة الكرد، وفتح مكاتب ومعسكرات لداعش في المناطق الحدودية حيث كان **"هناك معسكر لداعش في مدينة غازي عنتاب جنوبي تركيا لتدريب المسلحين ونقلهم فيما بعد إلى سوريا والعراق للقتال، فضلا عن امتلاك داعش مكتبا غير رسمي في مدينة اسطنبول بشمال غربي تركيا، وتنظم من خلاله عمليات دعم وإمداد داعش في سوريا والعراق بالعناصر الأجنبية**[35]**"**.

وتحدث مسؤول أمنى بالأمم المتحدة "بإن تنظيم داعش تلقى (2500) طن من نترات الأمونيوم، وتبلغ قيمتها نحو (788700) دولار إضافة إلى (456) طن من نترات البوتاسيوم البالغة قيمتها 468.700 دولار،وذلك خلال عام 2015 فقط عن طريق الأراضي التركية"[36].

نموذج من الأسلحة التي أرسلتها تركيا إلى داعش في كانون الثاني 2014م.[37]

إن إسقاط تركيا للطائرة الحربية الروسية على الحدود التركية-السورية هو "طعنة في ظهر روسيا من جانب المتواطئين مع الإرهابيين". تصريح بوتين عندما قامت تركيا بإسقاط الطائرة الروسية عام 2015م.[38]

تركيا في مهمة إنقاذ حليفهتا (داعش).

عندما تتابع مجريات الأمور منذ ظهور داعش وقيامه بتوجيه بوصلته وشروره على مناطق الإدارة الذاتية لشمال وشرق سوريا، مرفقاً ظهور هذا التنظيم الإرهابي بالتهديدات التركية

[34] العلاقات بين تركيا وتنظيم "داعش"!، الثلاثاء 20-01-2015م، http://www.nlka.net/news/details/183

[35] "جهاديون" ارتبطوا بأجهزة إستخبارات غربية ... أبو بكر البغدادي، نوفمبر 3، 2019م، https://www.europarabct.com

[36] كيف تورطت تركيا مع تنظيم داعش؟ وماهي معسكرات التنظيم على اراضيها ؟، نوفمبر 1، 2019م، https://www.europarabct.com/

[37] تركيا محور الإرهاب وثائقي القناة الالمانية DW-tv، 2016/07/11م، الرابط https://www.youtube.com/watch?v=U6yuAS0YfY8

[38] بوتين: إسقاط تركيا مقاتلة روسية "طعنة في الظهر"، 24.11.2015، https://www.dw.com/ar

المتواصلة والشبه يومية على مناطق شمال وشرق سوريا، وقتئذ بإمكانك تفسير ورؤية الغزو التركي الجديد على سري كانيه (رأس العين) وكر سبي (تل أبيض) الأخير، بأنه ضمن الأجندات التركية الدائمة المتمثلة بدعم داعش وجميع العناصر الإرهابية في المنطقة وبالأخص في سوريا أينما حلوا وارتحلوا بغية احتلال المنطقة والقضاء على الوجود الكردي أولاً، وضرب مشروعهم الديمقراطي بمشاركة جميع المكونات الذي تمخضت عنه الإدارة الذاتية لشمال وشرق سوريا ثانياً.

وكون قوات سوريا الديمقراطية قامت بمحاربة التنظيم الإرهابي وألحقت به ضربات موجعة على مدار خمس سنوات، كانت تركيا تحاول في جميع المناسبات إنعاش مريضها الذي أصبح على حافة الموت، ففي البداية كانت تقوم بالدعم اللوجستي والعسكري والاستخباراتي والمالي وفتح الحدود على مصراعيه أمام الآلاف من العناصر الإرهابية التي جاءت من جميع أصقاع العالم لتدمير المناطق الكردية واحتلالها، ونظراً لعدم نجاحها في القضاء على الوجود الكردي وتعرض داعش لهزائم نكراء على أيدي قوات سوريا الديمقراطية، بدأت تركيا بالتحضير لتحقيق أجنداتها في المنطقة بعد فشلها بتحقيقها على يد داعش والجماعات الأصولية الراديكالية المرتزقة من جبهة النصرة والقاعدة....إلخ وهي القيام باحتلال المناطق الكردية عبر تدخلها المباشر وبمشاركة الفصائل الجهادية المرتزقة وداعش، بغية تحقيق هدفين أساسين الأول القضاء على الإدارة الذاتية لشمال وشرق سوريا، وإحداث تغيير ديمغرافي وتطهير عرقي فيها، وأما الهدف الثاني وهو إنعاش داعش من جديد وإعطاءه المجال لاستعادة أنفاسه، ومن أجل تحقيق الهدفين قامت تركيا بجمع المرتزقة المتواجدة لديها وكذلك عناصر داعش الموجودين لديها وبدعم جوي وبري لهؤلاء المرتزقة بالهجوم على إقليم عفرين واحتلالها وإجراء تطهير عرقي وتغيير ديمغرافي فيها عبر إسكان عوائل المرتزقة القادمين من المناطق السورية المختلفة.

وبعد احتلال عفرين بدأ داعش بالانتعاش من جديد بعد توقف المعارك ضدها في بعض الجبهات لعدة أيام بسبب الهجوم على عفرين وانشغال قوات سوريا الديمقراطية بالمعارك هناك، إلا أن قوات سوريا الديمقراطية عاودت معاركها وبدعم من التحالف الدولي لمحاربة داعش ولم تعط المجال لداعش لالتقاط أنفاسها واستمرت في القضاء عليهم وتحرير المناطق من تحت سيطرتهم حتى تم الإعلان عن إنهاء التواجد العسكري والميداني لداعش في مناطق شمال وشرق سوريا بتاريخ 2019/3/23م، والبدء بمرحلة جديدة متمثلة بملاحقة الخلايا النائمة والذئاب المنفردة لمرتزقة داعش في المناطق المحررة.

إلا أن تركيا وبعد القضاء على ربيبتها وحليفتها داعش وفشل مشروعها في القضاء على الوجود الكردي والسيطرة على المنطقة وثرواتها كون سيطرة داعش يعني سيطرة تركيا، امتعضت كثيراً من هذه الانتصارات المتحققة من قبل قوات سوريا الديمقراطية، وسارعت لتحيك المؤامرات من أجل القضاء على الوجود الكردي وضرب الإدارة الذاتية وإعادة إحياء وإنتاج داعش من جديد تحت مسمى حماية الأمن القومي التركي، وما زاد من امتعاضها أكثر خسارة جماعاته الإرهابية في جميع الدول المراهنة عليهم كمصر وليبيا وفشل مشروعها الهادف إلى تسلق جماعة الإخوان المسلمين إلى السلطة في هذه الدول، ومن أجل التخفيف من حدة احتقان الشارع التركي بسبب الأوضاع السياسية والاقتصادية السيئة، والتغطية على فشلها الخارجي وصرف أنظار الشعب

التركي عن الوضع الداخلي السيء وخاصة بعد انقلاب تموز 2016م التي قامت على أثرها حكومة العدالة والتنمية بتصفية جميع المعارضين وتطبيق سياسة رعناء في جميع جوانب الحياة، ومن عادة الأنظمة المهددة بالانهيار اللجوء إلى التهويل بالخطر الخارجي بغية تدعيم وجودها في الداخل، قامت تركيا بالتهويل بالخطر الكردي والأمن القومي كشماعة لاحتلال المنطقة من جديد وتحقيق ما لم يقم به داعش على مر خمس سنوات في القضاء على الوجود الكردي وتشكيل حزام من المرتزقة الموالين لحكومة أردوغان وإنعاش الخلايا النائمة لداعش المرتبطة بتركيا من أجل القيام بالهجوم على مناطق شمال وشرق سوريا وزعزعة الاستقرار في المنطقة.

لذا قامت تركيا بعد أخذ الضوء الأخضر من الدول الكبرى (أمريكا وروسيا) في 9 أكتوبر 2019م بغزو مناطق شمال وشرق سوريا وبالتحديد منطقتي سري كانيه (رأس العين) وكري سبي (تل أبيض)، بعد تجميع آلاف المرتزقة من داعش وجبهة النصرة التي قامت تركيا بتدريبهم وتجهيزهم من أجل توجيههم إلى هذه المناطق واحتلالها تحت مسمى (الجيش الوطني السوري) وبدعمٍ جوي ومدفعي مكثف من قبل الجيش الاحتلال التركي الذي أرسل المرتزقة كي يحارب قوات سوريا الديمقراطية نيابة عنه، بدأت القوات التركية بعد إعطاء أردوغان لهم الأوامر ببدء عملية الغزو بقصف جميع مراكز قوات سوريا الديمقراطية وكذلك قصف المدنيين في سري كانيه وكري سبي دون تميّز أي شيء حتى وصل الأمر بها إلى استخدام الفوسفور الأبيض بحق المدنيين العزل، وقد أسفر الهجوم عن موجة نزوح كبيرة من المدنيين ووصلت إلى 300 ألف نازح بحسب المرصد السوري لحقوق الإنسان[39] واستشهاد 340 شخصاً، و إصابة 400 بجروح[40] بحسب مركز توثيق الانتهاكات في شمال سوريا، أما قوات سوريا الديمقراطية والمجالس العسكرية وقوى الأمن الداخلي فقد فقدوا 445 شهيداً بحسب إحصائية المرصد السوري حتى 23نوفمبر[41]، وتفريغ سكان سري كانيه وكري سبي وريفهما من أجل إحداث تغيير ديمغرافي في المنطقة.

ومن الجدير بذكره أن فصائل المرتزقة أو ما يطلق عليهم (الجيش المحمدي أو الجيش الوطني) المشاركة في عملية الغزو التركي في 9 أكتوبر هم من بقايا عناصر داعش المنهزومين على أيدي قوات سوريا الديمقراطية وجرى تأكيده من قبل المرصد السوري **"فقد جرى توثيق انضمام 64 عنصراً سابقاً في صفوف تنظيم "الدولة الإسلامية" إلى صفوف الفصائل الموالية لتركيا ضمن ما يعرف باسم "الجيش الوطني السوري"، حيث تولى هؤلاء العناصر الـ64 مناصب قيادية ومناصب قتالية في صفوف الفصائل الموالية لتركيا"[42]**، وكذلك نشر مركز توثيق الانتهاكات في شمال سوريا تحت عنوان ملف خاص: معلومات وأسماء قيادات ومقاتلي داعش الذين يقاتلون الآن

---

[39] نزوح أكثر من 300 ألف مدني في شمال شرق سوريا منذ بدء الهجوم التركي، 20 أكتوبر،2019م، http://www.syriahr.com/?p=343023

[40] الحروب التركية تسببت في مقتل وجرح قرابة 9 ألف سوري وتهجير مليون مواطن من أراضيهم، نوفمبر 2، 2019، https://vdc-nsy.com/archives/27121

[41] بإسناد جوي تركي مكثف.. الفصائل الموالية لأنقرة تتقدم على حساب قسد وتسيطر على مخيم عين عيسى ونحو 20 قتيل حصيلة المعارك العنيفة حتى اللحظة 23 نوفمبر،2019م، http://www.syriahr.com/?p=347687

[42] المرصد يكشف عن هوية مسؤولين سابقين لداعش في "الميادين " أصبحوا ضمن "الجيش الوطني" الموالي لتركيا 28 نوفمبر،2019م، http://www.syriahr.com/?p=348201

ضمن صفوق الفصائل التابعة لتركيا في شمال سوريا[43]، زد على ذلك قامت تركيا بتجنيد عناصر داعش في الغزو على عفرين في 2018/1/20م وهو ما أكده عنصر داعش لموقع حفريات **"تقوم تركيا بتجنيد وإعادة تدريب مقاتلي داعش السابقين من أجل المشاركة في العملية التي تشنها على مدينة عفرين الكردية في شمال سوريا، وفقاً لأحد عناصر التنظيم السابقين. وقال المقاتل السابق الذي لا يزال على اتصال مع داعش (فرج)، إن "معظم الذين يقاتلون في عفرين ضد وحدات حماية الشعب، ينتمون إلى داعش[44]"** زد على ذلك قام الاحتلال التركي بتسليم أمراء داعش المناطق التي احتلتها مؤخراً فقد استلم **"فيصل البلو أمير الامنيين للقاطع الشمالي وأمير مجلس العشائر بولاية الرقة سابقا والآن قائد مجموعة القادسية في سلوك وخالد أبو الوليد من أكبر الإعلاميين لداعش كان مسؤولاً للمكتب الإعلامي لوكالة أعماق والآن يقود كتيبة أمنية تابعة لمرتزقة أردوغان ويدير مناطق من بين كري سبي و سري كانيه"**[45].

فالغزو التركي الأخير على شمال وشرق سوريا هو من أجل إحياء داعش وإعادته للحياة من جديد والتطهير العرقي والتغيير الديمغرافي للمنطقة، كون المنطقة التي تحاول تركيا السيطرة عليها محررة من داعش منذ 2014م والهدف الوحيد هو إعادة داعش وتحريره وقد أكد ذلك عدة صحف ومجلات وباحثين ومنها صحيفة البيان تحت عنوان "نبع الإرهاب"، **"العملية التركية تهدف في الأساس إلى زعزعة الأمن والاستقرار في المنطقة، بإعادة إحياء تنظيم داعش وإعطائه محل إقامة وتمركز في شمال سوريا، وربما تكون هذه «دولة الخلافة» التي يطمح لها أردوغان ".لا يخفى على أحد أن تنظيم داعش هو المستفيد الأكبر من هذه العملية التي تشكل بالنسبة له «طوق نجاة»، والفائدة أيضاً لأردوغان لأنه سيستطيع ممارسة ابتزازه المعتاد وتهديداته للأوروبيين بإغراق بلادهم باللاجئين، ومن تستروا بهم من الإرهابيين الذين عاشوا في سجون أردوغان وتحت رعايته[46].**

أما المحلل والمستشار الإعلامي في صحيفة عكاظ هاني الظاهري فقد فسر الغزو التركي بأنه **" لا شك لدي في أن الهدف الحقيقي من التدخل العسكري التركي في الشمال السوري تحت اسم عملية (نبع السلام) هو تحرير الابن غير الشرعي لنظام حزب العدالة والتنمية الحاكم في أنقرة والمسمى بـ "تنظيم داعش" من سجون قوات سوريا الديمقراطية حتى وإن رفع السيد أردوغان شعار محاربة الإرهاب وحماية الحدود التركية كذباً لتبرير ما لا يمكن تبريره، ليست هذه المرة الأولى التي يتدخل فيها النظام التركي لإنقاذ الدواعش بعد أسرهم وإنهاء وجودهم العسكري في الشمال السوري، فقد أطلق في شهر يناير من عام 2018 عملية عسكرية وحشية بمسمى**

---

[43] ملف خاص: معلومات وأسماء قيادات ومقاتلي داعش الذين يقاتلون الآن ضمن صفوق الفصائل التابعة لتركيا في شمال سوريا
نوفمبر 9، 2019م، https://vdc-nsy.com/archives/27336

[44] اتهامات لتركيا بتجنيد مقاتلين سابقين من داعش في حربها على عفرين2018-02-11
https://www.hafryat.com/ar/blog

[45] بالاسماء: داعش يعود الى سلوك وتل أبيض ورأس العين وهذه هي اسماء أمرائهم
21 أكتوبر، 2019م، https://xeber24.org/archives/213271

[46] «نبع الإرهاب»، التاريخ: 15 أكتوبر 2019م، https://www.albayan.ae/opinions/our-opinion/2019-10-15-1.3674366

(غصن الزيتون) في الشمال السوري قتلاً وتدميراً وارتكبت مجازر تفوق في بشاعتها مجازر داعش بحق المدنيين السوريين، ويمكن لأي باحث أن يتعرف على ما فعلته القوات التابعة لتركيا بالنساء السوريات من خلال البحث عن قصة (بارين كوباني) وهي فتاة سورية كردية تم التمثيل بجثتها وسحلها على أيدي جنود أردوغان مع توثيق ذلك بالصوت والصورة"[47].

وقد لاقى الغزو التركي على شمال وشرق سوريا انتقادات حادة من الكثير من دول العالم كون لا يوجد للغزو والاحتلال التركي أي تبرير وجميعها حجج واهية وبعيدة عن المصداقية ومنافية للقانون الدولي والإنساني ومن أبرز تلك التصريحات تصريح الرئيس التشيكي **ميلوش زيمان "الرئيس (التركي رجب طيب) أردوغان يقول: إن الأكراد إرهابيون، أنا أخالفه الرأي بشدة"، على العكس، أنا أتساءل ما إذا كان من يهاجمون الأكراد ويرتكبون تلك الجرائم الوحشية على غرار جريمة قتل تلك السياسية الكردية هم الإرهابيون"، تركيا تبني علاقات وثيقة "مع التيار الإسلامي والتطرّف الدموي الذي نشهده حالياً في شمال شرق سوريا"،وتابع "أعتقد أن تركيا ترتكب جرائم حرب وأعتقد بكل الأحوال أنها يجب على الأقل ألا تكون عضوا في الاتحاد الأوروبي[48]".**

الغزو التركي وتنشيط داعش من جديد

ما إن بدأت تركيا تلوح بالغزو على مناطق شمال شرق سوريا سرعان ما بدأ داعش بتنظيم صفوفه من جديد وبالتنسيق مع الاستخبارات التركية من أجل شن هجماته على مكونات المنطقة وقواتها العسكرية وبالتزامن مع الغزو التركي أعلن **زعيم تنظيم "داعش" أبو بكر البغدادي في تسجيل صوتي بتاريخ 16 سبتمبر 2019، نُشر على تطبيق تلغرام، عناصره إلى "إنقاذ" مقاتليه وعائلاتهم المحتجزين في السجون والمخيمات، متوعداً بـ"الثأر" لهم، وسأل كيف يطيب لمسلم العيش ونساء المسلمين يرزحن في مخيمات الشتات وسجون الذل؟"، مشيراً على وجه التحديد إلى تلك الموجودة في العراق وسوريا تحت سيطرة قوات مدعومة من التحالف الدولي بقيادة واشنطن، كما "في شتى بقاع الأرض". ودعا المعتقلين والمحتجزات إلى "الصبر"[49].**

وكون معظم عناصر داعش المحتجزين لدى قوات سوريا الديمقراطية، وكذلك نساء الدواعش في مخيمات الهول وروج يعتقدون بأن أسرهم كان محنة من عند الله، وسوف يتم إخلاصهم في نهاية المطاف ويأمنون بالآية القرآنية **" إن مع العسر يسراً"**، وبالفعل تحققت أمنيات عناصر داعش غداة قيام الاحتلال التركي وبدعم الآلاف من عناصر داعش السابقين وجبهة النصرة الإرهابيتين بغزو مناطق شمال وشرق سوريا، وما إن أعلن أردوغان بأنه سيغزو مناطق شمال وشرق سوريا، بدأت خلايا داعش النائمة بالهجوم على نقاط قوات سوريا الديمقراطية في الرقة بتاريخ 8 أكتوبر صرح **"مدير المركز الإعلامي لقوات سوريا الديمقراطية مصطفى بالي إنه في**

---

[47] أردوغان في مهمة تحرير داعش!، الأحد / 14 / صفر / 1441 هـ الاحد 13 أكتوبر 2019م، https://www.okaz.com.sa/article/1750955

[48] الرئيس التشيكي يتّهم تركيا ببناء علاقات وثيقة مع الإرهابيين 18 أكتوبر 2019م، https://www.skynewsarabia.com/middle-east/1291636

[49] البغدادي يدعو عناصره إلى إنقاذ مقاتلي "داعش" وعائلاتهم المحتجزين، الاثنين 16 سبتمبر 2019م، https://www.independentarabia.com/node/56641

الوقت الذي تهدد فيه تركيا بشن عملية عسكرية شمال شرق سوريا، شنت خلايا داعش النائمة هجوماً كبيراً على القواعد الأمنية لقوات سوريا الديمقراطية في الرقة[50]". حيث قامت داعش بالتنسيق مع الاستخبارات التركية بالهجوم على قوات سوريا الديمقراطية.

ومنذ بدء الهجوم التركي بدأت الخلايا تتحرك ضد القوات العسكرية ومكونات شمال وشرق سوريا حيث **"تصدت قوى الأمن الداخلي لعناصر خلية تابعة لإرهابيي داعش شنوا هجوماً على المدنيين في قرية التويمية جنوب سري كانيه (رأس العين)[51]"** وخلية أخرى **"حاولت تنفيذ هجمات داخل مدينة سري كانيه/ رأس العين/. إحدى الخلايا النائمة المكونة من خمسة أشخاص حاولت تنفيذ الهجمات إلا أن قوى الأمن الداخلي تعاملت معها وألقت القبض عليها[52]"**، ومن أجل بث الفوضى وإطلاق سراح عناصر داعش قصفت تركيا سجن جركين في قامشلو في 9 أكتوبر، **"والذي يعد من السجون التي يحتجز فيها إرهابيو داعش، في محاولة من الأتراك من خلال القصف إحداث ثغرات في السجن لإطلاق سراح الإرهابيين[53]"** وكذلك قصفت تركيا مخيم عين عيسى في 13 أكتوبر من أجل تهريب عناصر داعش ونسائهم وعلى أثر القصف هرب ما يقارب 800 شخص من المخيم[54] لأجل تحقيق هدفين؛ الأول نشر الفوضى في المنطقة وإعادة إنتاج داعش، والثاني تهديد وابتزاز الدول الأوروبية بهؤلاء العناصر بغية قبول مشروعها الهادف إلى احتلال المنطقة وإجراء تغيير ديمغرافي، إضافة إلى حدوث حالات تمرد في مخيم الهول الذي يعد من أكبر المخيمات في العالم وأكثرها خطورة نتيجة تشبعهم بأفكار داعش الإرهابي، وهروب عدد من النساء من المخيم تزامناً مع الغزو التركي.

وغداة الغزو التركي على مناطق شمال وشرق سوريا ودعمه لخلايا داعش النائمة في المنطقة بدأت هذه الخلايا بتنفيذ سلسلة تفجيرات في المنطقة، من أجل ترويع المدنيين وكذلك ضرب القوات العسكرية وإحداث خلخلة وبلبلة في الاستقرار والأمان الحاصل في المنطقة، ومن هذه التفجيرات؛ تفجير استهدف سجن غويران في الحسكة من أجل تهريب سجناء داعش في 12 أكتوبر 2019م، تفجير استهدف مطعم الأومري في الحي الغربي في مدينة قامشلو بتاريخ 11أكتوبر، وتفجير في 11 نوفمبر استهدف السوق المركزي وكنيسة الكلدان في مدينة قامشلو المكتظة بالمدنيين بسيارة ودراجة مفخخة، وعدة تفجيرات أخرى في مناطق مختلفة في شمال وشرق سوريا، آخرها استهداف سيارة لقوى الأمن الداخلي (الأسايش) عن طريق دراجة نارية في حي غويران بالحسكة من قبل خلايا داعش النائمة بتاريخ 2019/12/1م.

مقتل البغدادي في الحضن التركي

بعد عدة سنوات من التعاون والدعم اللوجستي والعسكري والاستخباراتي والاقتصادي بين الدولة التركية وداعش، إلا أن تركيا ورئيسها أردوغان لم يكتفوا بذلك الدعم الكبير المقدم طيلة هذه

---

[50] قوات سوريا الديمقراطية: داعش يهاجم مواقعنا في الرقة مع تأهب تركيا لمهاجمتنا، 09 أكتوبر / تشرين الأول 2019م، https://arabic.cnn.com/middle-east/article/2019/10/09/syria-sdf-isis-attacked-raqqa

[51] المركز الإعلامي لقوات سوريا الديمقراطية، 10 أكتوبر 2019م، https://sdf-press.com/?p=30426

[52] اعتقال خلية تابعة للاحتلال التركي، المركز الإعلامي لقوات سوريا الديمقراطية ٢٠١٩/١٠/١٠م، http://sdf-press.com/?p=30429

[53] المركز الإعلامي لقوات سوريا الديمقراطية، 9أكتوبر 2019م، http://sdf-press.com/?p=30415

[54] بعد أن فرتا من عين عيسى بفعل "نبع السلام".. تركيا ترحل شقيقتين من تنظيم "الدولة الإسلامية" إلى بلجيكا 30 نوفمبر،2019م، http://www.syriahr.com/?p=348375

السنوات في محاربة الإدارة الذاتية لشمال وشرق سوريا وقواتها العسكرية (قوات سوريا الديمقراطية)، بل قامت بضيافة حليفها البغدادي الذي مني بهزيمة قاسية على أيدي قوات سوريا الديمقراطية في الباغوز، ويعد أخطر إرهابي في العالم حتى رصدت أمريكا مكافأة 25مليون دولار لمن يدلي بمعلومات تؤدي إلى القبض عليه، ليفاجئ العالم بوجود الإرهابي العالمي في الحضن التركي وعلى بعد 5 كم فقط من الحدود التركية في قرية تدعى باريشيا في إدلب، ومن المعروف بأن إدلب أصبحت أكبر محمية إرهابية تركية يتجمع فيها جميع أصناف الإرهابيين في العالم حيث يتواجد هناك الحزب الإسلامي التركستاني الذي يمثل الإيغور الجزء الكبير منهم وهم يعتبرون جماعة إرهابية ومطلوبين من قبل الصين، و فصيل أجناد القوقاز الذي يسيطر عليه قادة شيشانيون وهم فصيل إرهابي مطلوب لروسيا، وهيئة تحرير الشام المرتبطة بالقاعدة وتعد جماعة إرهابية وهم بدورهم تحاربهم أمريكا.

وبتاريخ 26 أكتوبر وعلى إثر غارة أمريكية على قرية باريشيا وبمساعدة قوات خاصة من قوات سوريا الديمقراطية تمكنت القوات الأمريكية بعملية نوعية من قتل الإرهابي أبو بكر البغدادي في إدلب، وبعد قتله ارتعدت تركيا حيث حومت جميع الشكوك حول معرفة تركيا بمكانه والقيام بإخفائه من أجل استخدامه في أجندات أخرى وتكليفه بمهام جديدة، والشيء الغريب في العملية هو عدم تبليغ أمريكا تركيا بالعملية إلا غداة قيامهم بها وهذا يدل على شيء وحيد وهو عدم ثقة أمريكا بتركيا في تبجحها بمحاربة الإرهاب، ومن أجل إبعاد الشبهات عنها قامت تركيا باعتقالات خاطفة لأقرباء البغدادي (وهنا تظهر علامة استفهام كبيرة هي ماذا كانت تفعل الاستخبارات التركية طيلة هذه الفترة هل كانت نائمة أو متواطئة مع الإرهابيين) لسببين الأول إبعاد الشبهات عنها بعد ازدياد الحديث عن تورط تركيا في حمايته الثاني هو سد الطريق أمام أي قوى في اعتقالهم وفضح علاقات تركيا بالمنظمات الإرهابية والبغدادي، وكون قوات سوريا الديمقراطية على دراية كبيرة بدعم تركيا للإرهابيين أكد قاداتها مراراً وتكراراً بأن المكان النموذجي للبغدادي هو إدلب كونها تقبع تحت سيطرة حليف البغدادي أردوغان.

وبحسب صحيفة **"'ذا ناشيونال' في تقرير نشرته اليوم الأربعاء 6\11\2019م فإنه (شقيق زعيم تنظيم داعش الإرهابي) سافر عدة مرات إلى مدينة إسطنبول التركية عن طريق الشمال السوري قبل أن يلقى زعيم داعش مصرعه في أكتوبر/تشرين الأول في عملية عسكرية أميركية. وقالت الصحيفة نقلا عن مصدرين في المخابرات العراقية، إن شقيق البغدادي كان واحدا من المبعوثين الموثوق بهم لدى قيادة تنظيم الدولة الإسلامية[55]".**

وبدوره أكد نيكولاس هيراس الزميل المتخصص في أمن منطقة الشرق الأوسط بمركز الأمن الأميركي الجديد، **"إن هذا المكان كان مكاناً جيداً بالنسبة للبغدادي ليقيم فيه إذا كان يحاول**

[55] أردوغان يتباهى باعتقال مقربين من البغدادي لتبييض صورة تركيا، الخميس 07/11/2019، https://middle-east-online.com

التواصل مع شبكة تنظيم الدولة الإسلامية التي تنفذ الهجمات في الخارج، وإعادة ترتيب صفوفها، حيث تحتاج تلك الشبكة العبور إلى تركيا للوصول إلى أوروبا[56]".

فتركيا بعد مقتل البغدادي بقربه حدودها رأت نفسها متورطة من الرأس إلى أخمص القدم في حماية خليفتها في العراق والشام البغدادي، لذا قامت الاستخبارات التركية بسلسلة من الاعتقالات من أجل ذر الرماد في عيون العالم، ومحاولة إبعاد الشبهات عنها، لكن جميع دول العالم باتت تعرف حقيقة أردوغان ودعمه لجميع الجماعات الإرهابية في العالم والمنطقة، ومع ذلك لا تتحرك هذه الدول ضد تركيا.

مخلفات "نبع الإرهاب" على المنطقة

شن الجيش التركي بتاريخ 2019/10/9 هجوماً وحشياً بمؤازرة ودعم الآلاف من مرتزقة جبهة النصرة وداعش على مناطق سري كانيه "رأس العين" وكري سبي "تل أبيض" تحت مسمى عملية "نبع السلام" التي يمكن أن نطلق عليها صفة واحدة، وهي نبع الإرهاب لأنها جاءت لأجل إنقاذ إرهابي داعش وإرهاب سكان شمال وشرق سوريا واحتلال مناطقهم وإجراء تطهير عرقي وتغيير ديمغرافي بحقهم، لذا ونتيجة الحقد الدفين التي يكنه أردوغان ومرتزقته لسكان شمال وشرق سوريا وعلى رأسهم الكرد، قامت الطائرات والمدفعية التركية بقصف عنيف ومركز على المدنيين والعسكريين حتى وصل الأمر بالجيش التركي باستخدام الفوسفور الأبيض في سري كانيه نتيجة المقاومة التي أبدتها القوات العسكرية المدافعة عن المدينة، وبعد احتلال التركي منطقتي سري كانيه وكر سبي وهجماتهم المتكررة على المنطقة تدهورت الأوضاع الإنسانية والأمنية في مناطق شمال وشرق سوريا بسبب عملية نبع الإرهاب التركية ويمكننا ذكر بعضها:

انتعاش داعش من جديد كون من أجندات الغزو التركي الأخير على المنطقة هي بث الروح في حليفهم داعش من جديد، وقد تحقق ذلك حيث ازدادت قوة وجرأة داعش أكثر بعد الغزو التركي، وهذا ما أكده مركز المعلومات حول الاستخبارات والإرهاب على اسم اللواء مئير عميت **" هناك ارتفاع ملحوظ بمستوى الجرأة التي تتسم بها عمليات تنظيم الدولة الإسلامية منذ بداية الهجوم التركي[57]"**، وكذلك وزارة الدفاع الأمريكية (البنتاغون) التي أكدت بأن داعش استفاد من الانسحاب الأمريكي والغزو التركي على المنطقة واستطاع إعادة تنظيم صفوفه وهو قادر على إعداد هجمات ضد الغرب.

زيادة عدد الاغتيالات في صفوف قوات سوريا الديمقراطية والمدنيين بعد الغزو التركي إثر هجمات من خلايا داعش في المنطقة وبالتنسيق مع الاستخبارات التركية ومرتزقتها، وكان آخرها اغتيال كاهن الأرمن الكاثوليك، "حنا إبراهيم" ووالده "إبراهيم حنا" عبر إطلاق نار عليهما على

[56] ما حجم تورط تركيا بحماية البغدادي، بول إيدن نوفمبر 07/ 2019م،
https://ahvalnews.com/ar/ma-hjm-twrt-trkya-bhmayt-albghdady/albghdady

[57] نظرة على الجهاد العالمي 7-23 تشرين أول /أكتوبر 2019م، مركز المعلومات حول الاستخبارات والإرهاب على اسم اللواء مئير عميت، https://www.terrorism-info.org.il/ar/

الطريق الواصل بين دير الزور – الحسكة، أثناء توجههم للإشراف على ترميم كنيسة الأرمن الكاثوليك في مدينة دير الزور[58].

تهجير ممنهج وقسري للآلاف من المدنيين من منطقتي سري كانيه وكري سبي والذي قدر عددهم بأكثر من300 ألف نازح بعد تعرضهم لقصفٍ بريٍّ وجويٍّ عنيف من قبل المروحيات والمدافع التركية، وبات هؤلاء المدنيون يعيشون حالة مأساوية في المخيمات بعد فرارهم من الغزو التركي على مناطقهم، إلى جانب قيام الجيش التركي ومرتزقته بجرف بيوت المدنيين العزل في المنطقة المحتلة بذريعة التعاطف مع الإدارة الذاتية وقواتها العسكرية.

تصاعد حالات التمرد والفرار في المخيمات بعد الغزو التركي التي تضم عوائل داعش وأطفالهم وخاصة مخيم الهول الذي يضم أكثر من 73 ألف من عوائل داعش ويعد من أخطر المخيمات في العالم كون هذه العوائل تعتنق أفكاراً إرهابيةً وتمثل قنبلة موقوتة خطيرة، حيث تحاول هذه العوائل الفرار من المخيم والبدء بالعمليات الإرهابية بحق سكان شمال وشرق سوريا وقواتها العسكرية، وبحسب **"روج حسن المسؤولة في القوى الأمنية لمخيمات عوائل داعش إنهم تمكنوا من إحباط فرار أكثر من 635 شخص من عوائل داعش غالبيتهم "أجانب" من مخيم الهول، بالتزامن مع الهجوم التركي على المنطقة وأضافت بعض الأحيان تخرج النساء الداعشيات في تظاهرات مؤيدة للرئيس التركي رجب أردوغان[59]".**

تطبيق عملية التطهير العرقي والتغيير الديمغرافي في منطقتي سري كانيه وكر سبي وهي استمرارية لما قامت به من عمليات لتغيير الديمغرافي والتطهير العرقي في عفرين عبر تسكين عوائل موالية لها من مناطق مختلفة من سوريا لتستمر تركيا في تحقيق أجندتها المتمثلة في التطهير العرقي والتغيير الديمغرافي بحق الكرد واحتلال مناطقهم وتشكيل حزام موالي لها في المناطق الحدودية.

الخلاصة

بما أنَّ دولة الاحتلال التركي مصرّة على دعمها للجماعات الإرهابية في مختلف الدول وبالأخص في سوريا؛ من المفيد تشكيل لجنة حقوقية لتوثيق أسماء وشخصيات عناصر داعش وجبهة النصرة الإرهابيتين بين عناصر ما يسمى بـ"الجيش الوطني" لتقديمها للأمم المتحدة ودول التحالف الدولي لمحاربة الإرهاب والضغط عليهم من أجل وضعهم على لائحة الإرهاب كونهم ينتمون إلى التنظيمين الإرهابيين المذكورين آنفاً.

ومعاقبة الدولة التركية وفق المواثيق والعهود الدولية بسبب دعمها اللامحدود ورعايتها للإرهاب حيث صدرت العشرات من الوثائق والأدلة التي تؤكد ذلك، وأخرها كان تواجد البغدادي في إدلب وأبو حسن المهاجر في جرابلس المنطقتين اللتان لا تبعدان عن تركيا سوى بضع كيلو

[58] خلايا داعش تستغل الهجمات التركية وتغتال كاهنا كاثوليكيا وابنه في ريف ديرالزور نوفمبر 11، 2019م، https://vdc-nsy.com/archives/27504

[59] مسؤولة أمنية تحذر من خطورة الوضع في مخيم الهول: أحبطنا فرار 635 شخص من عوائل داعش نوفمبر 27، 2019م، https://vdc-nsy.com/archives/28195

مترات، وكما قامت أمريكا مؤخراً بتاريخ 7 ديسمبر[60] بقصف سيارة تقل عناصر لداعش في عفرين المحتلة، وجميعها دلالات ووثائق تؤكد على دعم تركيا للتنظيمات الإرهابية.

الإصرار في تشكيل محكمة دولية في مناطق شمال وشرق سوريا، كون داعش ارتكب المجازر بحق أبناء المنطقة ويجب أن يحاكموا في مكان ارتكابهم للمجازر من أجل إنصاف شعوب شمال وشرق سوريا التي قدمت الآلاف من أجل تحرير المنطقة والعالم من أخطر التنظيمات الإرهابية في العالم، إلى جانب الضغط أكثر على الحكومات التي توجد لديها عوائل في مخيم الهول من أجل ترحيلهم لدولهم، كون مخيم الهول يتحول كل يوم إلى منبعاً للشر والإرهاب حيث لم يتغير من حياتهم شيء فهم يمارسون طقوسهم ويطبقون قوانين داعش ويلقنون أطفالهم على ذلك النهج من أجل مواصلة درب آبائهم، فالصمت الدولي إزاء ما يحصل في مخيم الهول وعدم أخذهم للعوائل المنحدرة من دولهم ستكون بمثابة الانتحار لشعوب المنطقة والعالم في حال أصبحوا أحراراً في يوم من الأيام، وخاصة في ظل استمرار الغزو التركي لمناطق شمال وشرق سوريا.

تمتين العلاقات مع الدول التي تحارب الجماعات الإرهابية الممولة تركياً وقطرياً، والعمل على إيجاد آلية مشتركة من أجل الوقوف في وجه هذه التنظيمات الإرهابية المدعومة من تركيا وقطر، كون هذه الجماعات تولد ثقافة الكراهية في المنطقة، وتحاول استعادة الخلافة العثمانية بصبغة تركية قطرية.

زيادة عدد عقد المنتديات والندوات التي تعزز الهوية الوطنية والديمقراطية والعيش المشترك وتفضح السياسة العثمانية الجديدة الهادفة إلى الإبادة العرقية بحق مكونات المنطقة وعلى رأسهم الكرد، وفضح الإبادات التي ارتكبتها السلطنة بحق جميع مكونات المنطقة، كون تركيا حاولت في الغزو الأخير أن تحييد العرب والمسيحيين من غزوها عبر منصاته الإعلامية –في الحقيقة لم يميز أثناء الغزو بين كردي وعربي ومسيحي فالجميع كانوا هدفا لمرمى نيرانه- من أجل زرع بذور الفتنة بين مكونات المنطقة وبالتالي ضرب مشروع الإدارة الذاتية لشمال وشرق سوريا التي أثبتت تجربتها بإن الحل ليس فقط سوريا إنما لعموم الشرق الأوسط كونه تعتمد على براديغما الأمة الديمقراطية التي تعتمد على المساواة والعيش المشترك والحرية الدينية وتعزز الهوية الوطنية ولا تخص مكون دون آخر.

تحاول تركيا عند احتلالها للمنطقة إعطاءها طابعاً دينياً للتأثير على سكان المنطقة كون غالبيتهم يدينون بالمذهب السني لكسب تأييدهم من أجل الترويج للاحتلال وكذلك انضمام أبنائهم إليها وعمل كمرتزقة لديها، لذا من المفيد فضح سياسات أردوغان الإسلاموية والهادفة إلى ضرب المكونات فيما بينهم، وكذلك فضح انتهاكات فصائل أردوغان الداعشية لجميع المكونات من أجل سد الطريق أمام عودة داعش بحلته الجديدة لكن هذه المرة بصبغة أردوغانية مباشرة، عبر عرض برامج تلفزيونية وإذاعية وعقد ندوات ومحاضرات ومؤتمرات من قبل رجال دين يسلطون الضوء على حقيقة وجوهر دين الإسلامي وتبيان زيف الإسلاموية التي يدعيها أردوغان ومرتزقته، وتوجيه

[60] التحالف الدولي يقتل 3 من قادة داعش في عفرين بغارة من طائرة مسيرة 7 ديسمبر، 2019م، https://vdc-nsy.com/archives/28701

وإرشاد وإيقاظ أبناء المنطقة إلى عدم الانجرار وراء مخططات أردوغان وأجنداته الهادفة إلى تسخير الدين لتحقيق مآربه والبعيد كل البعد عن المصالح الوطنية لشعوب المنطقة.

استمرار احتلال التركي لمناطق الشمال السوري مما يعني استمرار الإرهاب المهدد للأمن والسلم الدوليين وليس لأمن المنطقة فقط، لذلك يتطلب تقوية العلاقات جميع المجتمعات والشعوب والدول وكسب دعمهم وتأييدهم لدحر الإرهاب وتحرير جميع الأراضي السوريا وتقديم الجناة للعدالة.

استمرار التحالف الدولي للقيام بمسؤولياتها حيال قوات سوريا الديمقراطية، كون شراكتهم كانت على أساس محاربة الإرهاب، والإرهاب لم ينته بعد إنما على العكس الإرهاب يتجذر وينتعش بعد كل عملية احتلالية تقوم بها الدولة التركية، بالإضافة ضرورة إلى مضاعفة فرض العقوبات على دولة الاحتلال التركي كونها تخالف حليفتها الناتو وتدعم إعداءها، وضاربة كل العهود والمواثيق الدولية بعرض الحائط عبر تدخلاتها في شؤون دول المنطقة دون أي مبرر.

استمرار الاحتلال التركي يعني استمرار الإرهاب وعمليات التطهير العرقي والتغيير الديمغرافي وبالتالي انعدام الاستقرار والأمان وزيادة تدفق موجات الهجرة نحو الخارج مما يسهم في تقوية شوكة أردوغان طالما استخدم ورقة اللاجئين لابتزاز الأوروبيين وكسب مليارات الدولارات بدلاً من صرفها والتي من المفترض على اللاجئين تصرف على العمليات العسكرية وتغذية الجماعات الإرهابية، لذلك يتطلب تكثيف جهود دولية ومحلية وإقليمية للوقوف في وجه سياسات أردوغان لتحقيق السلم والأمن الدوليين والحفاظ على البنية الاجتماعية والتحتية والديمغرافية والاقتصادية للمنطقة.

ما دام أردوغان ماضياً في دعمه للجماعات الإرهابية واحتلاله للشمال السوري يعني استمرار الصراع والعنف والإرهاب لذلك كلما تم الإسراع في إنهاء الاحتلال التركي يعني تجفيف منابع الإرهاب وإنهاء الصراع والانفراج نحو الحل السياسي للمنطقة.